

# ١٧ رمضان

رواية تاريخية غرامية

هي الحلقة الرابعة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام

وتتضمن مقتل الامام علي وبسط حال الخوارج

وتمة الفتنة واستئثار بني أمية بالخلافة

وخروجهم من اهل البيت

تأليف

عرجي زيدان

مفتي الهلال

« الطبعة السادسة »

obeykandl.com

## مقدمة الطبعة الاولى

فرغنا والحمد لله من الحلقة الرابعة لسلسلة روايات الاسلام  
وفيهما تفصيل خبر المؤامرة المشهورة على قتل الثلاثة المعظم الامام  
علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص في  
السنة الاربعين للهجرة وتفصيل مقتل الامام علي مع ما رافق ذلك  
من الحوادث التي تبين حال الخوارج وانقسام العالم الاسلامي  
واشتداد الفتن الى تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان  
أول خلفاء بني أمية

وستتبع رواية « ١٧ رمضان » هذه برواية أخرى هي الحلقة  
الخامسة من السلسلة المذكورة نبسط فيها مقتل الامام الحسين  
وما يتقدمه ويتبعه من الفتن والحروب وسندعوها « غادة  
كربلاء » نسبة الى المكان الذي قتل فيه الحسين . ونشرها مباحقة  
بالسنة التاسعة من الهلال . ونسأل الله أن يوفقنا الى اتمام هذه  
الخدمة وهو حسبنا ونعم الوكيل

obeykandl.com

# الفصل الاول

## الخوارج

الخوارج جماعة من رجال الامام علي نقموا عليه لانه قبل التحكيم على أثر واقعة صفين ( راجع عذراء قريش ) وكانوا قبل ذلك في مقدمة الذين حرضوه على قبوله . لكنهم لما رأوا التحكيم آل الى الحكم بخروج الخلافة منه الى معاوية بن أبي سفيان نقضوا بيعته ونبذوا طاعته وطمعوا في السلطنة لانفسهم فبايعوا واحداً منهم اسمه عبد الله بن وهب حاربوا تحت رايته زمناً ولما صدر حكم الحكيمين بخلق علي وتثبيت معاوية اشتد ازر معاوية وبوبع بالخلافة في الشام . وكان الخوارج لا يزالون في بدء امرهم فأخذ علي يتجهز لحرب معاوية . وفيها هو يتجهز جاءه الخبر بتأب الخوارج وتمردهم فنصح لهم وجادلهم وبين لهم أنه لم يخطيء بقبول التحكيم وانه لم يقبله الا اجابة لطلبهم فلم يرتدعوا . فرأى ان يستأصل شأقتهم قبل خروجه الى معاوية فحاربهم في مواقع عديدة اشهرها واقعة النهروان وراء دجلة بالقرب من مكان بغداد انتصر فيها عليهم نصراً ميبئاً وشتت شملهم تشتيتاً ولكنهم ما زالوا يجتمعون سرّاً

وفي سنة ٣٨ هـ فتح عمرو بن العاص مصر وقتل محمد بن أبي بكر عامها وتولاها باسم معاوية فاصبح معاوية خليفة مصر والشام ومقامه دمشق وبقي علي في العراق والجزيرة والحجاز واليمن ومقامه الكوفة وأخذ معاوية يبعث سراياه الى بلاد الامام علي يلتمس افتتاحها للاستقلال بالخلافة . فأنفذ جنداً الى مكة وآخر الى اليمن وآخر الى الجزيرة يحاربون وينارئون ولكنهم لم يلبثوا ارباباً . فدخلت سنة اربعين للهجرة وعلي يتأهب للخروج على معاوية وقد بايعه اربعون الفأمن عسكره على الموت . وفيها هو في ذلك فاجأه القدر فمات مقتولاً كما سترى تفصيل ذلك في ما يلي

## الفصل الثاني

### الكوفة عاصمة الامام علي

هي مدينة اسلامية مصورها سعد بن أبي وقاص احد كبار الصحابة في السنة السابعة عشرة للهجرة على عهد الخليفة عمر بن الخطاب بعد ان فتح العراق وقد اشار عليه عمر ان يقيم في مكان لا يحول بينه وبين المدينة بحر ولا جسر حتى اذا اراد ان يقدم اليه على راحته قدم <sup>(١)</sup> فبنى الكوفة في غربي الفرات على شاطئ بحيرة كانت هناك بقرب مكان الحيرة بينها وبين الفرات بضعة وعشرون ميلا

وكان بناؤها في اول امرها بالقصب فأصابها حريق فاستأذنوا الخليفة عمر في بنائها باللبن فقال « افعلوا ولا يزيدن احدكم على ثلاثة ايات ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة يلزمكم الدولة » ففعلوا ذلك وجعلوا طرقها نوعين المناهج والازقة وجعلوا عرض المنهج عشرين ذراعاً وعرض الزقاق سبعة اذرع . وما بين المناهج اماكن البناء اربعون ذراعاً والقطائع ستون ذراعاً . واول شيء خطوه فيها المسجد . فوقف في وسط المدينة رجل شديد الزرع رمى الى كل جهة بسهم وامروا ان يبني ما وراء ذلك . واما الساحة حول ذلك الراعي الى مرمى سهامه فتبقى للمسجد

وبنوا في مقدمة المسجد ظلة أو رواقاً اقاموه على اساطين رخام من بناء الاكاسرة نقلوها من اخرة الحيرة . وجعلوا على الصحن خندقاً اثلاً يفتحها احد بنيان وبنوا لسعد بن أبي وقاص قصراً بجانب المسجد نقلوا حجارته من آجر بنيان الاكاسرة وسماه قصر سعد <sup>(١)</sup>

وما زالت الكوفة تعمر حتى اتخذها الامام علي مقراً له بعد واقعة الجمل سنة ٣٦ هـ فازدادت عمارتها بما تقاطر اليها من الناس بعد ان صارت

خاصة الخلافة وتكاثر فيها الابنية وعمرت الاسواق وانشئت حولها  
الحدائق والبساتين مما يلي بحيرانها

## الفصل الثالث

### غادة الكوفة

وكان في ضاحية الكوفة على شاطئ البحيرة حديقة من نخيل حولها  
سور من جذوع النخل يحيط بالحديقة الا من جهة البحيرة . وفي وسط  
الحديقة بيت مبني من اللبن يدل شكله على أن سكانه من أهل اليسار وقد  
ينخل لك اذا دخلت الحديقة انه مسكن بعض الامراء ذوي الخدم والحشم  
لما تراه بين نخيله من آثار المعائف والاوئاد والسلاسل والقيود . وترى  
جذوع بعض النخيل قد تأكلت من شد الامراس اليها على توالي الايام  
أو من تعهد الافراس تقشيرها وهي مشدودة اليها

وكان الوقت ليلا في أوائل السنة الاربعين للهجرة في زمن الخريف (١)  
وقد نضج الثمر على نخله وليس من يقطفه فتساقط بعضه على الارض  
وليس من يلتقطه . وكان القمر بدرأ وقد أطل من وراء الآكام فأرسل  
ظلال النخيل مستطيلة متقاطعة . والجو هاديء والسكوت سائد بعد  
المسكان عن المدينة وضوضائها فلا تسمع غير نقيق الضفادع على شاطئ  
تلك البحيرة يتخالطه صرير الصراصير وقرقرة القر . وربما هبّ النسيم  
فأسمعك حفيف سعف النخل هنيئة ثم انقطع . ولقد تمجّب لوحشة ذلك  
المسكان مع ما تراه من آثار الانس ودلائل الابهة

ولو دخلت المنزل لرأيت عبارة عن دار وثلاث غرف مستطرفة بعضها  
الى بعض مفروشة ارضها بحصر من سعف النخل فوقها جلود الماعز الا  
غرفة في ارضها طنفسة جميلة عليها وسائد من الخز . وفي بعض جوانب  
الغرفة مصباح ضعيف النور . وعلى احدى تلك الوسائد فتاة في مقبل

العمر أشرق وجهها بماء الشباب . وقد حلت شعرها الاسود فأرسلته على كتفيها فحجب بعض جبينها وغطى عذارها فحجب قرطها وسالفها ولكنه زاد عينيها كحلاً واشراقاً . ترى تينك العينين الدعجاوين البراقين قد غشيها الدمع واخذ ينحدر على وجنتين محمرتين بينهما أنف دقيق مستقيم تحته فم صغير . فاذا زاد انسكاب الدمع استلقته بأطراف جدائلها أو بأحد كميها . وكانت لابسة جلباباً أسود حداداً على فقيدتها . ولم يزلها ذلك الحداد الا جمالا وقتة . وكان تلك الغادة استأنست بوحدتها فأطلقت لنفسها عنان البكاء حيث لا رقيب ولا عدو فأخذت تاطم خديها وتذب فقيدتين عزيزين قتلا في يوم واحد

تلك هي قطام بنت شحنة بن عدي <sup>(١)</sup> من قبيلة تيم الرباب . تلك هي فتاة الكوفة الفتانة التي ذاع صيتها في الآفاق وسمع بجمالها القاصي والداني حتى اصبحت فتنة الكوفيين ومضرب أمثالهم . وقد شخصت اليها الابصار وحامت حولها القلوب فباتت معجبة بجمالها لا تعرف لها ولم تذق نغماً حتى بليت بقتل والدها وأخيها معاً

قتل والدها وأخوها في واقعة النهروان <sup>(٢)</sup> وكانا من جملة الخوارج الذين نعموا على علي لقبوله بالتحكيم فانضموا الى من نقض بيعته وحاربوا في جملة من حاربه

وكانت قطام نابتة الجأش شديدة الانتقام ذات حيلة ودهاء ما انفكت منذ قتل والدها وأخوها وهي تندبهما وتلمس الانتقام لهما ولكنها لم تكن تستطيع المجاهرة بذلك والكوفة مقر الامام علي ومجتمع أنصاره وشيعته . فأقامت في منزلها هذا في ضاحية الكوفة وحيدة ليس معها سوى عبد كهل ربي في اهلها منذ صباه . فلما بليت بمصبتها هجرها سائر الخدم والاعوان الا هذا وكانت ترتاح الى بث شكواها له وهو يخفف عنها ويمدها بنيل المرام

وكانت قد أنفذته في أصيل ذلك اليوم يستقدم لها عجوزاً من مولدات

(١) الخميس ج ٢ (٢) ابن الاثير ج ١

## المجوز لبابة

الكوفة كانت قد ربيت بين ذراعها منذ نعومة أظفارها وهي تحن اليها حنين  
الوالدة . فطال غيابها وسدل الليل ثقابه ولم يعد . فانشغل خاطرها وشغلت  
عن احزائها بالهواجس لانفرادها في ذلك المسكن . ولكنها كانت اذا  
سكنت هنيئة تذكرت والدها وأخاها ومن كان يقيم في تلك الدار من الخدم  
والعبيد فتعود الى البكاء والنحيب

## الفصل الرابع

### المجوز لبابة

وفيما هي في ذلك سمعت وقع اقدام مسرعة عرفت انها خطوات عبدها  
ريحان فأجفت ولكنها استأنست به فوقفت واسرعت لاستقباله . وكان  
ريحان طويل القامة شديد السواد خفيف العضل سريع الحركة جاحظ  
العينين أفطس الانف عظيم الوجنتين بارز الاسنان وبزيرتها بروزاً تدلي  
شفته السفلى وانحسار شفته العليا . وكان يستهلك في خدمة سيدته فابتدورها  
بالسلام . فقالت « وما الذي أخرجك يا ريحان وأنت تعلم اني وحيدة هنا .  
أين هي لبابة ؟ »

قال « انها قادمة سريعاً »

قالت « وما سبب غيابك حتى الآن »

قال « كنت في انتظارها وهي تخاطب شاباً وتجادله ... »

قالت « وأي شاب »

قال « لا أدري . . ها قد أتت وهي تقص عليك الخبر مفصلاً »

وما أتم كلامه حتى دخلت المجوز تتوكأ على عكازها وقد اكدودب  
ظهرها وأخذها الكبر فزادها قصرأ ولكنها ما زالت سريعة الحركة  
شديدة العصب وكانت عمصاء العينين غائرة الفم حلوفكيها من الاسنان بمعدة  
الخدين غائرتهما . فتقدمت الى قطام وقد غطت شعرها الشائب بنقاب اسود

يكاد يجبر وراءها لطوله وقصرها . وحالما دنت منها قبلتها وأخذت تخفف عنها وتقول « لا بأس عليك يا ابنتي اعذريني لا بطأني في الحضور » فلم تزد الفتاة الا بكاء وهي تقول « ما الذي يشغلك عني ياخالة وأنت تعلمين ان ليس لي معزٍ في احزاني سواك »

قالت « هوني عليك يا قطام واستريحى فقد جئتك بالفرج باذن الله » قالت « من أين يأتيني الفرج ولا يفرج كربتي الا الانتقام .. الانتقام » قالت ذلك وحرقت بأسنانها وهي تتشاعل بجمع شعرها وارسله الى وراء ظهرها . ثم مسحت عينيها بكها الطويل وارسلته الى كنفها فبانت اساورها ودمالجها حول معصمها الممتلىء ونظرت الى المعجوز كأنها تسألها الايضاح

فضحكت المعجوز وهي تنظر اليها وكأنها تذكرت أمراً محزناً فقطعت ضحكها بغتة

فاستاءت قطام من ضحكها وهي تبكي وقالت « ما بالك تضحكين أملك هزأين بكلامي . اني والله غير قانعة بغير الانتقام » فأمسكتها المعجوز بيدها وأقعدتها على الوسادة وجلست الى جانبها ونظرت الى ريحان نظرة فهم منها انها تلمس خروجه لتخلو بقطام . فخرج قلبت قطام ثابتة تنتظر ما تقوله المعجوز . فاذا هي قد تنجحت كأنها تهباً لحديث طويل ثم قالت « وماذا تريدن الآن يا قطام ؟ » قالت « أريد الانتقام لوالدي وأخي فقد قتاهما على ظلماً ولا بد من الانتقام »

قالت المعجوز « ما قولك اذا دبرت لك من ينتقم عنك ؟ »

قالت « ومن ينتقم . قولي .. »

قالت « طولي بالك ولا تكوني لجوجة .. أتعرفين سعيداً »

قالت « وأي سعيد »

قالت « سعيد الاموي الشاب الجميل الذي يحبك ويهواك »

قالت « دعينا من الحب والغرام وحدثيني عن الانتقام »

قالت « يا سبحان الله أحبي على سؤالي . هل تعرفين هذا الشاب فانه  
مغرم بك مفتون بسواد عينيك »

قالت « نعم اعرفه وما تفيدني معرفته . بالله عليك لا تذكرني الغرام  
الآن . انى لا اشعر بماطفة الحب ولا يهمني احبني الناس أو ابفضوني »  
فابتسمت العجوز ابتسامة الاستخفاف وقالت « يا للعجب ما اكثر  
لجأجتك ... قلت انك تعرفين سعيداً فهل تحبينه ؟ »

فأجابت على الفور « لا لا .. لا احبه ولا احب سواء . ان قلبي  
لا يشتغل اليوم إلا بالبغض . انى ابغض بعض الناس ولا أحب احداً »  
قالت « ولكن اذا كان لا بد من الانتقام فيجب ان تحبي سعيداً »  
قالت « كيف احبه وقلبي لم يبق فيه مكان لغير البغض والحقد انى  
حاقدة ناقة »

قالت « أنا اعلم ذلك ولكن أحبي سعيداً ولو موقناً وهو ينتقم لك »  
فبغتت قطام ونظرت الى العجوز وجعلت تنفرس في سحنها لتتحقق  
انها تتكلم الجذ . فلما آنست الجذ في لهجتها قالت « وهل تقولين حقاً هل  
يقدر هذا الرجل على ركوب هذا المركب الحشن . . »  
قالت « انى اجعله يركبه فاذا لم يكن اهلا له فهو ليس اهلا لحبك . .  
ما رأيك »

فصمت هنيهة ثم قالت « أحببه . نعم احبه ولو الى اجل قريب . .  
ولكننى لا اظنه اهلا لهذا العمل بل لا احسبه يقدم عليه . ولكن قولى لى  
الملك تتكلمين من عند نفسك ام انت على يقين مما تقولينه »

فاعتدلت تلك العجوز المحتالة في مجالسها ونظرت الى قطام نظر الاهتمام  
وقالت « اعلمي يا حبيبتى ان سعيداً هذا قد علق بك وأحبك منذ اعوام  
ولكنه لم يكن يجسر على مخاطبة المرحوم والدك بشأنك لان والدك كان  
يومئذ في جملة القامئين بنصرة علي . وسعيد كما تعلمين أموي . اى انه ممن  
نقموا على علي وقاموا للمطالبة بدم عثمان . فكان يعلم انه اذا طلبك من  
والدك يومئذ لا ينال غير الفشل . اما بعد ان خرج والدك رحمه الله من

طاعة علي في جملة من خرج بعد التحكيم حدثته نفسه ان يطلبك مخاطبيني في شأنك مراراً . ولكن والدك كان مشغولاً بمحاربة علي وشيعته فلم يتمكن من التوسط له . فلما علم بمقتله ومقتل اخيك . وأأسفاه عليهما ( وتهدت وهي تتظاهر بمسح دموعها ) عاد الى مخاطبتي في ذلك . وقد كنت ادافعه لعلمي بجزئك الشديد وهو مع ذلك ما زال يتردد علي ويستهنضي ويسذل كل من يخص وغال في سبيل التمتع بهذا الوجه الجميل . فجاءني اليوم وأعاد الكرة وبالغ في التذلل والاستعطاف فلمحت له انه اذا اصر على نيلك لا بد له من الانتقام لوالدك . فأنت منه ارتياحاً فاطلت الكلام معه وريحان في انتظاري خارجاً وهذا هو سبب تعيبي عنك . فما قولك ؟ »

فلما سمعت قطام كلامها استبشرت بنيل مرامها فقالت « وهل تظنين انه يعدني وعداً شافياً بالانتقام . هل يتعهد لي بقتل علي بن أبي طالب . اني لا اقبل باقل من ذلك »

قالت « اظنه يقبل ومع ذلك فاني استقدمه اليك ونظراً لما أعهدده من مهارتك في اساليب السياسة لا اشك في انه يتعهد لك بكل ما تريد منه وخصوصاً اذا أظهرت له ميلاً وقلت له انك تحببته وتنفقت في طرق الدلال والتمنع واشترطت عليه انك لا تزوجين الا بعد قتل علي . فاذا عاهدك صبرت حتى يقتله فاذا لم يفعل وأصاب حنقه كان دمه على رأسه والسلام .. ايه ؟ »

فاشرق وجه قطام وأحست بارتياح الى هذا الرأي وقالت « لا ريب عندي اني احمله على التعهد ... فاستقدميه لثرى ما يكون . ولكن قولي له اني لم اقبل بهد وبالغي بتمني وإبان وأنا أتم الحيلة »

فضحكت العجوز ضحكة طويلة وقالت ساحك الله يا قطام ألا تزالين تحسبيني فتاة مثلك وهل تجهلين أن قضيت هذه الشبهة . . ألا تعلمين اني قضيت عمري في مثل هذه الحوادث . فكم ازوجت من الرجال وكم اقنعت من النساء في الزواج بعد ان كان قبولهن ضرباً من المحال . . . لا تخافي علي . . ولا أنا أخاف عليك » قالت ذلك ونادت ريحان فاسرع

الها . فقالت له « هل تعرف الشاب الذي كان عندي الليلة »  
قال « نعم أعرفه »  
قالت « سر اليه انه لا يزال في المنزل حيث رأيتنا الليلة وقل له ان  
خالنك لبابة تدعوك اليها »  
قال « واذا أبي الحضور ماذا أقول له »  
قالت « لا أخاله الا سابقك في الطريق اذهب وادعه الى حالا »  
قال « سمعاً وطاعة » وخرج

## الفصل الخامس

سعيد

وكان سعيد شاباً أموياً في حوالي الثلاثين من عمره توفي والده وهو  
طفل فكفله جده وقضى صباه وشبابه مع جده في منزل الخليفة عثمان وكان  
شديدي التعلق به . فلما قتل عثمان كان سعيد وجده في مقدمة الناقين لثمان  
والمطالين بدمه . فلما كانت واقعة الجمل بجوار البصرة كان هو في جملة رجال  
أم المؤمنين وظل جده مقبياً في مكة لشيخوخته . ولما فشل جند أم المؤمنين  
وطادت هي الى مكة عاد هو معها وظل عند جده ولم يخرج لواقعة صفين  
ولكنه كان يتردد الى الكوفة وكان يسمع بقطاع هذه وجاها وقد  
رآها مراراً تحت الحمار فوقعت من نفسه موقماً عظيماً ولكنه لم يجسر على  
خطبتها لان والدها كان قبل تحكيم الحكيم من شيعة الامام علي فكيف  
يزوج ابنه لاموي يطالب بدم عثمان . فلما خرج الخوارج عن طاعة الامام  
علي بعد التحكيم استبشر بنيل مرامه على انه لم يتمكن من السعي في طلبها  
الا بعد مقتل والدها وأخيها . فجاء لبابة المعجوز كما تقدم فاستخدمت هذه  
المعجوز كل دهاؤها في اغرائه على قتل علي وتركت بقية الحيلة لقطاع لعلمها  
انها لا تقبل عنها دهاء ومكرأ  
وكان سعيد حسن الطوية قليل الاختبار وخصوصاً في ما يتعلق بدهاء

أولئك المعجزة . وكان جميل الصورة معجباً بجماله وكان الحب قد أعمى بصيرته فلم يعد يرى غير قطام ولم يحلم الا بالحصول عليها وهو لا يصدق انها ترضى به . فلما جاء المعجوز في تلك الليلة وخاطبها بشأنها واظهرت ما اظهرته من التمتع ازداد رغبة فيها وبذل كل مافي وسعه من الوعود في سبيل ارضائها وبذل للمعجوز كل ما يرضيها من المال والحلي فوعده ان تسعى في ترغيبها ومضت وزركته يتقلب على جمر الانتظار

فلما جاءه العبد يستدعيه اليها خفق قلبه وهرول مسرعاً وهو يتعثر باذياله فر في أسواق الكوفة وهو لا يرى شيئاً من الأسواق ولا ناسها لانشغال باله بما سيلقيه من البغته عند اجتماعه بقطام مني قلبه وغاية مرامه فكان اذا تصور رضاءها أشرق وجهه وكاد يطير فرحاً . فيعرض تصوره ما آنسه من التمتع عند مخاطبته المعجوز وما بدر منه من الوعد بالانتقام فتقبض نفسه ويطرب لهول ذلك العمل . ولكن هيامه كان يهون عليه كل عسير ويصور المحال ممكناً . فخيّل له ان قطام اذا رأت جماله وتحققت ما هو فيه من الوجد لا تلبث ان تقع في هواه وتغضي عن أمر الانتقام في مثل ذلك قضى سعيد طريقه وريحان بخطو امامه خطواته المتباعدة لطول ساقيه ويحاول الابطاء في مسيره لئلا يسبق رفيقه فلا ينتبه الا وقد تجاوزه فعاد يمشي الهوباء الى موازاته وسعيد لا يفقه شيء من ذلك . وخرجا من المدينة فانسا سكوتاً لا يسمع فيه الا صوت الحصى اذا عثرا ببعض منها لان الكوفة كثيرة الحصى والرمال<sup>(١)</sup> حتى وصلا باب البستان ودخلا بين النخيل . فقال العبد امهلي يا مولاي ريثما افتقد أهل المنزل ثم اعود اليك فظل سعيد يتمشى بين النخيل يتشاغل برؤية ظلالها مع ما يسمعه من نقيق الضفادع على شاطئ البحر وأخذ يهين نفسه لمقابلة قطام فاصلح عمامته ومشط شاربيه ولحيته ونفض جيبته واصلاحها ولبث في انتظار العبد فأبطأ عليه فانشغل خاطره وحدثته نفسه بالاستئذان والدخول الى الدار . وفيها هو بهم بذلك سمع حركة ومشياً وبعد هنيهة بان له نور عند الباب

وسمع ريحان بناديه فهروا وقلبه يخفق وركبته ترتعشان رعشة الحب والبغته . فعثرت رجلاه بحبل من الياف النخيل كان مشدوداً في جذع بعض النخيل حتى كاد يقع ولكنه تجاهل عن ذلك وتقدم الى باب الدار فاستقبلته لبابة مرحة ومشت أمامه وريحان يتقدمها بالمصباح . فدخلت به الغرفة التي كانت قظام فيها ودعته للجلوس على وسادة وجالست هي على وسادة وترك ريحان المصباح هناك وخرج

وكان سعيد يتوقع ان يرى قظام هناك فلم يرها فانشفل باله وزاد انشغاله لسكوت لبابة عن الحديث وجودها . فقال « مالي أراك ساكتة يا حاتة ألم ترسلي اليّ بالمجيء »

قالت « بلى »

قال « وأين قظام »

فتهدت وقالت « هي هنا في الغرفة الاخرى وسنذهب اليها بعد قليل »

قال « أراك في قلق . . . ما الذي جرى . . . قولي »

قالت لم يجر شيء . . . » وتظاهرت كأنها تكتم خبراً

فقال « وكيف . مالي أراك كئيبة اخبريني لقد نفذ صبري »

قالت « لا ينشفل خاطر ك يا ولدي اذ ليس هناك ما يدعو الى القلق .

غير اني حلت من استعطف هذه الفتاة وترغبتها ونشويقتها فلم أر منها الا

البكاء والنحيب ولم أسمع الا قولها « الانتقام الانتقام » ومن يخاطبها بغير

هذا الموضوع لا يسمع منها جواباً »

قال « ألم تذكر لي لها شيئاً من حديثي معك »

قالت كيف لا وهي لو لم أذكر لها اسمك مشفوعاً بوعدك بالانتقام

لما أجابني « ثم أدت فيها من أذنه وقالت « ولكنني آنت من خلال

ذلك النعم انها ترتاح الى ذكر اسمك وأظنها تحبك كثيراً ولكن انشغالها

في الانتقام شغلها عن الحب ولذلك فقد سرت لما أخبرتني بوعدك ولكنها

لم تصدق قولي كأنها تحسبني أقول مزاحاً أو لعلها استبعدت ذلك منك أو

خافت عدوك عنه لجهلها ما أنت مفطور عليه من الحمية وكرم الاخلاق »

قالت العجوز ذلك بنعمة تدل على ثقتها التامة بشرف نفس سعيد وصدق وعده . ثم شغلت نفسها بالتحنجة والسعال ومسح آفاقها مما يتحجب فيها من الدمع المتواصل لضعف الشيخوخة وصبرت لترى ما يبدو منه قبل أعمام الحديث . أما هو فأثر قولها فيه وهاج ما في قلبه فقال لها « لا ألوم قطام فلها لا تعرفني بعد فهي معذورة اذا ساءت الظن بي . . . ولكن ابن هي أربني اياها فأؤكد لها وعدي فتعلم من هو سعيد . . . »  
قالت « هي هنا »

## الفصل السادس

### اللقاء

وحملت لبابة المصباح بيدها ومشت امام سعيد الى غرفة أخرى ليس في أرضها الا حصر فوقه بمض جلود الماعز وقطام جالسة الارباء وهي تبكي وشعرها محلول . فلما رأت النور يقرب من غرفتها أسرعت فضمت شعرها وأرسلته الى ظهرها وغطت رأسها بنقاب أسود . ولم تكذب تفعل ذلك حتى دخلت العجوز وهي تقول « خفي عنك يا قطام وارقي بنفسك واشفقي على شبابك لقد كفاك بكاء ونحياً . انهضي فسلمي على سعيد الذي مات لك انه يحبك »

فقطعت قطام كلامها قائلة « كم قلت لك لا تذكرني الحب والغرام بل اذكرني القتل والانتقام . اني لا أحب الا الانتقام ومن ينتقم لي فهو خليق بان يحبني . ولكن . . . »

فتقدم سعيد وقد أصبح بعد رؤية قطام في تلك الحال لا يرى شيئاً غيرها ولا ينبغي الا رضاها فشق عليه قولها « ولكن » لما ينطوي عليه من الاستدراك الذي يجلب نفسه عنه . فقال لها « ألا ترضين يا قطام أن أكون أنا المنتقم لك . . . »

قالت وهي تتظاهر بعدم الاكتراث « لا . . . لا أرضى أن تعرض

نفسك لهذا الامر من اجلي فاني أولى منك بركوب هذا المركب الحشن « ثم رفعت يدها وأشارت بسبابتها الى صدرها وقالت بصوت تتخلله غصة البكاء « أنا أقتل قتلة أبي وأخي بيدي . . أنا أقتلهم . أنا أقتل علياً وان كنت فتاة ، ان حب الانتقام يقويني ويشجمني . . . ولا حاجة بي الى تعريض سواي لخطر القتل . . انك شاب لا يهتك من امر علي شيء فكيف تتكلف قتله عبثاً . . ذلك لا يكون »

فأخذ سعيد بكلامها وحسبه صادراً عن شهامة وغيره حقيقتين فازداد رغبة في الاقدام على ذلك العمل . فقال لها « كيف تقدمين يا مليحة على هذا الامر وأنا بين يديك . أملك لا ترين في الكفاة . كيف تقولين انه لا يهمني من امر علي شيء وانت تعلمين ان بني امية كافة يطالبونه بدم عثمان وأنا منهم واذا قتلته فاني ارضي بني امية فضلاً عن ارضاء قطام . . ان بذل النفس في سبيل ارضائها هين . . واذا أذنت لي ان ادعوك حبيبتي فكل شيء علي . . »

فلما تحققت قطام وقوعه في الشرك بقي عليها ان تتمكن من وعده بصك تستكتبه إياه فأمسكت نقابها بيدها وتظاهرت باصلاحه فانكشف معصمها فرأى الاساور والدمالج وبانت عيناها وقد ذبلتا من البكاء فازدادتا جمالا ورنتم اليه شزراً وتأملته كأنها تزن مقدرته على ما وعد به . اما هو فلا تسأل عن حاله بعد تلك النظرة فثارت عواطفه ونظر الى المعجوز كأنه يحرصها على التوسط في الامر . فتظاهرت لبابة بأنها تساعد في غرضه وقالت لها « ألم يكفك ما قاله هذا الشهم ألم اقل لك ان وعده صادق وفضلاً عن ارضائك بقتل علي فهو يرضي عشيرته واهله ايضاً . واعلمي يا قطام انه لا بد من رجل يقتل هذا الخليفة ومن يسبق الى قتله فانه صاحب النصيب الاوفر والاجر الاعظم . . »

فقطعت قطام كلام المعجوز قائلة « أنا اعلم انه مقنول لا محالة واذا لم يبق من الرجال من يفعل ذلك فعلته أنا بيدي . انظري الى هذه الحلبي في معصمي واذني اني لم انزعها ليس لانني لم احزن على والدي وأخي . . آه

رحمها الله . . بل لاني واثقة من الانتقام لها وكانني احسب ثأري حاصلًا في قبضة يدي ومتى اخذت بالنار فقد احييت القتلين فكيف احزن . . .  
 أما ما قاله سعيد فهو فضل منه ولكن الانسان يا خالة عرضة للتردد فلعل سعيداً اذا خرج من عندنا يرى رأياً آخر أو يهيب من هذا الامر فيعدل عن الوعد . فأننا لا اريد ان اقيده بهمدارى في نعمة كلامه ما يبدل على خوفه منه . . . لا اقول انه يخاف وقتل هذا الخليفة من اهون الامور . ولكنني لا أرى ان اكفه وعداً اذا خلا نفسه دعماً ندم عليه . . . »

## الفصل السابع

### الصك

فهم سعيد بالتكلم ليؤكد لها صدق وعده فأوقفته المعجوز عن الكلام وتظاهرت بالدفاع عنه وقالت « اسمحي لي يا قطام بكلمة اقولها لك . انت لا تعرفين سعيداً بعد ولكنني اعرفه واعرف صدقه وانا اقول لك بالنيابة عنه هل تريدن ان يكتب لك صكا على نفسه انه يفعل كل ما قاله لك »  
 فلما سمع سعيد ذكر الصك تهيب وعظم الامر عليه وكأنه صحا من سكرته لحظة تبين فيها خطارة ذلك الامر ثم عاد الى سكرة الغرام وزاده تثباتاً في ذلك ما سمعه من كلام المعجوز الدال على ثقها به وبوعده  
 اما قطام فكانت تنظر الى كل حركة تبدو من سعيد فلم يفتها ما جال في خاطره ساعتئذ من الندم وهو يحاول التظاهر بخلاف ذلك . فلكي تحمله على كتابة الصك من تلقاء نفسه قالت للمعجوز « أراك أقت نفسك نائبة عنه في امر لا تصح النيابة فيه وهو غير راض به وفي سكوته أكبر دليل على ذلك . فدعينا من هذا الموضوع ولا تعرضي سعيداً لهذا الخطر وانت تعلمين ما فاتته لك عنه وماله من المنزلة في قلبي وان اكن قلما رأيت فافضل ان اعرض نفسي للخطر ولا اعرضه »

فعمم ذلك القول على سعيد وثارت الحمية في رأسه فهض بفته وقال لها  
أنحسين سكوتي يا قطام عن تردد أو خوف . . . لا وجبك ما انا ممن  
يضمنون بالنفس في سبيل الحب وكيف تقولين انك تفعلين ذلك عنى . . وربما  
ترددت في بادىء الرأي . واما بعد ان علمت بما عندك نحوى فاني اكتب  
الصك ولا ارضى الا بكتابه . . هاتوا رقاً ومداداً « فهضت العجوز حالا  
لاستحضار الرق والقلم وكانت قد اعدت كل شيء قبل بحيثه

فاغنم سعيد غيابها وازاح مقعده واصلحه بحيث يواجه قطام . اما هي  
فقطرت اليه وابتمت وقالت بصوت تنخله نعمة الدلال « لا تعرض  
نفسك للقتل يا حبيبي وما لنا وللصكوك ألا يكفيننا القول »

فما صدق سعيد ان آنس منها هذا التقرب وضع قولها « حبيبي » فجعل  
يبالغ في حبه وغرامه واستهلاكه في سبيلها وطابت له تلك الحلوة القصيرة  
فتبادلا فيها من عواطف الحب ما لا تفي بشرحه المجلدات وسعيد يحسب نفسه  
اسعد انسان على وجه الارض لحصوله على حب قطام . وهي انما همها من  
كل ما جرى اغراؤه على قتل علي وقد اضمرت في باطن مرها انه اذا  
انتقم لها تروجه وان تكن غير مغرمة به واذا فشل في مهمته فلا اسف  
عليه اذا قتل . فاذا كتب الصك لا يجسر على الرجوع عن وعده

وأدركت العجوز ان في ابطائها وسيلة لتبادل الاشارات واللحظات وزيادة  
التمكن من الاغراء فابطأت لغير داع ثم عادت ويدها رقى من جلد الماعز  
وقلم من القصب وقرن ايل فيه مداد اسود . فلما رآها سعيد وتحقق كتابة  
الصك عاوده الخوف وحدثته نفسه بالرجوع عن الوعد ولكن الحياء  
والحب منعاها . ولم يخف ترده عن قطام فتلاقت ذلك بابتسامة ونظرة  
وهو يرنو اليها ويقول في نفسه « ما اسعد هذا اللقاء وما اجل هذا  
الحبيب لولا ما اشترطه من العقبات » ولم تترك قطام فرصة يفكر فيها فقالت  
للعجوز « لمن أثبت بهذه الادوات يا خالة »

قالت « أثبت بها الى سعيد »

قالت « أترجين منه ان يكتب الصك . لا لا أظنه يكتبه ( وابتسمت

وهي تزنو اليه شزراً) وكأني به ندم على ما فرط منه لا عن جبن او خوف لا سمح الله ولكنه رأى قطام لا تستحق هذه العناية واره يقول في باطن صره ( أمن اجل امرأة مثل هذه اقتحم مثل هذا الخطر الهائل ) . . . »  
قالت ذلك ونظرت اليه نظر المحب العائب

فلما سمع سعيد كلامها ورأى فيها ذلك الدلال نسي كل خطر واستولى عليه الخجل ولم ير له مخرجاً من خجله الا بالبادرة الى الرق فتناوله من يد لبابة وامسك القلم وقد أخذ منه الهيام مأخذاً عظيماً حتى توردت وجنتاه واحمرت عيناه . فوقفت العجوز الى جانبه والمصباح في يدها فكتب ويده ترتعش وهو يتجلد لثلاً يبدو ذلك لقطام فتظنه خائفاً واليك نص كتابه :  
« أنا سعيد بن .. الاموي أعاهد قطام بنت شحنة على قتل علي بن أبي طالب مهراً لزواجي بها واذا لم افعل ذلك كنت لا استحقها وعلي عهد الله وميثاقه  
كتبه سعيد الاموي »

## الفصل الثامن

### تمام الحيلة

فلما فرغ سعيد من كتابة الصك دفعه الى قطام وقد ظهرت عليه ملامح الافتخار بأنه لم يكن جباناً كما ظنته ولكنه لم يكذب يدفعه اليها حتى احس بالخطر الذي عرض نفسه له . على انه لم يستجل ذلك الخطر جيداً لما حال بينه وبين عقله من غياهب الوجد والهيام

أما قطام فتناولت الرق وقرأته بلا اكترات ثم نظرت الى سعيد باستغراب وقالت « يظهر انك كتبت الصك حقيقة أليس عاراً على قطام ان تأخذ منك صكاً على عهد عاهدتها عليه في مثل هذا الموقف كأنك اتخذت كلامي مأخذ الجبد وقد قلت لك الآن اني لا أبالي من يقتل علياً فاذا لم يقتله احد قتله أنا . أما وقد كتبتة بخط يدك فاني احفظه عندي تذكراً لهذه

الليلة التي اعدّها من ليالي العمر . . . وارجو نجتمع قريباً وقد نانا المرام »  
قالت ذلك وفي صوتها غنة الدلال

فصدق سعيد كلامها واطمان باله من قبيل الشرط الذي اشترطه على نفسه وانصك الذي كتبه بيده ولكنه علم بأنه لا ينال قطام الا بعد قتل الامام علي فعاد الامر الى خطورته فانقبضت نفسه وأحب الاختلاء فالتبس الخروج . فقالت له قطام « امكث عندنا . . أو اذهب لعلك تهدي الى سبيل يقرب زمن اجتماعنا الدائم » قالت ذلك وابتسمت ورنّت اليه كما يرنو الحبيب اذا التمس من محبه امرأ يخشى ان يكون بعيد المنال . فودعها سعيد وخرج فشيخته لبابة فرأيا رجحاناً لا يزال ساهراً في الحديقة يطوف حول المنزل خوفاً من الرقباء والعيون

ولما خرجت لبابة بسعيد قالت له وهي تضحك « اني اهنتك برضاء هذه الغادة فقد نلت الليلة ما طالما تحسر عليه أهل الكوفة بل سائر اهل العراق ومن الغريب انها كانت مع فرط حزنها لا تستطيع النظر اليك الا وهي تبتم . . فما اجل الحب اذا كان متبادلاً . واما مسألة الصك فما هي من الاهمية في شيء . وهب انك رأيت في طريقك خطراً فهل ترضي قطام ان تعرض نفسك له » فودعها ومشى وحده وهو يتعثر بأذياله . وكأنه غادر قلبه عند قطام فخلا بعقله وعادت اليه هواجسه فتصور خطورة الامر الذي عرض نفسه له . ولما لم يبق له حيلة في الرجوع عن عهده بعد كتابة الصك جعل ينتحل لنفسه اعذاراً تخفف قلقه وتحسن له ارتكاب ذلك المتكر . فخيّل له اذا قتل علياً انه ينتقم لسائر بني امية ويفاخرهم جميعاً بما لم يستطعه احد منهم . فينال حظوة في عيني معاوية فضلاً عن تمتعه بقطام . ولما تصور قربه منها اختلج قلبه في صدره وهان عليه كل عسير

فشي وهو في مثل هذه الخيالات الكاذبة حتى دخل الكوفة ومر بجامعها القائم في وسط الساحة الكبرى . وكان الجو هادئاً والقمر نيراً فرأى ما يحدق بمنزل الامام علي من الابنية والحيام بمن فيها من كبار بني هاشم وغيرهم من شيعته . وهو يعرف منهم جماعة صناديد لا يهابون الموت .

فألبث أن تصور ذلك حتى خارت قواه وكبر عليه الأمر ولكنه ظل ماشياً  
يلتمس منزله وهو يفكر في حيلة ينال بها بقتيه

## الفصل التاسع

### طارق مفاجيء

وكان منزله في بعض أسواق الكوفة فوصله وهو يظن نفسه لا يزال  
بعيداً عنه وإنما ذهبه إلى ذلك جمجمة حمل رايض في فئائه فظنه في بادىء  
الرأي جملة وهو يعهد أنه أرسله إلى مأواه قبل خروجه . فدخل الفناء  
فرأى هناك جمالا وأناساً كأنهم قادمون من سفر فبغت . فتقدم إليه واحد  
منهم ولم يكذب يلقى عليه السلام حتى عرف أنه من رجال جده أبي رحاب  
فذهل ولم يرد التحية ولكنه قال له « ما وراءك يا عبدالله ما الذي جاء بك »

قال « انا قادمون من عند جدك مولانا أبي رحاب »

قال « وما الذي حملكم على المجيء »

قال « جئتك في مهمة مستعجلة »

قال « وما هي »

قال « ان ابا رحاب بما تعرفه من شيخوخته وضعفه قد بعثنا نستقدمك

إليه سريعاً »

فذهل وصاح قائلاً « وما الذي اصابه ألعله مريض ؟ »

قال « هو مرض الشيخوخة ولكنه مشتاق لرؤيتك وقد امرنا ان

نستقدمك حالا »

قال « وأين هو »

قال « هو في مكة كما تعلم »

قال « أأذهب إلى مكة الآن »

قال « ذلك ما أمرنا به فافعل ما بدا لك »

فلبث مدة صامتاً يفكر ثم مشى وهو يقول « لا حول ولا قوة الا بالله

العلی العظیم « وسار عبد الله في أثره حتى دخلا المنزل وها صامتان . ثم التفت سعيد وهو ينزع عباءته وقال « لا بد من أمر ذي بال يدعوني جدي إليه فهل تعرفه »

قال « لأخاله استدعاك الا ليراك قبل حلول أجه لانه شاخ وضعف وأنت تعلم انه يحبك ولا رجاء له سواك »

قال « لاحتية لنا في القعود فلبت الليلة ونصبح مسافرين » وقضى ليلته يفكر في قظام وسفره

ولما أصبحوا ركب سعيد ناقته وركب عبد الله ورفاقه جهالم وهموا بالمسير فرأى سعيد ان يودع قظام قبل السفر فاستمهل رفاقه ريثما يعود اليهم وسار ياتمس منزلها وهو في لباس السفر . فلما أشرف على المنزل تذكر ليلته أمس ولكنه لم يضطرب لانشغال خاطره في جده وقد خاف عليه الموت قبل وصوله اليه . ووصل المنزل فلقى رجحانا فسأله عن قظام . فقال « انها خرجت في حاجة وسوف تعود »

فقال « الى أين ذهبت »

قال « الى مكان لا أدري أين هو »

فشغل بال سعيد لخروجها في ذلك الصباح وهو لا يرى ما يدعو فتاة منها الى الخروج فدبت الفيرة في قلبه فقال « وهل مضت وحدها »

قال « سارت مع لبابة »

قال « أتظنها تبطيء كثيراً »

قال « لا أدري وربما ظلت الى المساء أو الغد اذ ينخيل لي انها التمس بعض أهلها في مكان خارج الكوفة »

دار الحديث بينهما وسعيد لا يزال راكباً جملة يتردد بين ان ينتظر عودتها قبل سفره أو أن يسير . وود لو يعلم أين هي ليضيي اليها فيودعهم ويذهب شيئاً من غيرته عليها . ولو تحقق بحيثها بعد ساعة أو بضع ساعات لفضل الانتظار ولكنه خاف أن يطول غيابها أياماً . فعول على المسير الى مكة فقال لريحان « اقر قظام السلام عند رجوعها وقل لها اني شاخص

الى مكة لامر يدعو الى الاسراع وقد جئت لوداعها فلم أجدها . على اني  
سأعود قريباً بأذن الله «  
قال « حسناً »

فودعه وعاد فانضم الى رفاقه وسار ياتمس مكة وقلبه في الكوفة . ولم  
يكذب يخرج منها حتى ندم على خروجه ولم ير قطام . ولكنه التمس عذراً  
لنفسه بما دعاه الى العجالة من أمر جده

## الفصل العاشر

### ابو رحاب

وكان أبو رحاب جد سعيد شيخاً طاعناً في السن كما تقدم . ربي سعيد  
في حجره بعد موت والده وكان كلاهما على دعوة بني أمية في المطالبة بدم  
عثمان . ولم يكن غرضهما من ذلك الا الانتقام لعثمان لانهما أقاما زمناً طويلاً  
في منزله . وكان أبو رحاب مع شدة حبه لعثمان لم يفضل عما كان فيه من  
الخطأ الذي دعا الناس الى اضطهاده وكثيراً ما كان يحرضه على الاصلاح  
ومصالحة المسلمين فلم يصغ له الا قليلاً . وعلم أبو رحاب بعد ذلك ان جماعة  
من ذوي الاغراض كانوا يثبونه عن الاصفاء ويحرضونه على العداة . حتى  
اذا قتل عثمان كان أبو رحاب وسعيد في جملة المطالبين بدمه ولكنهما مالبتا  
ان عادا من واقعة الجمل حتى قعد أبو رحاب عن المطالبة لانه تحقق ان  
أصحاب تلك الواقعة انما حاربوا علياً طمعاً في الملك لا غيرة على عثمان

وأقام في مكة مدة لاتسلية له الا سعيد وكان سعيد ينوي الانضمام الى  
جند معاوية في واقعة صفين فتمعه جده . وكان أبو رحاب يعلم ان سعيداً يحب  
قطام حباً شديداً وانه ساع في التزوج بها . ولذلك فانه كان يأذن له في  
الخروج الى الكوفة لتلك الغاية . وطال غياب سعيد هذه المرة وأحس  
أبو رحاب بزيادة الضعف فاراد استقدامه ليتزود من رؤيته قبل موته  
ويوصيه وصية لها علاقة كبرى في شؤون حياته وربما غيرت مجاري أعماله

وحولته عن مقاصده وآماله . فبعث رجلاً من خاصته اسمه عبد الله في وفد إلى الكوفة لهذه الغاية . ولبت ينتظر رجوعهم وهو يتقلب على فراش الضعف والهرم كأنه يستعمل ملاك الموت ريثما يصل حفيده أثلاً يذهب مافي نفسه ادراج الرياح وتضيع حياة سعيد عبثاً

أما سعيد فإنه قضى مسافة الطريق بين الكوفة ومكة وهو بين شوق إلى قطام وقلق على أبي رحاب . وكان من شدة فرحه بقطام أنما يود بقاء جده حياً ليبشره برضاها وقبولها لأنه طالما شكاه له رغبته فيها . وكان أبو رحاب يتمناها له . وكان سعيد إذا فكر في ذلك فرح ثم يعترض فرحه أمر الصك وقتل الامام فيضطرب فيعمل نفسه بما يناله من الفخر إذا قتل علياً فضلاً عن استرضاء جده لأنه يظفيء ما يحيش في نفسه من نار الانتقام لعثمان فيفرحه قبل موته

قضى أكثر أيام الطريق في مثل هذه الهواجس لا يبالي بمن حوله من الرفاق كأنه سائر وحده . ولم يكن يشغله عن ذلك ما يلاقه في سبيله من الجبال والودية والصحارى ولا ما يمر به من الربوع والاحياء والحيام حتى أشرف على مكة من اكمة . فاذا هي في منبسط من الارض تحيط بها الجبال والكعبة قائمة بين ابنيها قيام الملك بين الاعوان . وكانت الشمس قد مالت نحو الغروب فاسرع في مسيره يلتمس منزل جده وقلبه يخفق خوفاً عليه من بأس بصيده قبل وصوله

## الفصل الحادي عشر

### بيت أبي رحاب

ولم يكده يدخل مكة حتى سدل الليل نقابه فساق ناقته يلتمس المنزل قبل اشتداد الظلام وترك رفاقه يهتمون بشؤونهم . وكانت عادته اذا دخل مكة ان يطوف الكعبة قبل الذهاب الى البيت ولكنه سار في هذه المرة تواء إلى المنزل وهو يضطرب خوفاً على حياة جده

فخرج في منعطف يؤدي الى البيت رأى فيه أناساً عرف انهم من  
الاهل والاصدقاء فحياءهم وسألهم عن حال أبي رحاب . فلما عرفوه طمأنوه  
وسبقه بعضهم ليشر المريض بقدم حفيده . فلما اطمأن بال سعيد على  
حياة جده هدأ روعه وترجل عن ناقته وسلمها الى بعض الخدم ومشى وهو  
لايزال بالعباءة والكوفية والسيف . فانتهى الى باب كبير مقفل دخل من  
خوخته ولم ينتظر ان يفتحوه له . فمر في قناء لم ير فيه أحداً وسار تواء الى  
الغرفة التي يقيم فيها جده عادة وفيها مصباح منير دون سائر الغرف . وقبل  
وصوله الباب استقبله رجل خارج من عنده يمشي الهويناً على رءوس أصابعه  
مخافة أن يوقظ المريض من نومه العميق . فعرف سعيد انه من بعض أهله  
فسأله عن حال جده

فقال له « انه مستغرق في الرقاد وقد مضى عليه بضعة أيام لا ينام فلما  
أحس بالنعاس الآن أخرج الناس من غرفته ولم يبق سواي وأوصاني أن  
لا أوقظه الا اذا جئت أنت »

قال « دعني أدخل وأراه وهو نائم قال ذلك ونزع حذاءه خارجاً  
ودخل وهو يسترق الخطى . فوطيء العتبة وأطل على الغرفة فاذا هي مضيئة  
بمراج على مسرحة قصيرة من الخشب الصلب فوق حافة بارزة من الحائط  
بجانب فراش المريض . وكانت فتيلة السراج نحينة يتصاعد من لهيبها سناج  
يتطاير فيترك في صعوده آثاراً سوداء على الحائط بجانب السراج ولو كان  
لون الحائط نقي البياض لظهرت آثار السناج أكثر جلاء ولكنه كان  
مدهوناً بطين اسمر

وتحول سعيد نحو الفراش وقلبه يخفق لئلا يكون رقاد جده ابدياً كما  
يتفق لكثيرين ممن يرمون فيموتون وهم نيام . فمشى على حصير من سعف  
النخل يكسو ارض الغرفة عليه غطاء من جلد مصقول هو بمنزلة البساط  
وسار نحو الفراش . وكانوا لما اشتد به الضعف رفعوه عن الارض الى مقعد  
مستطيل ظهره شبكة من نسيج الجلد وهي قدود من جلد يشدونها بين  
جوانب المقعد كالشبكة يجلسون عليها مباشرة او يجعلون فوقها الفرش او

نحوها . وكان أبو رحاب قد توسد فراشاً رقيقاً والتحف ببرد من صوف  
أسود يغطيه الى أعلى الصدر وقد توسد على ظهره ويداه مضمومتان تحت  
اللحاف وعيناه مغمضتان يظللهما شعر حاجبيه فيزيدهما غوراً

وحالنا اقترب سعيد من جده رمى ببصره الى صدره ايرى تنفسه فاذا  
هو يتنفس تنفساً هادئاً فهدأ اضطرابه وسكن بلباله ولبث واقفاً يتأمل في  
ظواهر الهرم . وتذكر أن جده كان من كبار الهامة طويلاً وعرضاً فراه  
قد أصبح هيكلاً من عظام مكسواً بالجلد . أما وجهه فلم يكن ظاهراً منه الا  
الانف والجهة وما بقي منه كان مغطى بالشعر الابيض الناصع . وازداد ذلك  
المنظر رهبة حينئذ لضعف النور حتى خيل لسعيد لما أشرف على فراش  
جده أن رأسه كتلة من القطن المندوف يتخللها ثنيات مظلمة هي الانف  
والوجنتان والجهة وأما ما خلا ذلك فقد غطته اللحية والشاربان والحاجبان  
واستطالت لحيته وانبسبت حتى غطت عنقه وصدره ولكنها كانت قليلة  
الشعر تشف عن عنق دقيق مستطيل بانث عضلاته وفي مقدمها القصبة قد  
برزت بروزاً عظيماً أما الرأس فقد كان خالياً أو لعله أصلع

وكان شيخنا الراقد قد دله قلبه المستيقظ على بحىء حفيده فتحرك  
وعامل ثم فتح عينيه البراقتين وأجال نظره في جوانب الغرفة حتى وقع على  
سعيد فتبسم . فلما رآه سعيد قد استيقظ جثاً أمام فراشه وهم بتقبيل يديه .  
فرفع أبو رحاب ذراعيه وضم سعيداً الى صدره وطفق يستنشق رائحة  
عنقه وخديه بلهفة وسعيد يطاوعه بكل حركة يريدها . فأطال أبو رحاب  
عناقه وسعيد صابر حتى أحس بماء ساخن ينحدر على خده علم أنها دموع  
سخينة ولكنه لم يدر دموع الحزن هي أم دموع الفرح . على أنه خاف  
على جده فاستأذنه ونهض عن صدره فراه يحاول الجلوس فأعانه عليه بيديه  
ونظر اليه وهو جالس فذهل لشدة ضعفه حتى تحييه قفصاً من عظام  
استدل على ذلك مما انكشف من عنقه الى أعلى الصدر

اما أبو رحاب فأخذ يصلح لحيته وشاربيه ويمسح عينيه . ثم تنحج  
ومد يده الى سعيد فعلم هذا انه يريد يده فدفعها اليه فأمسكها أبو رحاب بين

يديه فأحس سعيد كأنها مقبوضة بأصابع من حديد ليوسه أنامله وجفاف  
جلدها وبرودتها ولكنه شعر بارتعاشه ارتعاشاً متواصلاً هو من دلائل  
الضعف الشديد

## الفصل الثاني عشر

### انقلاب غريب

وما زال سعيد يتخيل في جده الضعف الشديد حتى سمع صوته فإذا  
هو كما يعهده جهوري رنان . فاستأنس به واطمأن بالله لسماعه . وأول كلمة  
سمعا منه قوله « الحمد لله على مجيئك سالماً . لقد أطلت الغيبة على يا ولدي »  
قال « لقد جئتك سريعاً حالماً علمت برغبتك في ذلك كيف انت الآن  
وبماذا تشعر يا جداه »

قال « كنت أحسبني على شفا الموت واكنني لما رأيتك وأمسكت يدك  
شعرت برجوع قواي . فانا الآن كما تعرفني من عشر سنوات وكأن الله  
شدد عزمي لا يمكن من تزويدك بنصيحة هي آخر ما أتلفظ به في  
هذه الحياة »

قال « أني أشتاق لصائحك كل حين ولكنني أرجو أن يمد الله في  
أجلك لتشهد زواجي بقطام » ثم انفت يمنة ويسرة لئلا يسمعه أحد فرأى  
المكان خالياً من الناس فقال بصوت منخفض « وتفرح بما سيتقدم ذلك  
من الانتقام الذي طالما تأقت نفسك إليه »

فنظر الشيخ إليه بعينين رأى سعيد بريقهما من خلال الحاجبين وكان  
قوس الشيخوخة واضحاً حولهما ثم سمع جده يقول « أما زواجك بقطام  
فقد فهمته وسرني بلوغك مرامك وأما الانتقام فلم أفهم علاقته بها »  
فتبسم وقال « ألا تذكر يا جداه ما قناه منذ اعوام وقام به كل بني أمية

من المطالبة بدم الخليفة المقتول ظلماً . وهل تجاسر أحد على الانتقام بقتل  
القاتل ليخلو الجولنا «

فقطب الشيخ أسرته كأنه غضب وقال « من هو القاتل ومن سيقتله »  
فأدنى سعيد شفتيه من أذن جده وقال « ان القاتل علي بن ابي  
طالب وأنا سأقتله ولا يخفى عليك ما في ذلك من الفخر والفضل فانما أبغي  
بقائه ليم ذلك تحت جناحك . . . »

ولم يصبر الشيخ على سماع بقية الحديث لعظم اضطرابه وحنقه وعرف  
سعيد حنقه مما رآه من ارتعاش يديه واختلاج شفتيه واهتزاز لحيته . ولا  
تسل عن دهشة سعيد لما سمع جده يقطع عليه الكلام قائلاً بصوت غنيف  
« لا لا . لا يا سعيد . . . لا تقتلوا البريء »

فذهل وظن جده لم يفهم كلامه فقال له « تمهل يا جده . وأي بريء  
تعني أي سأنتقم من علي بن ابي طالب فكيف تقول انه بريء وأنت أول  
من دعا الى المطالبة بدم عثمان منه . يظهر انك أخطأت مرادي »  
قال « كلا أي لم أخطيء مرادك فلا تخطيء أنت مرادي . ان علياً  
بريء . . . انه بريء مما أتهمناه به . انه لم يقتل عثمان ولا ملاً على قتله ولا  
أراد سوءاً بالمسلمين ولا ارتكب أمراً يستوجب نقمة »

فوقف سعيد وهو يحسب نفسه في منام لعله أن جده كان من أول  
الناقين على علي فكيف انقلب الى الضد من ذلك . فتبادر الى ذهنه أن  
جده إنما يتكلم عن خرف . وأدرك أبو رباح ما جال في خاطره . فقال له  
« لا يخالجن ذهنك شك في صحة عقلي فاني إنما أقول ما أقوله عن روية  
وصدق نظر ولم أستقدمك من العراق الا لهذه الغاية . ولا أقول ذلك  
جزافاً بل أثبته بالبرهان »

وما زال سعيد مذهولاً مستغرباً لكنه صبر نفسه الى آخر الحديث  
فقال « وما الذي دعاك الى هذا التغيير العظيم . كيف يمكن أن يكون ذلك  
وكيف يمكن أن يكون علي بريئاً من دم عثمان بل كيف تعترف أنت ببراءته  
وقد كنت من أول القائلين بآثامه »

فأشار الشيخ بيده الى سعيد أن يجلس ويهدىء روعه ويصبر نفسه الى سرد البراهين ثم قال « أما ما دعاني الى ذلك فهو هاتف سمعته يقول ويكرر القول ( ان علياً بريء وأنا يتهمه أهل المطامع والاعراض ) وكنت كيفما توجهت أسمع هذا الصوت يرن في أذني حتى أفلق راحتي . فبجنت عن الامر بنفسي وتدبرت ما أعلمه من تاريخ علي وعثمان وغيرها من القائمين في هذه الفتنة فوجدت معاوية وسائر بني أمية على ضلال بل هم أهل اغراض اتخذوا مقتل الخليفة المظلوم ذريعة للحصول عليها » قال ذلك وقطب حاجبيه وقد أبرقت عيناه من خلال قوس الاشياخ حول حدقتيه وبان الجذ في لهجته فظل سعيد صامتاً لا يبدي حراكاً لما استولى عليه من الدهشة

## الفصل الثالث عشر

### التهمة الباطلة

فشط الشيخ لحيته بأصبعه وأصاح شعر حاجبيه وشاربيه والتفت الى سعيد وقال « يزعم معاوية وأصحابه أنهم إنما جردوا السيوف وسفكوا الدماء المطالبة بدم عثمان كأنهم لم يكونوا يستطيعون الذب عنه قبل قتله . ولقد يضحكني مطالبة عمرو بن العاص بدم عثمان وهو أول من أراد قتله وسعى في قتله حتى لقد يفتخر انه هو الذي قتله وان يكن في فلسطين . فقد علمت أنه لما بلغه مقتل عثمان وهو في وادي السباع قال ( أنا قتلته وأنا في وادي السباع<sup>(١)</sup> ) يعني انه سعى في قتله عن بعد . فلا يغرنك بعد ذلك بحبته هو وابناه ماشين الى دمشق وهم يبكون ويقولون ( واعثماناه تعبي الحياه والدين ) أنهم إنما فعلوا ذلك حيلة للانضمام الى معاوية . . .

« وأما معاوية وسائر بني أمية فهل نحسبهم أشرعوا الاسنة وأيقظوا الفتنة طلباً بدم ذلك الخليفة المقتول ؟ فإذا كانوا فعلوا ذلك غيرة وحناناً فما بالهم لم يدافعوا عنه وهو محصور يستجددهم من المدينة الى الشام ؟ وهب

انهم تأخروا عن نجدته كرها كما يزعمون فما بالهم نسوه ونسوا أولاده .  
وإذا كانوا يمتقدون موته مظلوماً وانهم إنما قاموا بالمطالبة بدمه فلماذا لم  
يولوا الخلافة ولدأمن أولاده ؟ أرايت كيف اتخذوا اسم هذا الخليفة ودمه  
ذريعة الى السلطة . . .

« هكذا فعل أيضا طلحة والزبير فقد قتل عثمان وهم في المدينة على  
قيد أذرع منه فلو أرادوا احياءه لم يعجزهم الدفاع فسكتوا عن قتله حتى  
إذا رأوا الخلافة أفضت الى علي تظاهروا بالدفاع عن عثمان وقالوا انه  
قتل ظلماً »

وكان الشيخ يتكلم وهو يحاول خفت صوته فلا يطاوعه التهييج فلا  
بشعر الا وقد علا صوته تنخذه غصات وارتجاجات . وأما سعيد فكان  
يسمع كلام جده وهو مطرق لا يستطيع النظر الى وجهه تهيئاً واحتراماً .  
فلما وصل أبو رحاب الى هذا الحد سكت برهة تشاغل فيها بمسح فمه وشاربيه  
مما لحقهما من نفثات ريقه في أثناء الكلام لان الهرم أخلى فكيه من الاسنان  
فاغتم سعيد تلك الفرصة وخاطب جده قائلاً « كيف تحسب عمل هؤلاء  
طمعاً في الخلافة ولا تحسب عمل علي أيضا مثل عملهم . وقد كانوا جميعا في  
المدينة فكيف اذا قتل الخليفة تكون البيعة لواحد منهم والباقون ينظرون .  
لماذا لم تحسب ذلك طمعاً من علي ؟ »

فضحك الشيخ ضحكة اغتصابية أو هي قهقهة تشبه الضحك لعظم مقام  
في نفسه وهو في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة . وقبل  
ان يتم قهقهته حول وجهه الى سعيد وقال « اتسألني عن خلافة علي وقد  
كان الاولى بي ان اسأل نفسي ماالذي اعتماني عن حقوقه فيها من اول الامر  
صدق القائل ان الغرض يعنى ويصم . . . ان الخلافة لم تكن لاحد من  
الصحابة قبل هذا وهو ابن عم الرسول ( صلعم ) وصهره على ابنته  
فاطمة سيدة نساء العالمين . وهو اول الناس اسلاما بعد خديجة (١) وزد  
على ذلك ان الرسول ( صلعم ) ربي في حجر ابني طالب والد علي . وقد

كفله ودافع عنه عند أول الدعوة . وكانت قريش تكره دعوته حتى كثيراً ما هموا بأذيته و أبو طالب بينهم بماله من المنزلة الثريفة عندهم . فلما ولد على ربي في حجر الرسول ( صلعم ) واسلم وهو في العاشرة من عمره وذب عن الاسلام بقلبه ويده ولسانه ولا انسى يوم الهجرة يوم تأمرت قريش على اذية الرسول ( صلعم ) في مكة فعول على الهجرة كيف ان عليا اقام مقامه في منزله فتسجى ببرده وبات على فراشه وعرض نفسه لخطر القتل ونجاءه الله . ناهيك عن حروبه في الغزوات والسرايا فقد شهد معظم المواقع واشهرها وبذل نفسه في الذب عن الاسلام يوم كان معاوية ووالده واخوته في مكة من الداعداء الاسلام ولم يسلموا إلا بعد فتح مكة اي بعد قنوطهم من النصر» (١)

## الفصل الرابع عشر

### علي والخلافة

كان ابو رحاب يتكلم والعرق يتصبب عن جبينه كأنه يعمل عملاً شاقاً يجهد نفسه فيه وسعيد صامت مطرق لا يزال في دهشته واستغرابه حتى كاد يغيب عن صوابه . ولم يجسر على كلام . وطال سكوت جده فهم باستفهامه فرآه يتحفز للكلام فسكت واصغى . فقال ابو رحاب « اراك دهشت لما سمعته كأنك لم تعلمه قبلاً ولا الومك اذا علمته وتجاهلته فاني أكبر منك سناً واعلم منك في هذه الشؤون وقد اعماني الغرض وكأنني بعد ذلك الهاتف قد فتحت عيني وصررت انظر الى الحقيقة كما هي . . .

« نعم ان عليا اولى منهم جميعاً بالخلافة والرسول ( صلعم ) فضله عليهم جميعاً وآخاه دون سواه فقال له علي مسمع من الصحابة ( انت اخي في الدنيا والآخرة ) وخاطبه مرة وقال ( لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا كافر ) ولقد تستغرب ما سأتلوه عليك وتعجب كيف لم يتول الخلافة قبل الآن

كيف لا وهو قول الرسول ( ان علياً مني وانا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي ) وقوله ( صلعم ) ( من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ) (١) فمن يعلم ذلك ويمجد لخلافته بل كيف لا يجب لتقاعده عن الخلافة الى الآن «

وكان سعيد لا يزال مطرقاً وقد تغيرت سحنته وتولته الدهشة حتى ظن نفسه في منام وندم على مجيئه لانه أصبح بعد سماع ذلك الكلام حجراً بين مطرقتين لا يدري أيقوم بعهده لقطام التي ملكت له أم يعمل بوصية جده وهو في آخر أيام الدنيا . فظل صامتاً لا يبدي حراكاً . وأدرك جده تلبكه ولكنه تجاهل عما يجول في خاطره وعمد الى اتمام الحديث فقال

« فترى يا ولدي ان علياً أولى بالخلافة من سائر الصحابة بالنظر الى قرابته وصوره ووصية الرسول له ولكنه يمتاز عن سائر الناس بفضائل تكفي وحدها لتوليه أمور المسلمين لا اري في معاوية واصحابه شيئاً منها . ان علياً رجل متقشف زاهد في الدنيا رأته مرة انزل سيفه للسوق فباعه فسئل لماذا فعل ذلك فقال ( لو كان عندي اربعة ذراع من ازار لم ابعه ) ويكفي قوله في وصف المؤمنين ( ومن سباهم ان يكونوا خض البطون من الطوى يلبس الشفاء من الظل عشم العيون من البكا ) ولو فتشت بيته اليوم ما وجدت فيه لاصفراء ولا بيضاء . وقد مضى عمره في عز الاسلام وفتح الفتوحات ولم يلبس ثوباً جديداً ولا اقتنى ضيعة ولا ربوا (٢) ومن كان في مقامه قادر على حشد الاموال واقتناء العبيد والاماء والضياع والمماشية كما فعل غيره من الصحابة كطلحة والزبير وعثمان وصاحبنا وابن عمنا معاوية . . . »

(١) أسد الغابة ٤ (٢) المسعودي ٢

## الفصل الخامس عشر

### معاوية واصحابه

ولما بلغ الشيخ الى هذا الحد تنهد تنهداً عنيفاً ثم قال وصوته يعلو بالرغم عنه « ان معاوية خدعنا بتظاهره في نصرة الخليفة المقتول حتى كرهنا بالامام علي وقد كنا في ظلمات من الغرض لانرى الحق وأما الآن وقد قشعت الغشاء عن عيني فاني أصبحت ناقماً على معاوية واذا فكرت في اعماله واعمال علي كدت اتميز غيظاً ويتقطر قلبي أسفاً على ما نال هذا الامام من الاذى الذي لا يستحقه . كيف لا وهو رجل عرفناه يوم انتصر علينا في واقعة الجمل كيف انه أشفق على عدوه اشفاقه على أولاده فأوصى اصحابه ان لا يلحقوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح ولا يمسوا النساء ولا الاولاد بسوء . وم أوصى عماله أن يقسطوا في احكامهم وقد اخبرني رجل سمعه يوصي أحد عماله ويقول ( لا تضربن رجلاً في جباية درهم ولا تبعن رزقا ولا كسوة شتاء ولا صيفا ولا دابة يعتمدون عليها ولا تقيمن رجلاً قائماً في طلب درهم )<sup>(١)</sup> ولو اردت أن امرد من أمثلة ذلك لضاق بي المقام وخفت انقضاء أجلى قبل الفراغ منها وانا انما استمهل ملاك الموت ريثما أم وصيتي لك . . . فاصنع لي يا ولدي وتأمل عدل الامام علي وحلمه وما ارتكبه معاوية وعماله من التمدي على المسلمين . وخوفاً من زيادة التطويل وقد تعبت من الكلام أذكر لك حادثة قريبة العهد لا يزال صداها يرن في الآذان . . آه . . آه من القساة اهل المطامع . . . أتعرف عبيد الله بن عباس ؟ »

قال « كيف لا أعرفه وهو ابن عم الرسول ( صلعم ) وابن عم علي بن أبي طالب . نعم اعرفه »

قال « اصنع لما اقصه عليك واعتبر . لما فرغ معاوية من واقعة صفين وتحكم الحكيم وظفر بالخلافة بحيلة عمرو بن العاص كما تعلم بايعه اهل الشام

(١) أسد القابة ج ٤

وظل علي في العراق . فلم يقنع معاوية بما أوتيته من الحكم فبعث سراياه الى الحجاز والعراق لفتح يدعون الناس الى بيعته ونقض بيعة علي . وكان رسوله الى الحجاز واليمن بسريرين ارضاة فجاء المدينة وتولاها لان عاملها فر من وجهه . ثم جاء مكة هذه منذ شهرين ولا يزال الناس يتحدثون بفرار صاحبها أبي موسى الأشعري من وجهه بلا حرب . فأكرم أهلها على البيعة فبايعه أهل مكة مكرهين وقد كنت مريضا ولم أر وجهه . . . علي أن عمه هذا لا يستوجب ملاماً ولكنه سار الى اليمن وعاملها عبيد الله ابن عباس الذي ذكرته لك . فخاف عبيد الله فهرب الى الكوفة واستخاف عبد الله بن عبد المطلب فلم يكن من بسر بعد دخوله اليمن الا انه أمر بعبيد الله هذا فقتله وقتل ابنه صبراً . . . وسمع بابن صغيرين لعبيد الله بن عباس قد أودعهما عند رجل من كنانة بالبادية فأراد قتلها فبعث اليهما فجاء الكناني ومعه الطفلان فلما علم أن بسرأ يريد قتلها ذعر وصاح قائلاً « لم تقتل هذين ولا ذنب لهما فان كنت قاتلها فاقطني معهما » ولم يكن من ذلك الظالم الا انه قتل الطفلين والكناني<sup>(١)</sup> وبلغني ان الكناني دافع عنهما حتى قتل . ولقد اعجبني قول امرأة من كنانة رأت ابن ارضاة ماراً بعد تلك الفاجعة فقالت له « يا هذا قتلت الرجال فغلام تقتل هذين . والله ما كانوا يقتلون الاطفال في الجاهلية ولا في الاسلام . والله يا ابن ارضاة ان سلطاناً لا يقوم الا بقتل الصبي الصغير والشيخ الكبير ونزع الرحمة وعقوق الارحام لسلطان سوء »<sup>(٢)</sup>

هذه يا ولدي أعمال معاوية وعماله فأين هي من أعمال الامام علي فكيف تنقم عليه بعد ذلك وتقول انه قتل عثمان وانه يستوجب القتل ؟ «

## الفصل السادس عشر

### الخوارج

ولم يتم الشيخ كلامه حتى خارت قواه وعجز عن الكلام ومل القعود فاستلقى على ظهره وهو ياهث والعرق يتصبب من جبينه فخاف سعيد عليه فاسرع الى منديل مسح به عرقه وأتاه بلبن كانوا أعدوه له فشربه واستلقى يتمس الراحة وسعيد جالس الى جانبه وقد وقع في حيرة عظيمة . فنصور عهده لقطام والصك الذي كتبه على نفسه ولبث صامتا وجده الشيخ ينتفت اليه خلسة يراقب عواطفه . فأدرك ارتباك وعلم انه يفكر بقطام وأهلها فحول وجهه نحوه وهو لا يزال مستلقيا وقال « أظنك تفكر في قطام وأهلها الخوارج وقد يخيل لك أن خروجهم من طاعة علي قد يطعن بصدق سابقته لك ولكنهم لم يخرجوا الا طمعا في الدنيا فانتحلوا سببا لا يسمعه عاقل الا هزأ بهم وأيقن بتمديهم . خلعوا طاعة علي لانه قبل بالتحكيم المشهور وما ذنبه وهم الذين أجروه على قبوله وهب انه اخطأ فهل يخرجون عليه ويحاربونه . ولكنهم رأوا معاوية قام في الشام وكاد يفوز بالخلافة فطمعوا هم بالحكومة لانفسهم فاجتمعوا على نفض البيعة وبؤيد ذلك أمرهم ولوا عليهم رئيسا منهم وبابعوه ولكنهم فشلوا في حروبهم وعادت العائدة عليهم »

« وليس فشاهم بالدليل على سوء نياتهم ولكنني أتلو عليك حكاية سمعتها من رجل اتق بصدق روايته قال ان الخوارج عند اول خروجهم من طاعة علي على أثر رجوعهم من صفين نزلوا عند النهروان فرأوا رجلا يسوق بامرأة على حمار فدعوه فاستهروه فأفزعوه وقالوا له من أنت . قال انا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ( صلعم ) . فقالوا له افزعناك . قال نعم . قالوا لاروع عليك حدثنا عن ابيك حديثا سمعته من رسول الله ( صلعم ) . قال انه تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيه بدنه يمسي فيها مؤمنا ويصبح كافرا ويمسي مؤمنا . قالوا لهذا الحديث سألتك فأتقول في

أبي بكر وعمر . فأنى عليهما خيراً . قالوا فما تقول في عثمان في اول خلافته  
 وفي آخرها . قال انه محق في اولها وفي آخرها . قالوا فما تقول في علي قبل  
 التحكيم وبعده قال انه اعلم بالله منكم وأشد توقياً على دينه وانفذ بصيرة .  
 فقالوا انك تتبع الهوى وتوالي الرجال على اسمائها لا على افعالها والله  
 لنقتلك قتلة ما قتلناها أحداً . فأخذوه وكتفوه ثم اقبلوا به وبامرأته وهي  
 حبل ممت حتى نزلوا تحت نخل مواقير فسقطت منه رطبة فاخذها احدهم  
 فتركها في فيه فقال آخر أخذتها بغير حلها وبغير ثمن فألقاها ثم مر بهم خنزير  
 لاهل الذمة فضربه احدهم بسيفه فقالوا هذا فساد في الارض فلتني صاحب  
 الخنزير فأرضاه . فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال لئن كنتم صادقين فيما  
 أرى فما علي منكم من بأس اني مسلم ما احدثت في الاسلام حدثاً ولقد  
 امتتموني وقتلتم لاروع عليك . فأضجعوه فذبحوه فسال دمه في الماء واقبلوا  
 الى المرأة فقالت اني امرأة ألاتقون الله فبقروا بطنها . هذه اعمال اعداء  
 علي وهذا هو علي كيف تنقم عليه بل كيف نقتله أو نساعد على قتله بل  
 كيف نسكت عن قتله ولا ندافع عنه

## الفصل السابع عشر

### خاتمة الوصية

فلما رأى سعيد نهاية حديث جده لم يعد يذكر الصك الذي كتبه على  
 نفسه وتعهد فيه بقتل علي لئلا يزيد غضبه . فظل ساكناً يفكر في حيلة  
 يتخاض بها من وعده بالتي هي أحسن فلم يسعفه ذهنه على التأمل وقد احس  
 بالتعب الشديد ورأى أبا رحاب قد تعب أيضاً . فقال له « لقد اتعبت نفسك  
 يا جداه بوصايتي فأشكر عنايتك واني أرى في قولك الصواب واطاب اليه  
 تعالى ان يقدرني على العمل به فاسترح الليلة وغداً نصبح ان شاء وقد  
 ارتحنا فنستأنف الكلام » . قال ذلك وأكب على يده فقبلها فرآها قد  
 زادت برودة وجوداً . فقال له جده « نم هينئاً يا ولدي ولكنني اخشى

ان لا اصبح في الغد فلا بد من كلمة اقولها وهي خاتمة وصيتي لك « قال ذلك ومد يده فدنا سعيد اليه فماتقه وبكى ثم قال والدمع ملء عينيه وشفتهاء ترنجفان وذقه تهتز » اذا شئت يا ولدي ان يفارق جدك هذه الدنيا مرتاحاً مطمئناً عاهده بأنك تعمل بوصيته أي انك لا تبغي سوءاً للامام علي بل اذا رأيت سبيلاً للدفاع عنه دافع بكل جهدك .. هل تعاهدني على ذلك ؟ .. عاهدني عليه . واجبر قلبي واذا ذكر اني جدك ووالدك ووصيك وانى ريبتك وكيفاتك وانى لا أريد بك الا الخير . هل تعاهدني على ذلك ؟ قل نعم واجبر قلبي انى قلق عليك ... »

فتأثر سعيد من كلام جده حتى اغرورقت عيناه بالدموع وتذكر حزنه وانعطافه فلم يسهه الا الايجاب فعاهده على وصيته ولكنه لم يكده يعاهده حتى تذكر عهده لقطام في الضد من ذلك فعظم عليه الامر على ان البغته أنسته هول ذلك التضاد . ورأى في جده ميلا الى الرقاد فدعا الرجل الموكل بخدمته وامره ان يتولى تعهده في اثناء رقادده وخرج الى غرفة اخرى تزرع فيها ثيابه والشمس الراحة . أما الرقاد فلم يكن له فيه مطمع بعد ما اتنا به من الهواجس والمشاكل على أنه لم يكن يهدأ له بال واذا فكر في حاله ازداد الامر خطورة لديه وهاله ما رمى به نفسه من عهدين متناقضين . فكان كلما تصور عدوله عن قتل الامام علي شعر بارتياح من الخطر الذي كان يخافه على نفسه لو باشر القتل . ولكنه لا يلبث ان يفكر بعهده المكتوب وبقلبه المغلول حتى ترتعد فرائصه ويرتبك في امره فهب من فراشه كأنه اصيب بنجل

## الفصل الثامن عشر

### طيف قطام

وما زال في مثل ذلك حتى انقضى نصف الليل وهو لم يغمض له جفن ولم يزد الا اضطراباً وقلقاً . وضائق الدنيا لديه فنهض من فراشه وترمل

يرده وعباءته وتعمم وخرج يلتمس الخلاء . وكان الظلام مخيماً وقد رقد الناس ولم يبق في شوارع مكة احد . ففرح لذلك الهدوء وسار لا يدري الى أين وهو غارق في هواجسه ولم يسر قليلاً حتى شعر بالبرد فالتف بالعباءة وظل ماشياً تارة يبطنها وطوراً يسرع على غير هدى فما شعر الا وهو بباب المسجد الحرام واحس لساعته بارتياح . فقال في نفسه لادخلن المسجد اصلي ركعتين لعل الله يوحى الي طريقة تخفف اضطرابي . وكان الباب مفتوحاً وصحن المسجد خالياً فتأبط نعليه ودخل حتى دنا من الكعبة فصلى وسجد فأحس لساعته براحة فطاف حول الكعبة ثم التمس مكاناً وراءها انكأ فيه وعادت اليه هواجسه . فأرسل بصره يراقب النجوم السابحة في الفضاء وقد اجتذب بصره جمال القبة الزرقاء وافكاره تأهتة في ما احقق به واشتد البرد عليه فأدخل رأسه في العباءة جعلها خماراً . وكان التعب والبرد تغلبا عليه فخذرا بدنه واستولى عليه النعاس ولكنه لم يكد يغمض جفنيه حتى ابتدته الاحلام فرأى قطام بجلباب اسود وقد اسفرت عن محياها فبدت عيناها المكسرتان ورآها تمشي نحوه حافية القدمين على بساط من ريش النعام الابيض . فحقق قلبه لرؤيتها وهم بالسلام عليها فرآها اعرضت اعراض العاتب وعيناها تتلألآن بالدموع فتفطر قلبه لرؤيتها وساء اعراضها فهم بالاقبال عليها فلم تسعه رجلاه لما تولاهما من الرعدة فناداهما يلتمس قربها فلم تجبه وظلت معرضة وقد نحوات عنه ومشت وهي تنظر اليه شزراً ولسان حالها يقول « لقد خنت عهدي فما انت اهل لي » وحاول سعيد اللحاق بها ليخبرها ببقائه على العزم فلم يستطع ولما ابتعدت عنه هم أن يناديها فأفاق من رقاده فاذا هو وحده بجانب جدار الكعبة والظلام محقق به

فمسح عينيه ليتبين حاله أفي يقظة هو أم في منام ولما تحقق انه كان في منام حمد الله ولكنه أيقن انه اذا اتى قطام لا يرى منها غير الاعراض فكث صامتاً تتقاذفه الهواجس وهو لا يهتدي الى حل مقنع فنهض يلتمس المنزل ليرى ما تم لجده بعد ذلك الحديث . واشتاق للاتحاف

بالفراش بعد بضع ساعات قضاها في ذلك الحلاء والبرد القارس . ولم يكذب  
يتلو سورة الفاتحة وهو عائد حتى سمع لفظاً خافئاً كأن اناساً يتسارون .  
وكان قد وصل الى مقام ابراهيم أمام الكعبة <sup>(١)</sup> فوقف وأصاح بسمعه  
فسمع خطوات بطيئة تقترب من الكعبة وهمساً يتكرر كأن القادمين  
يتشاورون في امر هام . فازوى وراء المقام في مكان لا ينتبه اليه احد  
وخصوصاً في ذلك الظلام ولكنه كان اذا ارسل بصره وقع على  
الكعبة وحواليها

## الفصل التاسع عشر

### المؤامرة

فما لبث ان رأى ثلاثة رجال لم يعرف أحداً منهم ولكنه عرف من  
قيافتهم انهم غرباء على أنه لم يقدر على تمييز ألوانهم ولا سخنهم وقد لفوا  
رءوسهم بالعمائم لفاً كالحمار إما اتقاء للبرد وأما تنكراً  
فأهمه امرهم وخفق قلبه خوفاً من انكشاف مكانه وربما كانوا في مهمة  
اذا علموا انه اطلع عليها سعوا في قتله . فبالغ في الأزواء وخاف ان يداهم  
العطاس فلا يستطيع حبسه فيفضح امره فظل متحيراً . أما هم فوصلوا باب  
الكعبة واقتربوا من سعيد بحيث يراه جميعاً ولو كان القمر طالماً أو كان  
هناك مصباح لتبين سخنهم جيداً ولكنه لم يقدر على تمييز شيء منهم لاشتداد  
الظلام . على انه تأكد من مجمل احوالهم وحركاتهم انهم جاءوا لامر ذي  
بال احدهم طويل القامة وهو اكثرهم حركة فجلس رفيقاه الاربعاء وظل  
هو واقفاً ثم جلس القرفصاء وقال « والآن ما لنا ولهؤلاء انهم جنباء تعالوا  
فبدأ بالامر فيكون لنا الفخر »

قال الثاني وكان قصير القامة متملىء الجسم « انى ارى رأيتك إذ ما نابنا  
من هؤلاء الأئمة الا الضرر . هم يتنازعون على الخلافة فيقتل المسلمون

بعضهم بعضاً في نصرتهم فاذا قتلناهم رقدت الفتنة . نعم نقتلهم جميعاً » قال ذلك بصوت خافت وفي نطقه لجلجة وكان يلتفت يمنة وبصرة لئلا يسمعه أحد فقال الرفيق الثالث وكان لا يزال ساكناً « انى لا افكر في واقعة الهروان ومن قتل فيها من الابطال والشجعان الا ويقطر قلبي دماً . ان علياً قتلهم لانهم لم يرضوا معه بالتحكيم »

فابتداه الاول الطويل وكان اكثرهم جرأة على الكلام وكان رفيقاه اذا تكلما خفضا صوتيهما اما هو فكان لا يهاب شيئاً فيتكلم بملء فيه فقال « لا يكفيننا التذمر والتضجر ونحن سكوت نرى ابناءنا واخوتنا يقتلون في نصرة اولئك الائمة ولا نبدي حراكاً . هلم بنا نرح المسلمين من شرهم » فلما سمع سعيد حديثهم علم انهم جاءوا للمؤامرة على قتل جماعة من الائمة الامام علي واحد منهم والسكنه لم يعلم من هم الباقون . فجعل يرتعد لتأثره وزاد خوفه على نفسه اذا كشف مكانه . وكان في بادىء الرأي قد ندم على بقاءه هناك فلما توسم خطورة ما هم فيه سر لبقائه على انه ما زال خائفاً من الفضيحة فلبث منزوياً وهو يحبس انفاسه خوفاً من السعال أو العطاس فانه لو تتخنج أو عطس لاجفلهم جيباً وهم على بضعة اذرع منه . ولو قام احدهم ومشى خطوتين نحو مقام ابراهيم لرأى سعيداً امامه . أما سعيد فكان يفكر في حيلة يتخذ بها نفسه لو كشف مكانه . وكان مع شدة الظلام يخيل له انه في رابعة النهار لحوفه وقد ساعده على ذلك نحو الجو وتلاؤ الكواكب لان السماء كانت نقية لا يحجب نجومها الا بسحب رقيقة متفرقة كانت تجتمع احياناً وتتلبد فتزيد الظلام كثافة وقد كان سعيد في **الغمام** وراء الكعبة قبل مجيء هؤلاء . اما يشاغل نفسه بمراقبة حركات **الغمام** . وكان اذا تلبدت أو تكاثفت اتقبضت نفسه أما الآن فاصبح **الغمام** غير الخطر امامه وود تكاثف الغيوم لانها تريد في احتجابه وقد **الغمام** وجدده وأصبح قلقاً لاستطلاع سر ذلك الاجتماع

## الفصل العشرون

١٧ رمضان

وكان السكوت قد استولى على تلك الجلسة لحظة على أثر كلام ذلك الطويل الجريء . فلما رأى هذا سكوت رفيقيه ابتدرها قائلاً « واذا فعلنا ذلك ما الذي نخافه غير الموت ؟ حبذا الموت في سبيل انقاذ المسلمين من فتنة يقتلون فيها . وأصل الفتنة كما تعلمون ثلاثة من كبارنا يتنازعون على الخلافة أو هي السلطة الدنيوية وهم علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص هلم بنا نقتلهم وزبح الناس منهم »<sup>(١)</sup> فقال الثاني « لقد وافقتك على رأيك من اول الامر ولكن ما السبيل الى قتلهم وأنت تعلم انهم محاطون بالجند الاعوان فلننكر في طريقة تضمن لنا الفوز ونأمن بها من الخطر »

فاسرع الاول قائلاً « اراك تتردد في القول كأن الامر هالك خطره وكأني بك تخاف كبير اولئك الأئمة وتخشى ان يكون حظك قتله . تعالوا نقسم العمل في ما بيننا . تعالوا تتعاهد على ان يقتل كل منا واحداً من اولئك الثلاثة ولنعين يوماً نباشر العمل فيه معاً فيكون احسبنا في الكوفة لقتل علي والآخر في مصر لقتل عمرو والثالث في الشام لقتل معاوية في يوم واحد ويقتل كل منا صاحبه في ذلك اليوم فيصبح المسلمون وقد نجوا من اسباب الفتنة فيختارون خليفة يولونه أمورهم وترجع الخلافة الى بساطتها

ولما سمع سعيد ذلك تهيب لعظم هذا المشروع ولم يصدق انهم يتفقون على القيام به . ولاح له لاول وهلة ان عالياً اذا قتل رضيت قطام به وان لم يكن قتله على يده ولكنه تذكر كلام جده ووصيته بان يدافع عن علي لبراءته مما ينسبونه اليه فانقبضت نفسه وما لبث ان شغل عن تلك الهواجس بما دار بين اولئك المتآمرين . فان المتكلم الاول لما فرغ من كلامه ولم تر

من رقيقه تلبية لم يصبر حتى يسمع جوابها فقال لها « لا ترددا ولا يهولكما الامر وهو اسهل ما يكون على ذي مروءة . وكأني بكما تفكران في كيفية اقتسام العمل وتخافان ان يكون نصيب احدكما اصعب مراساً من نصيب الآخر فلا تخافا اني اتعهد بقتل اكبر هؤلاء الثلاثة وأشجعهم . انا اقتل علياً بن أبي طالب فأتي الكوفة وان يكن مقامى في الفسطاط فأقتله » قال ذلك وأقبل حتى دنا من باب الكعبة وأمسك بحلقته وقال لها « ها اني امسكت بحلقة الكعبة وأقسم بالله وبهذا البيت الحرام اني اقتل علياً بن أبي طالب وأبذل في سبيل ذلك ما في وسعي وأشهد الله على ذلك » فلما فعل ذلك نهض رفيقاه وقد اندفعا الى القسم فامسك كل منهما بحلقة الباب واقسم أحدهما انه يقتل معاوية بن ابي سفيان والآخر انه يقتل عمرو ابن العاص

ولا تسئل عن حال سعيد بعد ان تم التعهد على هذا الفعل الخطير وود لو يعرف أولئك المتعاقدين ولكنه لم ير سبيلا الى ذلك . على انه علم من خلال حديثهم ان المتعهد بقتل الامام علي من اهل فسطاط مصر ثم رأى الثلاثة عادوا الى مجالسهم فقال احدهم وهو السمين القصير « لقد تماهدنا على قتل هؤلاء الأئمة ولكنا لم نعين اليوم الذي نفعل فيه ذلك وان لم نعيه فشاننا جميعاً »

فقال الثالث « وهذا رأيي انا أيضاً لاتنا ان لم نعين اليوم كان المجال واسعاً ونخشى اذا سبق احدنا الآخر ولم ينجح أو قتل أو قبض عليه أن يخاف الباقيان ويرجعا . فلتعين اليوم والساعة »

فقال الاول « ان الساعة لا يمكن تعيينها ولكن نعين الليلة فليكن عملنا في واحدة . في أي الشهور نحن الآن ؟ »  
قال « في جمادى »

قال « فليكن موعداً رمضان المبارك حتى لا نعيد الفطر الا والمسلمون

كافة في راحة واذا قتلنا لقينا ربنا وقد فعلنا ما علينا . فاختاروا ليلة من ليالي رمضان »

قال الثاني « أني اختار الليلة السابعة عشرة من ذلك الشهر فما قولكم »<sup>(١)</sup>

قالوا « انها خير ليلة » ونهضوا وسعيد بخاف أن يمروا به فيروه ولكنهم داروا حول الكعبة كأنهم يطوفون بها ولبث هو ينتظر عودتهم فلم يعودوا . فلما استبطأهم علم أنهم خرجوا من باب آخر أو داروا وتحولوا الى الباب الذي دخلوا منه . فرفع رأسه ونظر حوله فلم ير احداً ولا سمع صوتاً فنهض وطاف حول الكعبة فتحقق أنهم خرجوا . فجالس هنيهة يفكر في ما مر به وهو بحسب نفسه في حلم لغرابة ما رآه واتفاق حدوثه في الليلة التي اوصاه جده فيها أن لا يقتل علياً . ونظر الى الافق فاستقبلته الزهرة تتلألأ كأنها تبشره باقبال الفجر . وتذكر جده فقال لاعدون الى المنزل قبل أن يطلع النهار ويخرج الناس . فعاد يلتمس البيت

## الفصل الحادي والعشرون

### آخر العهد بأبي رحاب

ولما اقترب من المنزل خفق قلبه مخافة أن يكون جده قد أصاب حتفه في غيابه فدخل الدار فرأى السكون مستولياً عليها فاستبشر والتمس الحجر التي كان جده نائماً فيها فرأى المصباح لا يزال مضيئاً فاطل من الباب فرأى عبد الله جالساً بجانب الفراش وجده نائماً . فنظر الى عبد الله كأنه يستطاعه الحال فنهض لاستقباله ووجهه بأش فاطمان باله وقبل ان يأتي التحية ابتدره عبد الله قائلاً « لقد شغلت بالنا بنيا بك فان جدك أفاق من نومه مراراً والتمس أن يراك ونحن لا نعرف مكانك وقد ألح كثيراً في طلبك » قال « وكيف هو الآن »

قال « هو في خير وقد رأينا في راحة لم يذقها منذ أيام »  
ولم يتم عبد الله كلامه حتى رأى أبا رحاب يتحرك في فراشه فتقدم نحوه فاذا هو قد فتح عينيه وأشار إليه بيده فدنا منه وجثا أمامه يلتمس منه إشارة

فقال أبو رحاب « أين كنت يا ولدي فقد التمسناك مراراً فلم نقف على مكانك »

قال « خرجت في حاجة الى السكبة واتفق لي حادث شغلني عن المجيء حتى الآن »

مد الشيخ يده حتى قبض على يد سعيد وضغط عليها كأنه لا يريد ان يفارقه وسعيد صامت لا يبدي حراكاً لشدة تأثره من منظر جده الشيخ وقد شعر انه انما ضغط على يده ضغطة الوداع

فترقرقت الدموع في عينيه والنفت الى عيني جده فرآها غارتين بالدمع وهما شاخصتان اليه فتفطر قلبه وهم ان يتكلم فابتدره جده قائلاً « أراني لا أزال في قلق على مستقبل حياتك وأخشي ألا تكون استوعبت نصيحتي فقد نصحتك وأنا في آخر أيام الدنيا نصيحة أوحى الي أنت فيها اليك . وقد تركتني الليلة غارقاً في بحار الاحلام وكان هاتفا خوفي من غيابك . هل انت باق على عهدي يا سعيد »

قال « لقد شاهدتك يا جدها عهداً وثيقاً اني لا أنوي شراً للامام على ما حيت وأنا باق على عهدي وأزيدك علماً اني لقيت في السكبة أناساً يتآمرون على قتله وقتل صاحبيه معاوية وعمرو في يوم عينوه وتعاهدوا عليه فلم يبق ثمة حاجة الى سعي »

فغضب الشيخ وحلق ببنيه وصاح قائلاً « ومن هم هؤلاء »  
فكلم سعيد خبره مختصراً وختم كلامه قائلاً « اني لم أعرفهم وما استطعت اللحاق بهم خوفاً منهم لانى أعزل »  
قال « ألم تعرف الذي تعهد بقتل الامام على »

قال « كلا ولكنني علمت من عرض كلامه انه من مصر ويغلب على ظني انه من الخوارج »

فصمت الشيخ برهة كأنه يفكر في أمر هام ولحظ سعيد من شخوص عينيه وذبول اجفانه وتغير سحنه انه تعب . وأما أبو رحاب فتجدد وقال وصوته يرتجف وقد أصبح لا يستطيع التلفظ بكل مقطع من مقاطع الكلام كأن لسانه أصيب بتلغم « ياليتني كنت بينهم لاقنهم بالكف عن ذلك ... ولو استطعت استمهال أجلى لسعيت في البحث عنهم فاذا عرفت الساعى في قتل الامام على أرجعته عن غيه بالبرهان ... انهم والله ظالموه » ثم سكت هنيهة ريثما يستريح وعاد الى الكلام وهو يتلجلج ويقف عن الكلام عند كل شهييق من تنفسه وكان تنفسه . قد أسرع وظهر الاضطراب عليه فتحقق سعيد ان جده في حال النزاع فارتعدت فرائضه ونخس قلبه وأسف لحاله ولكنه أصرى لتتمة حديثه فاذا هو يقول « وأما انت ياسعيد فاصغ لقولى واعمل بنصيحتى . . ولا اقبل منك السكوت عن هذا الامر ... وأما انت ... مكلف بالبحث عنه ... انك مكلف بالبحث عن هذا ... الرجل في مصر ... والشام ... والعراق حتى تعلم مقره ... فاما ان تقنعه ... بالعدول . واما ان تنبيه ... الامام بأمره . انى . . . التي . . . هذا الامر على عاتقك . . . فاحذر . . . ان تتقاعد عنه . والا فانك . . . قاتل علياً بيدك ... هذه وصيتي لك احتفظ بها ولا تماهل او تتجاهل . . . والله شاهد . . . على ما أقول . هذه . . . وصيتي الاخيرة بل . . . هذه . . . آخر كلمة أفوه بها في هذه . . . الحياة الدنيا . . . وكنت مستغرباً تأخير أجلى الى . . . الساعة . وكنت احسبني . . . ميتاً منذ أيام ولكن الله . . . انما اراد بذلك . . . ان أكل اليك . . . هذا الامر . . . هذه آخر وصيتي لك ابحت . . . عن هذا الرجل وأرجعه . . . عن غيه . . . كما ارجعتك ولو اوتيت . . . عمراً ثانياً لقمتم في بنى أمية . . . وفي الخوارج . . . خطيباً اصرح ببراءة . . . الامام على على رهوس الاصل . . . ولكن آه . . . ان الساعة آتية . . . لا ريب . . . فيها . . .

استودعك... الله وأخر ك... له... ة... أقو... لها لك... علي...  
علي... دا... فع... عن علي بيديك... وقلبك... ولسا...  
...ك...

ولم تخرج هذه الكلمات الاخيرة من فيه حتى اختق صوته ثم شق  
شهقة دوى صوتها في أطراف المنزل وارتخت مفاصله فأفلت يد سعيد من  
يده ونظر سعيد الى جده فاذا هو قد أغمض جفنيه ووقف تنفسه...  
فجس يده فاذا هي باردة فلمس جبينه فاذا هو كالثلج وقد فتح فاه وأرسل  
نفسه الاخير وبطلت حركة الحياة فأصبح تمثالا من تراب. فاقشعر بدن  
سعيد ولطم يداً بيد « وصاح جده يا جده . واويلاه كلمني زودني نصيحة  
أخرى... » ومامن مجيب فأيقن بوفاته وكان عبد الله قد خرج فعاد  
ولما رأى أبا رحاب قدمات اخبر اهل المنزل فاجتمعوا وعلا النحيب والبكاء  
ولم يكن الحزن على موت أبي رحاب شديداً لتوقعهم ذلك منذ أيام .  
ولكن سعيداً كان حزنه مضاعفاً لامتزاجه بالهواجس والاضطرابات بما  
سمعه من جده مع ما هو مقيد به من العهود في الضد من ذلك

## الفصل الثاني والعشرون

### رفيق جديد

وبعد الاحتفال بالدفن عاد سعيد الى صحوه وفكر في حاله فرأى نفسه  
في مشكلة لا يدري كيف يتخلص منها وبعد التأمل الطويل رأى المسألة  
مع اشكالها ايسر اسهل من حلها اذا استطاع اقناع قطام براءة علي فتنازل  
عن الانتقام فلما فتح عليه بذلك توسم فيه خيراً وأحس بانفراج الازمة  
فاعمل فكرته في الاسلوب الذي يستولى به على عواطفها وبغير اعتقادها  
بالامام علي حتى تسكت عن الطلب بثأر والدها واخيها منه فخييل له عن  
بعد ان اقناعها ممكن فهدأ روعه نوعاً  
وأسرع في تدبير شؤون أهله وكان في جملتهم شاب اسمه عبد الله رباح

أبو رحاب كما ربي سعيداً وكان يتعزى به وبجبه وهو الذي أنقذه الى الكوفة لاستقدام سعيد فلما مات أبو رحاب تقدم عبد الله الى سعيد أن يأذن له بمصاحبه وبالغ في إلحاحه واستهلك في سبيل مرافقته . فتعجب سعيد لذلك الرغبة في السفر ولم يكن يعهد عبد الله ميالا الى ذلك

والسبب في تلك الرغبة ان أبا رحاب كان من الدراية والفراسة بحيث لم يخف عليه ضعف سعيد فارسل انفاسه الاخيرة وهو يخاف عليه غدر الناس وخذاعهم . ولكنه استدرك ذلك قبل موته فوصى عبد الله هذا أن يكون له عوناً فيصحبه حيناً سار فينجده ويرشده وان يكن هو شاباً مثله ولكنه كان أعرف منه باحوال الدهر وأسوأ ظناً في ماجريات الايام

وبعد أيام ودع سعيد أهله واصطحب عبد الله وسارا يطويان الصحراء نحو الكوفة وعبد الله لا يعرف شيئاً من علاقة سعيد بقطام ولا ماتاً مرعاه في الثلاثة في المسجد الحرام ولكنه فهم من وصية أبي رحاب ان سعيداً كان حازماً على قتل الامام فارجمه أبو رحاب عن عزمه . وسمع حديث سعيد عن المؤامرة ولكنه لم يفهمها جيداً . فلما أوغلا في الصحراء فتح عبد الله حديثاً تطرقا منه الى مقتل الامام علي واستأنس سعيد بعبد الله وهو مخلص من فطرتة ففتح له قلبه وكشف له عن سره وارتاح لمشورته . ولم يصل الكوفة حتى أصبح عبد الله عارفاً بكل مكنونات قلبه فشاركه في شعوره من قبيل عهد مع قطام ورجوعه عنه فثبته على وصية جده وهون عليه اقناع قطام الى أن قال « فاذا لم تقنع ليس أهون من أن تعدل عنها والنساء كثيرات وأنا اختار لك فتاة من أجمل الفتيات خلقتا وخلقتا وأرفعهن نسباً لا تقاس بها قطام » وكانا يتحادثان وهما على ناقتهما يطويان الصحراء طياً

فقطع سعيد عليه الكلام قائلاً « لا لا تقل ذلك ليس في الناس أجمل من قطام عندي ولا صبر لي على اغصابها ويظهر انك لم تمنان الحب ولا عرفت سلطانه » قال ذلك وتهد . . . وصبر هنيهة ثم قال « وهب مع ذلك اني لأحبها ولا أنا عالق بها فان في يدها صكاً مكتوباً أخاف اذا أغضبته

أن تشي بي الى علي أو . . . . ولكنني واثق بصدق مودتها فهي لا تريدني  
سوءاً بل تبغى رضاي »

فقال عبد الله « اذا كانت تحبك كما تقول فليس أهوت من افئاعها  
بالعدول عن قتل الامام فهون عليك البحث عن المتعهد بقتله وتردعه عن  
غيه فاذا لم يرتدع قتله أو نقلت خبره الى الامام ليرى رأيه فيه »  
فارتاح سعيد لهذا الرأي

## الفصل الثالث والعشرون

### اللجاجة والسذاجة

وأقبلا على الكوفة ذات يوم والشمس قد مالت الى المغرب وكان سعيد  
قد قضى ذلك النهار وهو يستحث ناقه لعله يدرك المدينة قبل الغروب  
ليتمكن من المسير الى بيت قطام اذ لا صبر له على فراقها وهو على مقربة  
منها فلما دنا الغروب وهو لم يدخل الكوفة انقبضت نفسه وأدرك عبد الله  
انقباضه مما آتته فيه من السكوت التام فأراد ان يصرف ذهنه عن ذلك  
فقال له « وهل نحن ببيدون عن منزلك »

قال « لانبئت أن ندخل المدينة حتى تدنومنه لانه في اطرافها »  
قال « انى لا أكاد أصدق بوصولي لاستريح من وعناء السفر وأتخلص  
من ركوب الجمال فقد أتعبني جريها وخصوصاً في هذا النهار »  
قال سعيد « انى أرانى في الضد من ذلك وتحديثي نفسي أن أصلى  
العشاء في المسجد قبل البيت »

فأدرك عبد الله انه انما يريد زيارة قطام ليطلعها على وصية جده ويرى  
ما يبدو منها اذا علمت بما عول عليه فرأى أن يثنيه عن زيارتها ريثما يفاوضه  
في الامر ويهيء الحيلة في مخاطبتها لئلا يفشلا لعلمه بسلامة نية سعيد فخاف  
عليه السقوط في ما يخشاه . فقال له « دعنا نصلى العشاء معاً في المنزل  
ونصح ان شاء الله فنصلي في المسجد »

فلم يراجعه سعيد حياء وقال له حسناً رأيت . ولكنه عول في باطن سره على الذهاب خلسة الى منزل العجوز لبابة يتجسس الحال وما لبثا أن دخلا الكوفة وقد أمسى المساء فالتسا منزل سعيد فترجلا واغتسلا وصليا ثم تناولوا العشاء وتظاهر سعيد بالنعاس فذهب كل الى فراشه وتربص سعيد ريثما ظن رفيقه نام فالتف بعباءته وانسل الى بيت لبابة وقضى طريقه يفكر بعبارة يبدأ بها الكلام . فوصل المنزل فرأى لبابة خارجة منه وقد تحمرت ومشت تنوكاً على عكازها فبغت لرؤيتها وحياتها فردت التحية وهي لا تصدق انها تراه . فلما تحققت انه سعيد رجعت وهي تبالغ في الترحاب به وتضحك ضحكها المهودة . فاستأنس بلهفتها ثم مالبت أن تذكر ماجاء به من الامر الجديد حتى انكمش قلبه ولكنه تبعها حتى وقفا بباب الغرفة فأمرت عبدها أن يضيء المصباح وعادت الى مخاطبته فسألته عن ساعة وصوله . فقال « أني وصلت الساعة ومع شدة تعبي من السفر الطويل لم اصبر على مشاهدتك قبل المنام »

فقهقتها فهتفه دوى لها البيت وخيل له لفرط قلقه أن عبد الله يسمعها فقال لها بصوت خافت « وما الذي يضحكك ياخالة »  
 قالت « لقد اضحكني شوقك الى رؤية هذا الوجه القبيح ( وأشارت الى وجهها ) وأنت انما تشفق الى رؤية وجه أجمل منه . . . أليس كذلك . ؟ »

فقطع كلامها وهو يباليغ في خفض صوته وقال « لا والله اني الآن في شوق اليك أكثر من شوقي الى قطام لاني وقعت في مشكل لا أرى أحداً ينجيني منه سواك فاسعفيني برأيك ودهائك . وأرجو قبل كل شيء أن تعتبرى قدومي اليك الآن سراً تكتمينه عن كل انسان لان معي رفيقاً صحبني من مكة فلما وصلنا الكوفة ورأى في ميلا الى الخروج أقعدني الى الصباح فاستحييت وبقيت فلما استغرق في نومه جئت خفية . . »

ولم يتم كلامه حتى جاء العبد بالمصباح فدخلا الغرفة وسعيد يقول « لقد عودتني ياخالة أن تكوني عوناً لي في مصائبي وانت التي بمهارتك ودهائك

أقمتِ قطام بزواجي فألتبس منك الآن أن تقنعها بما جئت به اليك «  
 فوجدت العجوز لاهتمامه الشديد ولو كان قلبها حياً لحقق واضطرب  
 ولكنها تعودت الاهوال ولاقت الغرائب فلم يعد يخيفها أمر . فقالت « قل  
 ما بدا لك أني مستودع أسرارك ولا آلو جهداً في خدمتك »  
 فنهد سعيد وسكت وهي تحرق فيه بعينها الغائرتين . وبعد هنيهة قال  
 لها « لقد جئت بك بأمر لا أدري كيف أبدأ الحديث به »  
 قالت « قل لا تبالي ولا تجزع فاني عركت الدهر ولقيت الاهوال  
 حتى لم أعد أستغرب أمراً . . . قل ما بدا لك »

## الفصل الرابع والعشرون

### كشف الامر

قال سعيد « أنت تعلمين أني عاهدت قطام على قتل الامام علي »  
 قالت « نعم أعلم ذلك »  
 قال « وهل تعلمين لماذا خرجت الى مكة »  
 قالت « علمت أنك شخصت اليها ولكنني لم أعلم سبب شخوصك »  
 قال « شخصت اليها اجابة لطلب جدي رحمه الله »  
 قالت « جدك أبو رحاب ؟ ما الذي أصابه ؟ »  
 قال « انه مات بعد وصولي مكة بيوم واحد وكان قد بعث اليّ ليراني  
 قبل المات »  
 قالت « مات أبو رحاب ! . رحمه الله عليه . انه كان رفيقاً بك شفوفاً  
 عليك وأنا أعلم كيف ريت في حجره وقد كان أحسن عليك من الوالد .  
 ولا شك ان موته شق عليك كثيراً . وكم كنت تود أن يبقى حياً  
 ليفرح بك ويشهد زواجك بعد ان يعلم بما تعهدت به لتنقذ بني أمية من  
 العار و . . . »

فقطع كلامها قائلاً « آه ياخاله لقد كنت أظن ذلك قبل أن قابله

ولكنني ما لبثت أن ندمت على ذهابي إليه لأنه حملني قبل موته حملاً  
لا أدري كيف أنصرف به «

قالت « وماذا عسى أن يكون ذلك »

قال « ان ما ظننته سبباً لارتياحه قد رأيتُه داعياً لفضبه »

قالت « هل أخبرته بعزمك على قتل علي »

قال « نعم أخبرته ولكنه أنكر عليّ قتله وأوصاني وهو على فراش  
الموت ان لا أمد يدي الى هذه الجريمة لان هانذا جاءه وانباء براءة الامام  
علي مما يتهمونه به »

وكان سعيد يتكلم ولبابة شاخصة اليه وقد أسفت لخبية مسماها ولاكنها  
لدهائها ومكرها لم تبد حراكاً ولا أظهرت استغراباً بل تشاغلت باصلاح  
خمارها تنتظر آخر الحديث

وأما سعيد فكان يخاطبها وهو يتوقع بفتنها او غضبها فلما رآها صامته  
مصغية تبحراً على انمام الحديث فقال « ولما سمعت كلام جدي دافعته فرأيت  
منه اصراراً على رأيه وقص عليّ شيئاً كثيراً من الادلة والشواهد  
المؤيدة لقوله »

قال سعيد ذلك وسكت وهو ينتظر ما تقوله المعجوز فرآها لا تزال  
صامته ولم يبد على وجهها شيء من الاستغراب فعطف بحديثه الى المؤامرة  
التي شاهدها في الكعبة ظناً منه انها توازن ما تقدم من الحديث الغريب .  
فلما سمعت قصة المؤامرة على قتل الامام علي وعمره ومعاوية رأته فيها تعزية  
ولاكنها أظهرت الاستخفاف بما تأمروا عليه وأرادت ان تتحقق ما عوّل  
هو عليه فقالت « وهل علم أبو رحاب قبل موته بتلك المؤامرة »

قال « نعم اني اطلعت عليها قبل ارسال نفسه الاخير ببعض الساعة فلم  
يزدني الا ثقلاً بوصية قائلها وهو في آخر ساعات الدنيا . . آه من تلك الوصية »

قالت وما هي

قال « انه أوصاني ان لا اكنفي بالكف عن قتل الامام علي بل يجب  
عليّ ان ادافع عنه فلم اربداً من اجابة طلبه وأنت تعلمين مركزي في

مثل هذه الحال ... ولكنني لم اعاهده الا بعد ان تقطر قباي لدموعه التي كانت تتحدر على لحيته وقد شخصت عيناه وتلعم لسانه وتلجلج صوته حتى خيل لي ان عظامه تتكلم . . . »

## الفصل الخامس والعشرون

### غاية الدهاء

فلما تحققت لبابة عدوله عن عهده خافت اذا اظهرت له الاستياء ان يوح بامرها وامر قطام الى علي وهما في الكوفة فينتقم علي منهما فارادت ان تخادعه فتأخذ منه ولا تعطيه فقالت « ولماذا لم تعاهده فان كلام مثل هذا الشيخ الجليل يعتبر خارجاً من افواه الملائكة »

فلما سمع سؤالها انشرح صدره فابتسم وقال بكل بساطة « كيف لم اعاهده وهل استطيع غير ذلك . ولكنني اعترف لك اني عاهدته وخطري منشغل بقطام وعهدها اعلمني ان ذلك العهد يحرمني منها . . . » ثم عطف فقال « ولكنني لما تذكرت حبك لي وغيرتك علي هان الامر وقلت ان ما يعسر علي مثلي يهون علي خالتي لبابة . . . بالله . . . الا ساعدتني علي اقناع قطام بالعدول عن عزمها على قتل الامام علي وانه والله بريء مما اتهموه به . . . بالله ساعدتني واشقني علي فقد وقعت في حيرة بل هي مصيبة لا ينجيني منها سواك . . . » قال ذلك وجنا امامها وهم بيدها وقباها وقد كادت العبرات تخنقه

فتظاهرت تلك العجوز المحتالة بالحنو وتبسمت وهي تجذب يدها من بين يديه لتمعه من تقيهاهما وأجاسته في مكانه وقالت « طب نفساً يا اني اني فاعلة ما تريد وارجو ان يساعدني الله على اقناعها . . . »

فلما سمع سعيد قولها لم يتمالك عن الابتسام والدمع ملء عينيه اعجاباً بخنوها وفرحاً بنيل بغيته التي لم يكن يتوقعها ولا بالنام وفرح بمجيئه في تلك الليلة ومقابلة لبابة قبل مقابلته قطام

أما لبابة فنظرت اليه وهي تحك ماوراء أذنها برأس سبابتها كأنها تفكر في ما تخلفه من الاسباب لاقناع قطام وهي بالحقيقة تدبر حيلة لخداع سعيد ثم قالت « طب نفساً ولا تبالي فاني أؤكد لك الفوز اذا أطعني . . . » فابتدورها قائلاً « اني طوع ارادتك في كل ما تأمرين هذا مالي وكل ما املكه بين يديك بالله اشفتي علي »

وكان سعيد يتكلم ولبابة مطرقة . فسكت هو وظلت هي مطرقة ثم استأنفت الحديث بغتة فقالت « سبحان الله لقد مر علي أيام وأنا مستغربة ما يدولى من قطام على غير المعتاد والظاهر ان السلام الذي فاه به جدك في مكة اثر في قطام هنا ولا ادري ما هو هذا التأثير »

فدهش سعيد مما سمعه وقال « ماذا تعنين »

قالت « أعني اني آنست في قطام تغيراً غريباً بعد ذهابك فانها لم تعد تذكر الانتقام قط وقضت أياماً عديدة كأنها في حيرة أو كأن امرأ طراً عليها لا تتكلم الا قليلاً فعسى ان يكون ما غيرك قد غيرها . وعلى كل حال كن في راحة وسكينة وأنا ادبر الامر فلا تذكر افك جئت الي ولا انك رأيتني قبل رؤيتها »

قال « بارك الله فيك . والله ان قضيت لي هذه المهمة لا أدري كيف اكاثك . ولكنني أتقدم اليك ان لا تذكرى زيارتي هذه أمام احد وخصوصاً رفيقي عبد الله »

قالت « سمعاً وطاعة فعليك اذا ان تأتي غداً لزيارتها في منزلها وأكون أنا هناك ولا ترد على السلام والكلام . واحذر ان تذكر شيئاً يتعلق بهذا الامر الا اذا هي خاطبتك به وسئري ماذا يتم . . . وهل تنوي اصطحاب رفيقك غداً »

قال « انه سيكون معي ولا بأس من الخوض في الموضوع بين يديه لانه بمنزلة أخي »

قالت « حسناً فليكن كما تريد وفقنا الله لما فيه خيرك وراحتك » فازداد سعيد اعجاباً بغيرتها وحنوها فقال لها « اسمحي لي ان اقبل

يدك فأني لما فقدت جدي الذي كان بمنزلة والدي حسبت نفسي صرت يتيمًا  
ولكنني تحققت الآن من خنوك أنني ما زلت مرموقاً بعين العناية . ها أني  
قد القيت الحمل على عاتقك فدبري الامر كما يلوح لك » . قال ذلك وقيل  
يدها مراراً ونهض ونهضت لوداعه وهي تقول له « نم مرتاحاً وموعداً  
اللقاء غداً في بيت قطام »

خرج سعيد من عندها وقلبه يطفح سروراً لثباته من شر عظيم . وما  
درى ما نوته تلك القهرمانه من اساليب الخداع . فلما تواری عنها عادت الى  
غرفتها وعمت فكرتها الخبيثة في حيلة تنطلي عليه بحيث يصدق عدول قطام  
عن عزمها . ولولا خوفها من ان يشي هو بها وبقطام الى علي اذا انكرت  
عليه وصية جده لجاهرت بمقاومته ولكنها رأت من الفطنة والدهاء ان  
تجاريه على رأيه وتحمل قطام على مشاركتها في ذلك ثم تحتالان في بقاء  
المؤامرة مكتومة حتى ينفذ المؤامرون عهدهم فيقتل علي . وما درت لبابة  
ان قطام أشد دهاء منها وأعظم حيلة وانها ستزيد على ذلك وسيلة اخرى  
للقنتك بسعيد على اهون سبيل

ولم تعد لبابة تستطيع رقاداً قبل مكاشفة قطام بالامر لتدير الحيلة قبل  
مجيء سعيد فهضت لساعتها وسارت الى قطام

## الفصل السادس والعشرون

### لقاء قطام

أما سعيد فانه خرج والفرح ملء فؤاده حتى أن منزله فرأى رفيقه  
لا يزال نائماً لفرط تعبته فسر لذلك سروراً عظيماً ومضى الى فراشه  
ولكنه لم يستطع رقاداً لشدة تأثيره ففضى ساعات يتقلب على الفراش وقد  
طال ليله وهو يفكر في ساعة اللقاء غداً ولا يصدق أن ياتي قطام على مثل  
رأيه . فلما تصور عدولها عن قتل علي كاد يطير من الفرح بما سيناله من  
الاقتران بها ثم يعترضه كلام جده وما كلفه به من السعي في الدفاع عن

على وردع الساعي في قنائه فيختلج قلبه في صدره لهول ذلك الامر . ولكنه لم يكن هذا شيئاً لديه بالنظر الى ما يتوقعه من السعادة بالحصول على قظام ولم تغمض اجفانه الى الصباح ولم يكذب ينام حتى افاق مذعوراً وقد رأى شعاع الشمس يسطح على جدار غرفته فأسف لابطائه في الفراش والوقت ثمين فهض لساعته وخرج يلتمس عبد الله فاذا هو قد لبس ثيابه ووقف يصلي فصلى معه وهو لا يفقه ما يقول

فلما فرغ من الصلاة قال له عبد الله « لقد ابطأت في رقادك يا أخا أمية »

قال « أما ابطأت لهول ما لقيناه من التعب في الطريق »

فصدقه عبد الله وجلسا لتناول الطعام وسعيد غارق في بحار الهواجس وقد أدرك عبد الله ذلك فيه ولكنه حسبه من قبيل الشوق الى قظام فقال له « ألا تنوي الذهاب الى قظام »

قال « بلى أرى ان نسير اليها لعل الله يأخذ بيدنا ونرى منها انصياعاً للحق فتعدل عن عهدنا »

فأراد عبد الله ان يختبر ثباته فقال « وهب أنها لم تقبل بذلك فاذا تفعل . هل تبقى على عزمك أم ترجع عن وصية جدك »

قال سعيد « اتنا نبذل جهدنا في اقناعها فاذا لم تقنع ظللنا على عزمنا فان وصية جدي مقدسة »

فسر عبد الله لثباته وهو لا يعلم ان سعيداً لم يقل ذلك الا بعد ما أملتته به لبابة من اقناع قظام ولولا ذلك لتردد في الجواب كثيراً وربما فضل البقاء على عهد قظام على احترام وصية جده لان غرامه بتلك الفتاة الفتانة غلب على كل جوارحه

فلما آانس عبد الله ذلك الثبات فيه استعجله في الذهاب الى قظام مخافة ان يطرأ عليه ما يضعف عزمته . وكان عبد الله قد عول في باطن سره اذا آانس فيه تردداً أن يثنيه عن الذهاب اليها . فلما فرغوا من الطعام نهضا ومشيا يلتمسان بيت قظام

ولا حاجة بنا الى بيان ما جال في خاطر سعيد مما سيقاسيه ساعة اللقاء من الاضطراب ولكنه سار مطمئن الخاطر لما ألقته اليه لبابة من المواعيد

ووصلا المنزل فأطلا على الحديقة فاحتلج قلب سعيد في صدره لتذكرة اللبلة التي لقي بها قطام هناك وما وقع له معها من تبادل عبارات الغرام . فدخلوا الحديقة وفيها هما يسيران بين النخيل رأيا لبابة واقفة بالبواب وهي تبتم . فلما رآها سعيد استبشر وتشدد فشي ورفيقه يسير في أثره حتى دنوا منها فحياها سعيد كأنه لم يرها بعد رجوعه . فسلمت عليه فقدم لها رقيقه فعرفها به فرحبت بهما ودخلا حتى أقبلا على غرفة قطام فاذا هي واقفة الى نافذة تطل على البحيرة وقد لبست جلباباً أسود فوقه خمار أسود فلما أقبلا أرخت خمارها ونحولت نحوها فحياها سعيد وذكر اسم رقيقه لها وهو يقول « لقد أتيت ومعني صديقي وأخي عبد الله فانه انبسي ومساعدتي » فرحبت بهما ودعتهما للجلوس فجلسا وجلست هي وكاهم سكوت وبعد السكوت برهة تسلمت المعجوز قائلة « لقد أوحشتنا ياسعيد بفيابك طول هذه المدة وقد أخبرنا ريحان أنك أتيت يوم سفرك الى هذا المنزل فلم تر قطام فشغلت بالناسرة ذهابك فعسى ان يكون الباعث خيراً »

فتشهد سعيد وقال « كلا انه لم يكن خيراً ياخاله لاني ذهبت الى جدي أبي رحاب في مكة اجابة لدعوته على يد أخي عبد الله » فأظهرت لبابة البغنة وقالت « وماذا عسى أن يكون سبب استدعائك » قال « انه دعاني لاراه قبل موته بعد ان هرم وغلب عليه الضعف والمرض ولما تحقق دنو أجله أراد ان يراني قبل المات فسرت ولم ألبث معه الا ليلة ثم قضى نحبه رحمه الله »

فتظاهرت قطام باستغراب الخبر كأنها لم تسمعه من قبل وقالت « هل مات جدك ؟ .. رحمة الله عليه وعزاك الله وأبقاك » . ثم تهتت كأنها تذكرت من فقدتهم وقالت « ان موت الاهل شديد الوطأة ياسعيد وخصوصاً اذا كان الميت لم يهرم مثل أبي رحاب »

وكان عبد الله يراقب حركات قظام وكان قد سمع بجمالها فلم يلم سعيداً على افتتانه بها ولكنه خاف أن تبقى على عهدا فتخرج من نصيب سعيد فود الاستطراق الى الموضوع ليرى ما يبدو منها ثم تذكر أن وجوده هناك لأول مرة قد يكون بائناً على تجنب البحث في ذلك الموضوع فتظاهر بغرض يحتاج اليه خارجاً ونهض وخرج وخرجت لبابة في اثره أماماً لحيلتها

## الفصل السابع والعشرون

### منتهى الدهاء

فلما خات قظام بسعيد قالت له « ومن هو هذا الشاب هل انت واثق به »

قال بنعمة المحب المفتون « انه رفيق صباى وموضع اسراري ولا اخشى بأسا من اطلاعه على كل شيء »

قالت « وهل اطلمته على عهدنا »

قال « نعم يا حبيبتى وهل ترين ما يمنع ذلك »

قالت « كلا لأرى مانعاً ولكنني أود انك لم تطلمه عليه لحاطر خطر لى بعد ذهابك الى مكة »

فاستبشر سعيد بهذا الاستهلال فقال « لأرى بأسا في ذلك لاني اعرف ضميره ولى به ثقة تامة . وما الذي خطر لك »

قالت « سأقصه عليك وأرجو أن تطاوعني عليه ولا تطالبني بما سبق بيننا من العهود »

قال « قولى ماتريدين . وما تريدينه انما هو العهد الذي نتعاهد عليه . فاني رهين اشارتك »

قالت « اتذكر انك جئت الينا يوم سفر ولم تجدني في البيت ؟ »

قال « كيف لا أذكر ذلك وقد كان له تأثير شديد على »

قالت « أندري أن كنت يومئذ »

قال « كلا »

قالت « خرجت الى أهلي لزيارة . ولم يكن غرضي مجرد الزيارة ولكنني بعد أن عاهدتك على قتل أمير المؤمنين شعرت بقلق واضطراب ولم أذق رقاداً تلك الليلة . فلما أصبحت قلت في نفسي لعل سبب هذا القلق ذنب ارتكبته بما سمعت فيه على الامام وهو لا يستحقه . فلاح لي أن امضي بنفسى الى أهلي وابحث عن حقيقه الواقع فرأيت بعد البحث ان الذنب في قتل والدي وأخي لم يكن ذنبه هو وتحققت انه بريء وانه نصح لها مراراً قبل الواقعة أن يرجعا فاليا ولما احتدم النزاع وعلم أنهما تحت خطر القتل أوصى ان لا يصيبهما أحد بسوء . ولكن بعض الاغرار قتلها بغير علمه ولما علم هو بذلك غضب على القاتل وانتقم منه . فشعرت في تلك الساعة بارتكابى أمراً عظيماً بما نويته وعولت على تحويلك عما تعاقدا عليه : فقضيت مدة غيابك وأنا في حيرة لا أدري كيف ابدأ باقناعك . وحفظت ذلك في سري حتى عن خالتي لبابة »

ولم يبالك سعيد عند سماعه ذلك عن الوقوف بغتة بغير ارادته وقبل أن يجيبها على خطابها نادى عبدالله ولبابة فجاءا فالتفت سعيد الى عبدالله وقال له « تعال اسمع يا أخي ما دبره الله لنا من اسباب السعادة . فانا لم نتكلف في اقناع قطام الى مشقة . بل هي تريد اقناعنا بالعدول عن العهد الذي أخبرتك عنه »

فاظهرت قطام الاستعراب وقالت « وكيف ذلك يا سعيد وما الذي جئنا به عساه خيراً »

فعرضت لبابة للكلام فقالت « يظهر انك جئنا بمنزل ما جاءتك هي به » قال « نعم يا خالة واحمد الله على ذلك فاني جئت من مكة وقد اقتنعت براءة الامام على وتقيدت بعهد عاهدت به جدي ألا أقتل علياً وكنت خائفاً ألا توافقتني قطام عليه وهي اذا لم تفعل ذلك كنت من أشقى الناس . فالحمد لله على ماجرى » وجلس يقص عليهم حديث جده ووصيته فظهرت لوائح البشر والسرور على الجميع . ثم استطرد الى حديث المؤامرة فلما ذكر

ان أحد المؤامرين تعهد بقتل الامام على تظاهرت قطام بالفضب وقالت « ألم تعرف من هو الرجل »

قال « لم أعرفه ولكنني علمت من سياق الحديث انه من فسطاط مصر »  
 قالت « أما وقد علمت بعزم هذا الرجل فاصبح السكوت عنه مشاركة له في القتل فلا بد من رده أو قتله »

فابتسم سعيد لذلك الاتفاق الغريب وقال « وقد فاني أن أخبرك بان من جملة وصية جدي أن أسعى في ذلك جهدي »

فقال « وهذا ما أراه أنا أيضا لان السكوت عنه أصبح جريمة ولكني أرى أن يبقى أمر هذه المؤامرة مكتوماً بيننا فلا نطلع عليه أحداً لئلا يسبقنا أحد الى اكتساب الفخر في رده أو ان انؤامر اذا علم باشتهار أمره ونحن لم نعرفه بعد يعجل بالقتل فيذهب سعيها عبثاً . ألا ترى ذلك يا عبد الله؟ »  
 فدهش عبد الله من ذلك الاتفاق الغريب ولو علم بزيارة سعيد للبابة لانكشف له سر الحيلة ولكنه أخذ الامر على ظواهره فقال « لقد رأيت الرأي الصواب وها أني مستعد للسمي في ردع ذلك الرجل مع أخي سعيد »  
 قالت « وما الذي تنويان فعله »

قال سعيد « ارى ان نذهب الى الفسطاط ونبحث عن الرجل لنعلم من هو أولاً فاذا عرفناه هان علينا رده »

فقات قطام « وما الفائدة من ذهابكما وانما لاتعرفان الرجل ولا تعلمان شيئاً من أمره وكيف يتأتى لكما معرفة اسمه . هل ذهبتما الى الفسطاط قبل الآن وهل تعرفان احداً هناك ؟ »

قال عبد الله « اني اعرف الفسطاط ولكنني لم أقم فيها طويلاً ولا اعرف احداً من اهلها ولكننا نبحث جهداً »

## الفصل الثامن والعشرون

### الاجتماعات السرية في عين شمس

فتقدمت لبابته وهي تظهر الاهتمام وكأنه قد فتح عليها برأي سديد فقالت  
« اجلسوا لاهديكما الى طريق يهون عليكما كل صعب »  
فجلسوا جميعاً وكانوا لا يزالون واقفين

فقالت « لا تسخروا برأيي لاني عجوز فاني أعرف من الاسرار ما لا يعلمه  
الا الله . اعلموا أن في مصر من مريدي الامام علي أحزاباً جمة اذعنوا  
لعمر بن العاص على الرغم منهم وهم صابرون على ما أصابهم من مقتل ابن  
أبي بكر وهم جماعة كبيرة لا يزالون ينوون الانتفاض اذا سمحت الفرصة .  
هل تعلمون ذلك ؟ »

قال عبد الله « أهذا ماتفاخريننا بمعرفته ولا يجبهه أحد من المسلمين  
فاني عالم به وبأكثر منه »

قالت « وما الذي تعلمه فوق ذلك »

فابتسم عبد الله ابتسام الاستخفاف وقال « اني أعلم أموراً كثيرة  
تلقتها من جدنا ابي رحاب رحمه الله وقد أوصاني أن لا اطلع عليها أحداً  
غير أخي سعيد لانها تنفعه في جهاده بالدفاع عن امير المؤمنين »

فتوسمت لبابته من وراء ذلك سراً لانها لم تغل ما قالته الا وهي ترجو  
الاطلاع عليه فهزت كنفها والتفتت الى قطام التفاتة ففهمت قطام مرادها  
فابتدرت عبد الله قائلة بنعمة الدلال « اذا كنت تلقت ذلك سراً فاحفظه  
ولا تبسح به لاحد من الخوارج نظيرنا . . . »

فخجل عبد الله من توبيخها اللطيف ونظر الى سعيد فرآه شاخصاً  
اليه كأنه يتوقع تصريحه بذلك السر بين يدي قطام لثلاثي الظن بهما  
فقال عبد الله وفي كلامه لهجة الاعتذار « حاشا يا مولائي . اني لأعني  
كتمان السر عنك بعد ان رأينا منك الموافقة على الدفاع عن امير المؤمنين

بل بعد ان كنت انت الداعية الى الدفاع عنه . ولكنني قات ماقلته ببساطة  
ولكي تتأكدي صدق نيتي اسمحي لي أن ابسط ذلك السر بين يديك  
ويدي خالتي ابابة » قال ذلك والتفت بمنة وبسرة كأنه يحاذر أن يسمعه رقيب  
أو عدو فاصغى الجميع لسماع كلامه فقال « علمت من جدي رحمه الله ان في  
الفسطاط كما قالت خالتي جمهوراً كبيراً لا يزالون على دعوة الامام على وهم  
متحدون قلبا وقالبا في القيام بنصرته ولهم اجتماعات سرية يجتمعون فيها  
للمفاوضة في الوسائل المؤدية الى ذلك » ولما بلغ الى هذا الحد تعلمت لسانه  
كأن شيئا أوقفه عن أمام الحديث وارتبك في كلامه فسكت

وظهرت البغته عليه وقد ندم على ما فرط منه وعول على الاقتصار على  
ماقاله فادركت لبابة المحتملة سبب توقفه فابتدرته قائلة وهي تضحك « أنعم  
به من سر عميق لم يطلع عليه أحد اني لأراك زدت على قولي حرفا واحداً .  
فقد قلت ان دعاة على باقون على دعوته فلم تزد على ذلك الا انهم  
يجتمعون سراً . وهذا أمر مفهوم بالقرينة فكانك ندمت على ثقتك بنا  
فبدأت بالحديث ثم قطعت ولا ألومك على ذلك فانك لاتعرفنا قبل هذه  
الساعة »

فقطعت قطام حديثها قائلة « تقولين انك لا تلومينه وأراك عاتبة عليه  
دعيه لئلا يظننا راغبين في استطلاع سره لغرض لنا ونحن انما نريد بعض  
مايريد عبد الله فلاحاجة لنا في سره ولكننا نوصيه ان يقوم بمؤازرة سعيد  
في ماأوصاه به جده وهذا يكفيننا » ثم وجهت كلامها الى سعيد قائلة « لقد  
سرتي من رفيقتك محافظته على السر حتى عن هذه الحقيرة التي بعد ان  
كانت أول الناقلين على علي اصبحت من اكبر المدافعين عنه وهب انه اراد  
افشاء ذلك السر فما نحن سامعون مايقول اذ ربما وسوس لنا الشيطان فبحنا  
به الى الاعداء . . . »

فوقع كلام قطام في قلب سعيد موقع السهام وغلب عليه الحياء والتفت  
الى عبد الله وقال « لاطاقة لي باحتمال هذا التأنيب يا عبد الله قل ماتعلمه

سمعت قطام أم لم تسمعه وما انا خارج من هذا المكان قبل ان اسمع بقية الحديث «

قدم عبد الله على ما فرط منه واصبح لا يدري كيف يتخلص من «بياته وارتبائه . ولما رأى الحاح سعيد هان عليه التصريح بما لديه وهو لا يرى في ذلك لوماً عليه فقال « أراكم تهمونني بذنب انا براء منه فاني لم اتوقف عن اتمام الحديث ضماً به على قطام بعد أن تحققت اخلاصها في الدفاع عن علي ولكنني صبرت ريثما استجمع كلام جدي بحرفه فاذا أذنت قطام تلوته عليكم خالاً «

قال سعيد « قل انها تريد واذا سدت أذنيها عن سماعه فأنا أسمعه « قال عبد الله « اخبرني ابو رحاب رحمه الله ان دعاة الامام علي يجتمعون سرأ في معبد قديم خارج الفسطاط في مكان يعرف بعين شمس يتفاوضون فيه سرأ في يوم الجمعة من كل أسبوع «

فسرت قطام ولبابة بالاطلاع على ذلك السر ولكن لبابة لدهائها ومكرها تظاهرت بالاستخفاف والانكار وقالت « أهذا هو سر ك العظيم انه باطل لا يقبله العقل «

فاغتاط عبد الله لانكارها وقال « وما الدليل على بطلانه يا خالة « قالت « تقول ان دعاة علي يجتمعون هناك كل جمعة ونحن نعلم انهم يمدون بالالوف فكيف يسعم ذلك المعبد . وهب انه وسعم فكيف يجتمع الالوف منهم كل أسبوع ولا يدري بهم عمرو بن العاص وعيوته مبثوثة في أطراف الفسطاط أليس ذلك باطلا «

فسر عبد الله لاستخفافها بكلامه اذ لا يكون لافشائه تأثير وود الوقوف عند هذا الحد فلم يرض سعيد بذلك بل أخذ على نفسه تفسير مقاله وهو يحسب انه أتى جديداً فقال « ان عبد الله لا يعني باجتماع دعاة علي انهم يجتمعون جميعاً كباراً وصغاراً ولكنه يريد أن رؤساء العشائر وكبارهم هم الذين يجتمعون فقط « فضحكت لبابة وتظاهرت بالرد عليه . فقطمت قطام كلامها قائلة « يظهر يا خالة انك انما تريدن المزاح فقد ككلفت عبد الله الافشاء

بالسر ثم جعلت تجادلينه ونحن كما قلنا لا يهمنا من الامر الا الوصول الى  
الغاية المقصودة وهذا يكفي »

## الفصل التاسع والعشرون

### عهد جديد

ثم وجهت قطام كلامها الى سعيد قائلة « دع لبابة وتخريفها واسع في  
ما أنت ساع فيه . فسر الى دعاة علي حيث هم مجتمعون وهم يمينونك على  
البحث والتنقيب . ولا أوصيك إلا وصية واحدة ذكرتها في بدء الحديث  
وهي أن تبقي هذا الامر مكتوماً يبتاعن كل انسان حتى نعرف من هو  
ذلك الخائن الذي يريد قتل الامام على فاذا عرفناه إما أن نرده عن غيه أو  
أن نرى رأينا فيه على ما تقتضيه الحال . أما اذا أشعنا خبره الآن فانه يبالغ  
في التستر وربما أسرع في انفاذ سهمه فيقتل أمير المؤمنين غيلة ويذهب سعينا  
عبثاً . أما الآن فنحن على يقين انه لا يقدم على ذلك الا في ١٧ رمضان  
ونحن لا نزال بعينين عنه . وزد على ذلك انك اذا حفظت هذا الامر  
مكتوماً وتفردت في البحث عنه كان الجزاء لك وحدك ولا أشك أن يكون  
عظيماً . ولا أرى فائدة من اطالة البحث . ولكي تتحقق شدة رغبتني في  
الاسراع ابدل عهدي ابدالاً يسرك فبدلاً من أن يكون اقتراقتا موقوفاً  
على قتل الامام على فقد جعلته وقفاً على انقاذه من القتل فاذا كنت تحبني  
( وهذا ما لا أشك فيه ) بادر الى العمل وهذان عبد الله ولبابة شاهدان  
على ما أقول »

وكان سعيد بعد أن تغير وجه المسألة يرجو أن يقترن بقطام قبل ذهابه  
في هذه المهمة . فلما سمع كلامها خجل من مراجعتها لكلا يقال انها أشد  
رغبة منه في الدفاع عن علي فانطلت الحيلة عليه ولم يسهه الا اجابها فقال :  
« وهذا ما عولت عليه أنا أيضاً لكي يتم عقد النكاح على يد الامام نفسه  
بجول الله »

وكان عبد الله في أثناء ذلك صامتاً يسمع الحديث وقد خامره شك في كلام قطام وندم لتصرعه في افشاء السر فظل صامتاً اثلاً يقع في ما يزيد ندمه وشعر لساعته بما أوتيته تلك الفتاة من الدهاء . ولم ير خيراً من اظهار ثقته بها وبصدق لهجتها فأخذ يطري غيرها ويثني على صدق مودتها فقال لها « انى أعد أخى سعيداً من أسعد خلق الله لتوقفه الى هذا النصب فاطلب اليه تعالى أن يوفقنا الى ما نحن ساعون فيه »

ثم قال « وقد أصبت بوجوب كتمان ذلك عن كل انسان بارك الله فيك » والتفت الى لبابة فقال « وأنت ياخاله رجو أن توصلينا بأدعيتك الصالحة وآرائك الصائبة »

فقال لبابة « وأما الرأي عندي فالاسراع في الامر فعليكما بالسفر حالا الى مصر واطلب الى الله تعالى أن يوفقكما ويسهل طريقكما واذا أنديتما القسواط اطلباهن شمس في يوم الجمعة ولا تعدمان من أنصار أمير المؤمنين من يرشدكما الى الباغي »

وقضوا البرهة في أحاديث أخرى ثم انصرف عبد الله وسعيد وفي نفس عبد الله شكوك لم يجسر على مكاشفة سعيد بها لما آتته من اخلاصه لقطام وارتياحه الى مواعيدها ولكنه عول على اغتنام فرصة يستطيع بها التسلط على أفكاره

## الفصل الثلاثون

### الغدر الفظيع

أما قطام فحالا خرج سعيد وعبد الله من منزلها خلت بلبابة فقالت لها لبابة « لقد تمت لنا المعدات وأن الانتقام على غير يد هذا الحيان . ان عليا سيقتل لاحالة ولقد أحسنت بطمأنته ومسارته . وأحسن ما رأيته من دهائك تصيره على الكتمان لانه لو اطلع عليا على خبر المؤامرة فشل المؤامرون ونجا على من الموت »

فقطعت قطام كلامها قائلة « ولكن ذلك وحده لا يضمن لنا الفوز ياخاله وأنا لم أتمس منه الكتمان لهذا الغرض فقط ولكنني اردت أن يبقي خبر المؤامرة مكتوماً عن كل انسان حتى عن هذين الامويين »  
 قالت « وكيف ذلك اني لم أفهم مرادك »

قالت « أنكونين لبابة المعجوز القهرمانه ويخفي كلامي عليك ..  
 ما الفائدة اذاً من البحث عن مجتمع أنصار علي .. »  
 قالت « اني لا أزال أجهل ما تريدنيه قولي ما مرادك »

قالت مرادي أن ابنت الى عمرو بن العاص بنحبر تلك الجمعية ويوم اجتماعها وهو لاريب ييفتها ويقبض على رجالها وسيكون سعيد وعبد الله بينهم فاما ان يقتلها أو يسجنها فاذا قتلها ظل أمر المؤامرة مكتوماً عن كل انسان واذا سجنها ظلا في السجن الى ما بعد ١٧ رمضان على الاقل فيكون قد نفذ السهم وانتقمت لقتيلي ولا يهمني بعد ذلك أمر »

فلما سمعت لبابة كلام قطام همت بها وقبلتها وهي تقول « بورك فيك يا بنية والله انك ابعد مني نظراً وأشد دهاء واذا احياك الله الى سني لم يعد ابليس يقوى على مكرك .. » قالت ذلك وضحكت . وظلت قطام عابسة لم تعباً بضحكها ولكنها نادت ربحان خادمها فحضر وكان جالساً في مكان بحيث يسمع ويرى ولا يراه أحد فلما وقف بين يديها قالت له « ألم يقتل سيداك ظلماً »

قال « كيف لا واني مطالب بدمهما »

قالت « ألم تدر لما دعوتك »

قال « بلى انك دعوتني لتبعني بي الى القسطنطينية أخبر عمرأ بن العاص بنحبر هذين أو بنحبر مجتمعات العلويين .. اليس لذلك دعوتني ؟ »

قالت « بلى اني دعوتك لمثل ذلك بورك بسوادك . هذا وقت الحاجة اليك . ولكنني اطلب اليك ان تبلغ عمرأ ذلك بدون ان تذكر اسمي واني واثقة بقطنتك فلا تخيب أملى . اذهب الى مصر ابلاغ الرسالة وجئني بمقتل هذين أو سجنهما وأنت حر لوجه الله »

فقطب ريحان حاجبيه وتظاهر بالعتاب وقال « ألا تعلمين يا مولاتي انك تهينيني بهذا الكلام من حيث تريدن سروري . أنتظنين اني افضل الحرية على الاستعباد لك . فقد قلت قولاً واسمحي لي أن اقول مثله . اني ذاهب لانفاذمرامك فاذا انافرت فيه رجوت ان تعديني بأن لا تذكرني الحرية قط »

فضحكت قطام وأظهرت الاعجاب بشهامة ريحان وقالت « سر يا اسمر انك والله خير من الف ايض »

## الفصل الحادي والثلاثون

### الفسطاط

هي مدينة عمرو بن العاص بناها سنة ٢٠ للهجرة بعد فتحه الاسكندرية . وسبب تسميتها بالفسطاط ( الخيمة ) أن عمرأ لما فتح حصن بابل حيث هو دير مار جرجس الآن أو دير النصارى بقرب مصر القديمة واستقر الصلح بينه وبين المقوقس نهض لفتح الاسكندرية وكانت خيامه منصوبة خارج ذلك الدير بين النيل وجبل المقطم فأمر بتقويضها والرحيل فجاءه منبىء ان في فسطاط الامير بماماً معشياً تحته صفاره لاتستطيع الطيران فقال عمرو « لقد تحرمت بجوارنا افروا الفسطاط حتى يطير فراخها »<sup>(١)</sup> فتركوا الفسطاط منصوباً حتى عادوا بعد فتح الاسكندرية فابتنوا الدور حوله . ولما تمت المدينة أطلق عليها اسم الفسطاط وهي أول مدينة بناها المسلمون في القطر المصري واتخذوها عاصمة ملكهم حتى بنيت القاهرة في القرن الرابع للهجرة فنقلت الحكومة اليها (راجع كتابنا تاريخ مصر الحديث)

وكانت الفسطاط في العام الاربعين للهجرة وهو العام الذي جاءها فيه سعيد ورفيقه عبد الله قد عمرت وأقامت بها القبائل والافخاذ في خطط وحارات بنيت لهم . وكانت الفسطاط مستطيلة الشكل على ضفة النيل الشرقية

طولها ميلان في ما يقرب من مصر العتيقة الآن . وأما مكان مصر العتيقة فقد كان يومئذ مجرى النيل المبارك وكان اذا جرى رست سفنه بباب دير النصارى حيث كنيسة المعلقة اليوم فكل ما بين الدير والنيل من اليبس وما أقيم عليه من البناء انما حدث بعد الاسلام

وكان جامع عمرو الباقية آثاره هناك الى هذا اليوم مركز تلك المدينة وحوله انشئت الحطط والازقة والحارات . وكان اقربها الى الجامع المذكور دار عمرو أو هما داران الدار الكبرى والدار الصغرى . وكان المسلمون أولا ينزلون في الخيام فلما بنى عمرو داريه اهتم الناس في بناء المنازل . ولم يكن قبل الفسطاط هناك الا بعض الديورة للقبط متفرقة بين النيل والمقطم . وبنوا الحطط أو الشوارع على اسماء القبائل التي تألفت منها حملة ابن العاص في ذلك الحين ومن نزع بدمهم وأوجهن جميعا اهل الراية من قريش والانصار وخزيمه وغيرهم فبنوا لهم خطة سموها خطة اهل الراية ثم خطة مهرة وخطط لحم واللفيف والصدف من كندة وخولان فضلا عن خطط غير العرب مثل خطة الفارسيين وهم من حضر الفتح من اهل فارس واصلهم من بقايا جند باذان عامل كسرى على اليمن قبل الاسلام اسلموا في الشام<sup>(١)</sup> ناهيك عن خطط اخرى لا تحصى فضلا عن الشوارع والازقة والحارات فترى مما تقدم ان الفسطاط لم يكن يقيم فيها في اول امرها غير المسلمين وأما المسيحيون واليهود ممن كانوا هناك قبل الفتح فن آثر البقاء تحت رعاية المسلمين أقام في الاديرة خارج الفسطاط واكبرها دير النصارى ( او دير مار جرجس ) وهو الحصن الذي حاصر فيه المقوقس ورجاله لما جاءهم المسلمون وكان يسمى حصن بابل او قصر الشمع . وربما اقام بعض القبط او اليهود في الفسطاط لتجارة او صناعة او كتابة لان عمراً عهد الى القبط في باديء الرأي كثيراً من اعمال حكومته وابقى الدواوين تكتب بالقبطية وما زالت كذلك الى اماره عبدالله بن عبد الملك بن مروان فأبدلت بالعربية وكانت مدينة عين شمس ( المطرية ) شمالي الفسطاط خربة لم يبق من

أبنيتها الشاخنة ومعالمها الرفيعة الا بعض الجدران الغليظة أو الأعمدة الضخمة  
والمسلات من بقايا الهياكل الفرعونية وهي مهجورة لا يقيم فيها احد فاذا  
احتاج الناس الى حجارة أو اعمدة ينون بها داراً كبيرة أو جامعاً حملوها  
من انقاضها

## الفصل الثاني والثلاثون

سعيد وعبدالله

أما سعيد وعبدالله فانهما تاهيا للرحيل في ذلك اليوم وأصبحا على  
راحتيهما وخرجا من الكوفة يلتمسان الفسطاط وهما لا يعلمان ما أعدته لهما  
قطام من المكائد . وسارا بجدران السير بوصولان الليل بالنهار حتى أقبلا في  
فجر يوم جمعة على الفسطاط فأطلا عليها من سفح المقطم فاذا هي ممتدة على  
ضفة النيل على مسافة طويلة وراءها التيل يجري وفيه السفن راسية تحمل  
الغلال والاحمال بعضها قادم من الصعيد والبعض الآخر صاعد من الشمال .  
وفي وسط المدينة جامع عمرو حوله الابنية والدور فوقها هنية يبحثان في  
الخطة التي يجب أن يسيرا عليها في أعام مهمتهما

فقال عبد الله « ها اتنا امام الفسطاط الآن وقد طلع فجر الجمعة الذي  
يجتمع فيه دعاة امير المؤمنين في عين شمس على ما نعلم . فهل نظل هنا حتى  
نسير توالاً الى عين شمس أم نزل الفسطاط ثم نخرج منها الى عين شمس »  
فقال سعيد « وما الداعي لبقائنا هنا وقد يكون في بقائنا مظنة سوء ونحن  
لا يعرف احد الا اتنا من دعاة معاوية . وزد على ذلك اتنا لا ندري الساعة  
التي ينعقد فيها ذلك الاجتماع تماماً وإنما علمنا باجتماعهم في يوم الجمعة فهل  
هو في الصباح أو في المساء أو أي متى ؟ »

قال عبد الله « لست على يقين من ساعة الاجتماع ولكنني اظنهم يجتمعون  
بعد صلاة العصر الى المساء وعلى كل لا أرى بأساً من النزول الى الفسطاط  
نصلي الصبح فيه ونجعل دوابنا في مأوي تستريح فيه . ثم أخرج انا للبحث

عن ساعة الاجتماع ومكانه واعود اليك ففسير معاً  
قال سعيد « لقد رأيت الرأي الصواب »

ونزلا بناقتهما حتى دخلا المدينة وهي يومئذ آهلة بالناس وقد أذن  
المؤذنون يدعون الناس الى صلاة الصبح فأتيا المسجد وأمامه ساحة كبرى  
تقف فيها الدواب تشد الى أوتاد أو نخيل . فربطوا الراحلتين ودخلا  
المسجد للصلاة وكانت الشمس قد اضحت وتقاطر المسلمون افواجا فدخلوا  
في جملة الداخلين

## الفصل الثالث والثلاثون

### عمرو بن العاص

ولم يكذب يستقر بهما الجلوس حتى رأيا الناس في حركة وجلبة وقد فتح  
باب في بعض جوانب المسجد دخل منه رجال في أيديهم السياط يزجرون  
الناس . فقال سعيد من هم هؤلاء . فقال عبد الله أنهم الشرطة يفتحون  
الطريق للامير . ولم يكذب عبد الله يتم كلامه حتى دخل رجل ربة قصير  
القامة وافر الهامة ادعج ابلج عليه ثياب موشاة كأنه العقيان تأتلق عليه حلة  
وعمامة وجبة عرفا انه عمرو بن العاص فصعد المنبر والناس ينظرون . فحمد  
الله واثني على النبي صلعم ووعظ الناس وامرهم ونهاهم وجعل يحضهم على  
الزكاة وصلة الارحام ويأمر بالاقتصاد وينهى عن الفضول وكثرة العيال  
واخفاض الحال في ذلك الى ان قال « يامعشر الناس اياكم وخلالا اربعا فانها  
تدعو الى النصب بعد الراحة والى الضيق بعد السعة والى الذلة بعد العزة  
اياكم وكثرة العيال واخفاض الحال وتضييع المال والقييل بعد القال في غير  
درك ولا نوال . ثم انه لا بد من فراغ يؤول اليه المرء في توديع جسمه  
والنديب لشأنه وتحليته بين نفسه وبين شهواتها ومن صار الى ذلك فليأخذ  
بالقصد والنصيب الاقل ولا يضيع المرء في فراغه نصيب العلم من نفسه  
فيجوز من الخير عاطلا وعن حلال الله وحرامه غافلا . يامعشر الناس انه

قد تدلت الجوزاء وذلت الشعرى واقلعت السماء وارتفع الوباء وقلّ الندى وطاب المرعى ووضعت الحوامل ودرجت السخائل وعلى الراعي بحسن رعيته حسن النظر فحيّ الله على بركة الله تعالى الى ريفكم فقالوا من خير ولبنه وخرافه وصيده واربعوا خيلكم واستنوها وصونوها واكرموها فانها جنتكم من عدوكم وبها مغانمكم وانفالكم . واستوصوا بمن جاورتهم من القبط خيراً واياكم والمومسات والمعسولات فانهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم . حدثني عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فان لهم فيكم صهراً وذمة فكفوا ايديكم وعفوا فروجكم وغضوا ابصاركم . ولا اعلن ما اتى رجل اسمن جسمه واهزل فرسه واعلموا اني معترض الحيل كاعتراض الرجال فمن اهزل فرسه من غير علة حططته من فريسته قدر ذلك واعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم وتشوّف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة التامة . وحدثني عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتج الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيراً فكثيفاً فذلك الجند خير اجناد الارض . فقال له ابو بكر رضي الله عنه ولم يارسول الله قال لانهم وازواجهم في رباط الى يوم القيامة فاحمدوا الله معشر الناس على ما اولاكم فتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم فاذا يبس العود وسخن الماء وكثر الذباب وحمض اللبن وصوح البقل وانقطع الورد من الشجر فحيّ الى فسطاطكم على بركة الله ولا يقدم احد منكم ذو عيال الا ومعه تحفة لعيله على ما اطاق من سعته او عسرتة . اقول قولي هذا واستحفظ الله عليكم» (١) انتهى

وكان عمرو يخطب والناس يسمعون وقد تخشعوا لما قاله من الاوامر والنواهي . فقال سعيد لعبد الله همساً « والله انه لنعم الامير وشلت يد تقاته اني والله منذره بذلك متى دنا الاجل المضروب » فلم يجبه سعيد مخافة أن يلحظ أحد شيئاً مما هما فيه

وبعد تمام الصلاة خرج الناس وخرج عبد الله وسعيد واجتمعوا في ساحة المسجد خارجاً وتعارفوا فعرف عبد الله رجلاً من غفار كان له معه صداقة فدعاه وسعيداً الى منزله ليقبها عنده فاعتذرا فألح عليهما فسارا معه لئلا يوجب ابتعادها شبهة فأنزلهما في منزل له في خطة اسمها خطة خارجة ابن حذافة فأمر الغفاري عبداً له بتسلم الراحلتين وسار بهما الى المربط ودخل بالضيفين الى غرفة لم يريا فيها نافذة الا كوة في أعلاها فجبها وهم عبد الله بالاستفهام عن ذلك وأوقفه التأدب فلحظ الغفاري استغرابه فقال له « لا تعجب لحال هذه الغرفة فان كذلك سائر أبنية الفسطاط »

فقال عبدالله « اني والله يا أخا غفار لني عجب عجاب مما أرى فما الذي دعا الى هذه الاقفال » فقال الغفاري « اعلم ان خارجة بن حذافة صاحب شرطة مولانا الامير عمرو بن العاص هو أول من ابنتى غرفة في الفسطاط . فلما علم بذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يومئذ كتب الى الامير عمرو بن العاص ان « ادخل غرفة خارجة وانصب فيها سريراً واقم عليه رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير فان اطلع من كواها فأهدمها » ففعل ذلك عمرو فلم يبلغ الكوى فأقرها <sup>(١)</sup> فلم يجسر أحد أن يبني غرفة بعد ذلك الا على هذا الوصف وهو بالحقيقة أضمن للحجاب »

## الفصل الرابع والثلاثون

### عين شمس

ثم جاءها الغفاري بالزاد فتناولاه وبعد الاستراحة التمسما الخروج لبعض المهام وهما انما يريدان الخلوة للنظر في ما جاء من أجله فخرجا ومشيا في وسط المدينة يتظاهران بالتفرج بمشاهدة ما فيها من الحوانيت والبيوت حتى خرجا منها فقال سعيد « اتنا في نحو الظهر وما العمل » فقال عبد الله « دعني أسير وحدي الى عين شمس فانها على بضعة اميال

من هذا المكان حيث ترى هذه الخرائب وأمامها هاتان المسلتان ( وأشار إليها باصبعه ) فابحث عن مكان الاجتماع فاذا عثرت عليه جئتك على عجل .  
فأين الملتقى »

قال « اني أقيم في المسجد حتى تعود اليّ واحذر أن تطيل غيابك »  
فسكت عبد الله ولبث برهة يفكر ثم قال « واذا أبطأت في الرجوع اليك فاطلب عين شمس وانتظرنى بقرب هاتين المسلتين اللتين تراهما قائمتين هناك وأنا آتيك أو أبعث من يدعوك الينا »

قال « حسناً » وافترقا وسار عبد الله يلتمس عين شمس وقد جعل وجهته إليها المسلتين وكاتنا ظاهرتين عن بعد . وعاد سعيد الى الجامع أما عبد الله فسار حتى أقبل على عين شمس فاذا هي عبارة عن أطلال ليس فيها من الابنية الا الجدران والاعمدة فطاف بين خرائبها فلم ير أحداً ولا سمع صوتاً وقضى في ذلك ساعتين يتردد بين تلك الجدران ثم يعود الى حيث بدأ فلم ير أثراً للآدميين فظن نفسه أخطأ المكان أو ساء فهم ما بلغه من أمر ذلك الاجتماع حتى كاد يهمل بالرجوع وقد خاب ما أمسه وخيل اليه ان دعاة علي أبدلوا مجتمعهم هناك بمكان آخر

فأسند ظهره الى جدار ووقف يفكر في ماذا يفعله وقد مالت الشمس نحو المغرب فرأى رجلاً قادماً من الفسطاط فشغل عبد الله نفسه بمشاهدة بعض ما هو محفور على تلك الآثار من الرسوم الهيروغليفية كأنه يعجب لغريب صنعها ريثما يمر الرجل ويمضي . وكان يتظاهر بالنظر الى تلك الرسوم وهو بالحقيقة يختلس النظر الى ذلك المار . وكان الرجل يظهر تارة ويختفي تارة أخرى في مروره بين الاعمدة والخرائب ثم اختفى ولم يعد يظهر

## الفصل الخامس والثلاثون

### الاجتماع السري

فمجب عبد الله لامره وقال في نفسه لا بد ان يكون هذا الرجل من جملة اهل ذلك الاجتماع السري وقد نزل في نفق او نحوه . فالتبس المكان الذي ظنه اختفى فيه فوجد هناك منحدرأ يظهر لاول وهلة أنه مسدود فنزل فيه وهو يخطو الهويبي حتى انتهى الى ظلمة دامسة فوقف وأصاخ بسمعه فسمع لفظاً عميقاً فاستبشر بالوصول الى المكان المطلوب ولكنه لم يكن يعرف مدخل تلك المغارة وخاف أن يستغشه القوم فيقتلوه

فوقف برهة يتردد بين أن يسير متمسكاً او يرجع فيأتي بسعيد . ثم رأى ان يتحقق المجتمع قبلاً ثم يعود نخطا بضع خطوات وهو لا يرى شيئاً أمامه فلطم رأسه بالسقف فحني ظهره وداهمه العطاس لرطوبة الهواء فمطس عطسة دوى لها المكان وما شعر الا وقد ظهر نور ضعيف وتقدم بضعة رجال كلهم ملثمون وعليهم أردية سوداء تزيدهم وحشة فقبضوا عليه وهو لا يبدي حراكاً . وزلوا به في ذلك الدهليز الى قاعة تحت الارض واسعة وكل جدرانها وسقفها مغطاة بنسيج اسود مما يجعل المنظر رهيباً ولولا شمعات مصبئة في بعض جوانب المكان لكانت الظلمة لا تطاق لكثافتها . ونظر عبد الله الى ما حوله فرأى في وسط القاعة دكة مغطاة بملاءة سوداء لم يدر ما تحتها ولكنه لم يستطع التأمل وقد احدق به بضعة عشر رجلاً التحفوا العبي تحتها السيوف وكلهم ملثمون . فخاطبه واحد منهم يسأله عما يريد

فقال « انى جئت أشاركم في ما أنتم فيه »

قال « وما ادراك ما نحن فيه »

قال « علمت انكم تدعون الناس الى نصرة الامام علي . أليس ذلك

ما تدعون اليه ؟ »

قال « وما شأنك وذلك »

قال « شأني هو شأنكم . لا تسيثوا الظن بي اني قادم من الكوفة  
لهذه الغاية »

فقال له رجل آخر « كيف تكون أموياً وتدعي نصره الامام علي »  
فاشبهه عبد الله بصوت مخاطبه انه صوت صديقه الغفاري الذي نزل  
عنده في ذلك الصباح

فقال له « ألسنت انت صديقي الغفاري . اصدقني ولا تخف اني والله  
جئتكم بخبر هام اذا أشركتموني في امركم اطلعتم عليه وتحققتم صدق قولي »  
فقال الغفاري « اذا كنت صادقاً في ما تقوله تعال معي » . ومشى قتيبه  
الى الدكة في وسط القاعة ورفع عنها الملاءة السوداء فاذا هناك مصحف  
فوقه سيف مسلول وقال له « ضع يدك على هذا السيف واقسم بالله العظيم  
انك حليف للامام علي تنصر نصيره وتحارب عدوه »

فوضع عبد الله يده على المصحف والسيف معاً فشمع ببرودة السيف  
فارتعشت أنامله ولكنه أقسم لهم كما أرادوا

ثم قاده بيده الى دكة أخرى رفع غطاءها وتناول عنها قارورة فيها  
مسحوق اسود كانه الكحل فاشتاق عبد الله لمعرفة ما فيها فقال « وما هذه »  
قال « هذه قارورة فيها بقية من رماد ابن أبي بكر الذي أحرقتموه بالنار  
ظلاماً فاذا شئت الهداية ونصرة الحق كما تدعي وجب عليك ان تكتحل بهذا  
الرماد وتبكي ذلك القتل المظلوم وتماهدنا على الاخذ بثأره . فهل انت  
قابل بذلك باق على قسمتك . ؟ »

قال « اني باق على ما تريدون وقد قلت لكم الصدق فلا تستغشوني »  
فتقدم له صاحبه ففتح القارورة وأدخل فيها ميلاً علق عليه بعض  
الرماد فاعطاه الى عبد الله فاكتحل به فهاجت عيناه وانسكب الدمع على  
الرغم منه فشاركه الرفاق في البكاء  
ثم أزاح الغفاري لثامه وقال له « نعم اني صديقك كما قات ولكن اعلم

انك اذا كنت على غير ما تقول فاني اكون غدوك أهدر دمك بحد هذا  
السيف . قل ما بدا لك «

فلما اطمأن عبد الله تذاكر سعيداً فقال « ولكن لي رفيقاً أريد أن  
ادعوه اليكم ليشهد ما نحن فيه ويشاركنا في هذا الجهاد «  
فقال له الغفاري « انك غير خارج من هذا المكان الا بعد خروجنا  
جميعاً فقل ما تريده «

فاطاعهم وقال « لا تعجبوا أولاً لاني أموي . وقد أصاب صاحبي  
الغفاري باني من انصار معاوية وقد كنت مطالباً بدم عثمان ولكن طراً  
على طاريء سأقصه عليكم أما الآن فأخبركم أولاً اني قادم من الكوفة وقد  
علمت ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب قد جمع رجاله هناك فاجتمع منهم  
حواله اربعون الف مقاتل<sup>(١)</sup> وكلهم مستعدون للنزال وبذل المال والرجال  
في هذا السبيل «

فقال « ان رجالنا يعدون بالآلاف ونحن وهم وأموالنا وكل ما نملكه  
تهدر حلالاً في نصرة الامام ابن عم الرسول «  
وهم عبد الله بأمم الحديث فاعترضه أحدهم قائلاً « عرفناك أموياً من  
ألد اعداء الامام كما ذكرت فما الذي حملك على نصرته حتى خاطرت بنفسك  
وجئت هذه البلاد «

فأخذ يقص عليهم حديث أبي رحاب ولكنه لم يكذب يقول كلمتين حتى  
سمعوا وقع حوافر الخيل فوق رؤوسهم وقد ارتج المكان فوقهم بالجلبة  
فأنصتوا ووقع الرعب في قلوبهم وخيل لهم انها دسيسة من عبد الله فهموا  
بقتله ولكنهم ما لبثوا ان رأوا انوار المشاعل منبعثة من مدخل الدهليز  
وقد انهالت الشرطة عليهم فأرادوا الدفاع عن انفسهم فلم يفلحوا فشدوا  
وناقهم وساقوهم في ظلام الليل الى الفسطاط

## الفصل السادس والثلاثون

### السجينة الامينة

ومك سعيد في الجامع حتى دنا الغروب ولم يعد عبد الله فتردد برهة بين أن يذهب الى عين شمس أو ينتظر عود عبد الله . ثم غربت الشمس فلم ير بدأ من السير الى عين شمس كما أوعز اليه . فخرج من الفسطاط وجعل المسلتين وجهته والظلام يكاد يحجبهما عنه فمشى وقد أوجس خيفة من ابطاء عبدالله ولم يعد يرى المسلتين الا اذا برزتا في الافق ثم اختفيتا ولم يعد يراها وخاف ان يضل الطريق . وفيما هو في ذلك سمع ديبياً وقرقة كأن جنداً قادماً وراه فتحنى عن الطريق فاذا بكوكبة من الفرسان مرت به مسرعة تلمس عين شمس فاضطرب وخاف السيمسة . والتفت الى يمينه فرأى يتناً قائماً في بستان . فلاح له ان يتحول اليه يستفهم أهله عن الطريق . فلما دنا منه سمع صوتاً خارجاً من بعض جوانبه استوقف انتباهه فوقف وأصاخ بسمعه فسمع صوتاً رخياً بمازجه بكاء ولم ير هناك نوراً ولا رأى أحداً في البستان فالتمس باب البيت فاذا هو موصد وقد وضع لديه صوت الباكي فتنصت فسمع صوت امرأة تبكي وتقول « الاتخاف الله ياظالم أما كفالك ماواطأت عليه من قتل البريء حتى رميت ألوفان الناس تحت خطر القتل الفظيع . . . هل من ينيء هؤلاء الابرياء بما وشوا به عليهم فينقذهم من خطر الموت »

فلما سمع سعيد تلك العبارات افشمر بدنه ولم يعد يصبر على استطلاع سبب ذلك البكاء . فقرع الباب قرعاً خفيفاً فانقطع الصوت بفته فصبر هنيهة وكرر القرع ويده ترتعش من شدة التأثر فلم يسمع شيئاً فازداد شوقاً لاستطلاع ذلك السر ولكنه خاف ان يقع في مكيدة وهو غريب هناك فلبث برهة والهواجس تتقاذفه وقد حدثته نفسه ان بين ما سمعه وبين ما يسعى في البحث عنه علاقة كبرى . وكان الفرسان الذين مروا به قد

بعدوا عنه ولم يعد يسمع من وقع حوافر افراسهم غير الدوي البعيد . قايقن  
 انهم ياتمسون عين شمس ولم يفهم سبب ذهابهم اليها في ذلك الليل . وبعد  
 التأمل بما سمعه ورآه اعتقدان في الامر سرأياً بهما الاطلاع عليه  
 فبز الباب بيده هزاً شديداً كأنه يريد فتحه بالعتف فلم يفتح لانه  
 موصد ولم يعد يستطيع صبراً والوقت ضيق فقال بصوت خافت « هل في  
 المنزل أحد يفتح الباب أنى غريب ضللت عن الطريق »  
 فأجابه الصوت من الداخل « ليس في البيت سواي والباب مقفل  
 لاسييل الى فتحه »

فازداد سعيد دهشة واستغرباً وقال « من أنت أيها المخاطب أنى  
 أراك في ضيق فهل من سبيل الى انقاذك »  
 فأجابه الصوت « يا حبذا ذلك اذا استطعته أنى حبيسة بالرغم عنى .  
 من أنت ؟ »

قال « قلت لك أنى غريب ضللت عن الطريق أريني وجهك أو  
 ارشديني الى وسيلة افتح بها الباب »  
 قالت « عاج الاقفال بالعتف لعلك تستطيع فتحها فتقذنى وربما انقذت  
 ألوفاً من الناس معى »

## الفصل السابع والثلاثون

### الشك واليقين

فئارت الحمية في رأسه واستل خنجره وجعل يعالج الاقفال وهي  
 تساعده من الداخل حتى فتح الباب فبرزت منه فتاة محلولة الشعر عليها رداء  
 اهل القسوط ولما رأت سعيداً قالت « من أنت ، اصدقنى الخبر ؟ »  
 قال « بل أنت اصدقينى ولا تخافى لقد سمعتك تتدين ألوفاً من  
 الناس فمن هم أولئك الالوف »

فتفرست فيه وتفرس فيها فلم يعرفها ولا عرفته لشدة الظلام

فقلت له « من قال لك اني اندب ألوفاً »

قال « سمعتك باذني . افصحني ولا تخافي »

قالت « وما يهكم من أمر هؤلاء الالوف »

قال « أخاف أن أكون منهم . . . »

قالت « وما الذي جاء بك الى هذا المكان »

قال « كنت ذاهباً الى عين شمس فتهت وجئت هذا المنزل لاسأل أهله عن الطريق فسمعت بكاءك ومحدثني قلبي ان حديثك يهمني . قولي لقد نفذ صبري »

قالت « اني أخاف العيون ولا أثق باحد بعد ان غدر بي والدي . . .

فكيف أثق بالغرباء »

قال « رب غريب أقرب من القريب . قولي لا تخافي »

وفيها هما في ذلك سمعا وقع الحوافر وصوت الضوضاء من ناحية عين شمس فدخات الفتاة الغرفة وجرت سعيدا بثوبه ولم تفه بكلمة فدخل في أثرها وقد تولته الدهشة ولبث صامتاً . ولم تمض برهة حتى دنت الضوضاء منهما وسمعا من بين الاصوات قائلاً يقول « لقد وقعتم في ايدينا أيها الخائون وعرفنا دسائسكم » وسمعا لغطاً كثيراً من هذا القبيل فظلا صامتين حتى مر الفرسان كلهم وهم يسوقون جماعة من المشاة موثقين فلما نواروا عن البيت لطمت الفتاة وجهها وقالت « لقد نالوا بفتيهم قبضهم الله وقبضوا على الجماعة »

فقال « وأي جماعة . هل قبضوا على جماعة عين شمس »

قالت « نعم انهم قبضوا عليهم وأسفاه »

فصفق سعيد بيديه وخرج ليطل على الفرسان كأنه يريد أن يتحقق

طريقهم

فقلت له « يظهر انك كنت سائراً اليهم »

قال « نعم »

فقلت « لقد نجاك الله من ايديهم ولم يكن ضلالك الا وسيلة لنجاتك »

فاضطرب سعيد واختلج قلبه في صدره وقال « بالله عليك افصحني يا خية  
فقد نفذ صبري وقد علمت غرضي فاخبريني عن حقيقة أمرك »  
قالت « لم يعد يمكنني البقاء هنا مخافة أن يأتي أحد فيراك معي فتكون  
العاقبة وخيمة علينا »

قال « وهل تريدن أن نبعد عن هذا المكان »  
قالت « نعم هلم بنا فاذا خلونا نحادثنا وعساک أن تتلافي أمراً لا أزال  
خائفة من وقوعه وهو شر عظيم » . قالت ذلك وخرجت من الغرفة فمشت  
أمامه وهو يتبعها حتى خرجا من البستان وأوغلا في الحقول وهو يسير في  
أثرها الى حيث لا يدري وكلاهما صامتان لا يفوه أحد بكلمة حتى دنوا من  
بناء عالي الجدران كأنه بلا باب . فقالت له هذا دير للقبط فلندخله بحجة  
الزيارة فتكون في مأمن ومشت أمامه الى باب صغير في أسفل الحائط مصفح  
بالحديد فقرعته فأطل عليها من نافذة في أعلى الحائط راهب في يده مصباح  
وقال « من يقرع الباب »

قالت « اتنا غرباء نلتمس زيارة الدير »

ولم يمض هنيهة حتى فتح الباب وسمع لفتحه عرير فدخلاه وقد احنيا رأسيهما  
لضيقة فامر فاعلى دهليز دخلا منه والراهب يسير بالمصباح أمامهما حتى اتيا  
الى الكنيسة فنظر الراهب اليهما في نور المصباح فعرف الفتاة انها من أهل  
الفسطاط بل هي من أعيانهم فسر من زيارتهما ورحب بها وادخلها الى غرفة  
في الجانب الآخر من الكنيسة فيها مصباح فسألها اذا كانا يحتاجان الى شيء  
فقالا كلا فتركهما ورجع

## الفصل الثامن والثلاثون

### كشف السر

أما سعيد فتأمل الفتاة في النور فاذا هي شابة في مقتبل العمر جميلة الطامة  
وقد احمرت عيناها وتكسرت اهدابها من البكاء ولم يزد لها ذلك الا جمالا .

وكانت قد ضفرت شعرها في أثناء الطريق وغطت رأسها بطرف ثوبها .  
فجلسا على وسادة فوق حصير وسعيد يتلهف لاستطلاع حديثها وقلبه يخفق  
لما يتوقعه من النبا الغريب فابتدرها بالسؤال حالا عن حقيقة أمرها  
فنظرت إليه ولم تكذ تأمله حتى قالت « أملك أحد الغريبين اللذين  
وصلا الفسطاط في صباح هذا اليوم »

قال « نعم اني هو وما أدراك بذلك »

قالت « رأيتكما مع جارنا الغفاري وها اني أقص عليك خبري الغريب  
وأتمس منك أن تشرع في ملافاة الحظر العظيم الذي سيدهم المسلمين قريبا »  
قال بلهفة « قولى اني لهذا الامر أتيت الفسطاط فعسى أن أكون قد  
وقعت على ضالتي »

قالت « انى اطلمت على سر لا أظن أحداً عرفه قبلي . . . ألت على  
دعوة الامام علي »

قال « بلى اني على دعوته وقد جئت في سبيل نجاته »

وهمت بالتكلم ثم توقفت برهة وأطرقت فلحظ سعيد تردددها وادرك  
انها اساءت الظن به فقال لها « لاتظنى السر الذي ستبينه لى مجهولا لدي  
واذا شئت قلته لك . ولاطمئنان بالك أقول انه يتعلق بالامام علي وفيه خطر  
على حياته . . . »

فاطمأنت ولكنها تهتت وقالت « اعلم ياسيدي ان والدي يصنع  
السلاح ويبيعه في الفسطاط وقد ريت وأنا اسمعه يتشيع للامام علي فانفوس  
حب هذا الامام في قلبي وما أنا في حاجة الى امتداح والدي له وهو ابن  
عم الرسول وصهره ولكننى ذكرت لك امتداحه لاذكر لك التغيير العجيب  
الذي طرأ عليه

« فما زلنا ندعو لعلي بالنصر حتى كانت واقعة صفين منذ بضع سنين  
فرايت في والدي فتوراً من هذا القبيل ولكنه لم يذكر لنا شيئاً صريحاً  
بهذا الشأن . على اني كثيراً ما كنت أراه يختلى بجار لنا من بني مراد كان

يعلم الناس القرآن وكنت أحسبه من أهل التقوى . . . ( قالت ذلك وتهدت) ولكنني وجدته وأسفاه من أهل العداء . وما زالا يتساران في أمر هذا العداء ولا يجرآن على النظاهر به لان مصر كانت لاتزال في حوزة الامام علي وعاملها محمد بن أبي بكر . فلما جاءنا ابن العاص بنخيله ورجله وحارب دعاة علي فقتل ابن أبي بكر رحمه الله قتلة لم يسبق لها مثل في الاسلام استقام الامر للامويين فجاهر والذي بمعاودة علي وكان جارنا المرادي يزيد كرهاً له . فعلمت أنهما تشيعا للخوارج فظلمت مع ذلك صابرة كاطمة اذ لا سبيل لي الى شيء اعمله وأنا فتاة ضعيفه كما ترى . وكان والذي يظني على دعوته . ففي ذات يوم جاءنا ذلك المرادي خاطباً وواقفه والذي ان أكون خطيبة له فلم اجب لاحسنا ولا قبيحا خوفاً من اكرامه على الزبيجة . ولكنني صممت في باطن سري أنني اذا تحققت عزمه على الزواج فررت وتركته وما زلت اماطل في كتابة العقد الى الآن »

## الفصل التاسع والثلاثون

عبد الرحمن بن ملجم

وكانت في أثناء كلامها عن الزواج قد اطرفت حياء فلما بلغت الى هذا الحد رأيت سعيداً مصفياً الى حديثها بكليته وهي تعلم انه انما يشناق الى آخر الحديث اكثر مما الى اوله فخافت ان يمل فقالت « ولا اطيل عليك الحديث قبل ان اصل الى جوهره فاقول ان ذلك كله احتملته بالصبر ثم علمت ان المرادي خرج الى مكة فظننته يلتمس الحج ووددت الا يعود ولكنني مالبثت ان رأيت عائداً »

قالت ذلك وتهدت وسعيد يتناول لسماع ماتقول وقد دهش لغرابة الحديث

فقالت « عاد ذلك المرادي بمهمة جديدة ياليتني مت قبل ان سمعت خبرها . . . ولكنني اذا لم أجد من يتحمل المشقة في تلافها تلافيتها

بنفسى . . . جاءنا هذا المرادي ثانياً يوم وصوله الفسطاط فاخلى بوالدي الليل كله يتكلمان وأنا لا أعلم ما دار عليه حديثهما . ولكنى علمت بعد ذلك انه أوصى والدي أن يصنع له سيفاً ماضياً انفق عليه الف درهم وقضى مائة يوم وهو يشحذه فلم افهم معنى هذا الاستعداد ولا اهتمت به وبعد ان شحذه كلف والدي فسقاه السم . وقد علمت انه انفق على سقايته الف درهم أيضاً<sup>(١)</sup> . . . فويل لجسم يجرحه هذا السيف ولو جرحاً خفيفاً «  
 فل سعيد ولم يعد يستطيع صبراً على التصريح باسم ذلك الرجل والافصح عن غرضه بسقاية السيف وهو لا يشك أنه المؤامر على قتل الامام علي . وكان قد صبر نفسه حتى يسمع ذلك من فم الفتاة ولكنه مل الانتظار فسألها قائلاً « وما هو اسم هذا الرجل »

فقلت « ان اسمه عبدالرحمن بن ملجم المرادي »

فلم يذكر انه يعرفه أما خولة فتهدت وقالت « فلما رأيت منه هذا الاستعداد وهو كاتم خبره عنى عمدت الى الحيلة فجاءني في صباح أمس يودع والدي وقد عزم على الكوفة فقلت في نفسي سيذهب الرجل ولا أدري السر فتظاهرت باعجابي بشجاعته واقدامه واطريت غيرته على الاسلام ونحو ذلك وسألته ان يريني السيف لاناأمل فرنده فجاء به وأوصاني ان اتقى حده لان جرحه يميت حالاً فسلته بحذر كلى فاذا هو يلمع لمعاناً تقشعر منه الابدان فارتعد جسمي ولكنى أظهرت الجلد وقلت « اراك انفقت مالا كثيراً على صقله ما الفائدة من هذا اللعان »

فضحك مستخفاً وقال « أتظنين اني انفقت كل هذا المال على

مجرد صقله »

قلت « وماذا اذا اني لأرى فيه غير اللعان »

فقال « اني سقيته السم »

فأظهرت الاستغراب وقلت « ولماذا سممته . وما زلت أحاوله وأجاده حتى هان عليه التصريح فقال لي « اعلمي ياخولة اني سأقتل بهذا السيف

رجلا يزعمون أنه أكبر رجل في الاسلام ويقولون أنه أقرب أقرباء الرسول» قال ذلك والشر باد في عينيه واصفرار الوجل يتخلل ما كان يحاوله من الابتسام . أما أنا فلما سمعت قوله ارتعدت فرائصي واختلج قلبي وأظنه قرأ ذلك على وجهي . كيف لا وقد ظهر لي انه يريد الامام علياً . ولكنني أحببت تحقق الظن فقلت « ومن هو ذلك الرجل » . فقال « ألا تعلمين من هو ألا تعرفين سبب كل هذه الانقسامات واذا كنت لم تفهمي بعد فاقول لك انه علي بن أبي طالب الذي يسميه أشياعه أمير المؤمنين » . قال ذلك واحمرت عيناه وتجلى الغدر في وجهه وقال « احذري أن تبوحى بذلك لاحد والا فانك تنالين جرحاً من هذا السيف » قال ذلك وهو يمزج الجذ بالهزل . أما أنا فتحققت انه يقتلني ولا يبالي لانه تجرأ على قتل أمير المؤمنين فكيف لا يقتل فتاة مثلي »

« فلم استطع جواباً وخفت اذا نطقت ان يبدو امري فصمت وقد عولت في باطن سرى على السعي لا بلاغ أمير المؤمنين ذلك على عجل لان موعد القتل قريب وأظنه في ١٧ رمضان لأني كثيراً ما كنت اسمعه يذكر هذا التاريخ ويعرض بذكر الكوفة ولم أكن افهم مراده بذلك . وأما الآن فقد فهمت جيداً انه عازم على قتل الامام علي في ١٧ رمضان ونحن في أراسط شعبان وأخاف أن ينال هذا الرجل بغيته قبل أن يبلغ الخبر علياً . آه باليتنى طير أحمل هذا الخبر اليه »

## الفصل الأربعون

### برج الخفاء

وكان سعيدنا وصلت خولة الى ذكر اسم الرجل وتصريحه بمقتل الامام على قد نهض وجعل يخطر في الغرفة ذهاباً وإياباً والجمية ملء رأسه وندم على مجيئه قبل أن ينجز الامام علياً ولكنه تذكر انه لم يكن يعرف اسم المؤامر ولم تكن نمة فائدة من اعلامه أما الآن فانه يذهب اليه بالخبر الصريح

وكان مع شدة تأثره من حديث خولة لا يفغل عما يتجلى في وجهها من ملامح الجمال وما في حديثها من صدق اللهجة وقد أعجبه منها بنوع خاص غيرتها على الامام على فشعر بانعطاف نحوها . ولكنه تذكر عهده لقطام وما يظنه من حبها له فرأى ان لا يطلق لنفسه العنان في حب سواها . على انه لم يكد ذهنه ينصرف لحظة الى هذا الموضوع حتى عاد الى التفكير بعبدا لله ومصيره وسبب وجود خولة في ذلك البيت المنفرد . فقال لها « لا أدري يامولاتي ما الذي ساقني الى منزلك حتى حظيت بك وسمعت هذا الحديث الذي انما جئت الفسطاط من أجله . ولا أخفي عليك اني كنت عالماً بعزم بعضهم على الفتك بالامام ولكنني لم أكن اعلم اسم العازم ولا من هو فجئت الفسطاط ومعني رفيق من ذوي قرابتي كان قد سبقني في صباح هذا اليوم الى مجتمع العلويين في عين شمس على أن يعود الى بئير مكانهم فلما ابطأ سرت في اثره وأنا لا أعرف الطريق فضلت في الظلام حتى اهتديت بك ونعم الضلال ضلالى . ولكنني في قلق على رفيقى اذ يلوح لى ان الفرسان الذين شاهدناهم الليلة كانوا قادمين من عين شمس ويظهر انهم قبضوا على انصار على هناك . . ألا تظنين ذلك ؟ »

فقلت خولة لو صبرت على لآتمام حديثي لسكفيت نفسك مؤونة الظن ويلوح لى انك تود الاطلاع على سبب وجودى منفردة في ذلك البيت وقد اوصلت الابواب دوني . فاعلم اني لما سمعت حديث المرادي سكت وكظمت فخرج الرجل وأظنه شخص الى الكوفة ولبثت انا في حيرة لا ادري ماذا أعمل فقضيت نهار امس في الهواجس والظنون وكلما تصورت عالياً مقتولا بسيف هذا الغادر يقشعر بدني . وكان والذي يخرج الى حانوته في كل صباح ولا يعود الى المساء وعندنا في المنزل عبد رباني منذ حدائتي وهو يحبني ويكرمني وكنت فلما اكلمه فخطر لى ان اغتم غياب والذي واكلم العبد عساه ان يطعننى على نبأ جديد او لعلى افهم شيئاً آخر . لان حديث ابن ملجم اتعبنى واقلق راحتي وليس لدي من اشكو اليه امرى او اكشفه سري فخرجت من غرفتي لادعوا العبد فلم اجده فناديته باسمه فابطأ

ولم يجب فأطلت من الدار فرأيتنه واقفاً مع عبد آخر يظهر انه غريب وكانا يتحادثان ويتساران . فلما رأني خجل وأسرع الي فدخلت غرفتي ودخل هو في أثري وعلى وجهه أمارات البعثة كأنه سمع خبراً غريباً يريد قصه علي . فقلت « اين كنت وقد دعوتك فلم تجب ؟ »

قال « كنت واقفاً مع عبد قادم من الكوفة لمهمة سرية الى الامير عمرو »

فقلت « وهل اطلعك على خبر تلك المهمة »

## الفصل الحادي والأربعون

### اتمام الحديث

« فسر عبدنا لما آتته من ملاطفتي وأراد أن يبرهن علي ثقته بي فقال انه اطلعني علي سر لا أظن أحداً يعرفه في كل الفسطاط سوى الامير وبعض شرطته » ثم اخبرني ان ذلك العبد جاء الى الامير عمرو بأن انصار علي يجتمعون سرأ في عين شمس يوم الجمعة وأن عمراً عين جنداً للقبض عليهم أو قتلهم في ساعة الاجتماع . فلما سمعت ذلك لم أمالك عن البكاء لشدة الغيظ ورأيت من أهم واجباتي ان ابليج الجمعية تلك النية ليتحذروا . ولكنني لم أكن اعرف احداً اتق به في انفاذ هذه المهمة فعولت علي الذهاب بنفسي في ساعة الاجتماع

« فأصبحت في هذا اليوم وأنا اتوقع خروج والدي الي حانوته لا تنكر وأسير الي عين شمس فاذا هو لم يخرج من البيت ورأيتنه في اضطراب ووجل وما علمت ان العبد اخبره بالحديث وانه اطلعني عليه فخاف والدي ان ابوح لاحد قبل القبض علي المجتمعين . فلما زمني في البيت الي الظهر ثم دعاني للخروج من الفسطاط للنزهة فأتينا هذا البيت وهو بيت لشريك لنا في الفلاحة ولم يكن فيه احد فلم اظهر استغرابي ولا قلت شيئاً لاني كنت عالمة بأن والدي سيكون في جملة السائرين الي عين شمس فلا بد من ان يتركني فاذا تركني خرجت وأنا علي مقربة من المكان . وما علمت ما اضره لي

فاتا لم نكد نرى الشمس تميل حتى خرج والدي وتظاهر بأمر هام يدعوه الى سرعة الذهاب وادعى انه اقبل الباب علي خوفاً من الغرباء أو ابناء السبيل سامحه الله وهو يعلم اني لا أستطيع النداء واستجد الناس لاني اذا تظاهرت بنصرة الامام كنت من المفضوب عليهم فظلت هناك حتى جئت انت ورأيتني في هذه الحال . فرقيقك لاشك انهم قبضوا عليه في جهة أولئك الانصار »

قال سعيد « هل تظنين ان عليه بأساً »

قالت « لأظنه الا مسجوناً حتى يسأله اسئلة كثيرة ثم اذا رأوا قتله قتلوه وكذلك يفعلون برفاقه . ولكن لا بأس عليه باذن الله وسندبر في امره . وما العمل الآن اني اخاف اذا عاد والدي ولم يرني في البيت ان تزيد نقمته على قارى ان اذهب الى منزلنا في الفسطاط واتظاهر بانني خفت من بقائي في البيت ففتحت الباب بأسلوب اكيهه على شكل مقبول ولا بد من تجاهلي كل ما حصل لارى ما يكون . وما انت فاعل ؟ »

قال « اود ان اسرع الى الكوفة لارى بن ملجم فأقنعه أو اخبر الامام علياً »

فقطعت عليه الكلام قائلة « وكيف تقنعه وهو لا يتنع بل قد يسرع في القتل وليس افضل من ان تطلع الامام علياً على الامر وهو يدبر بما يراه »

قال « وكيف افعل برقيتي هل اتركه في السجن »

قالت « وأخاف اذا تأخرت هنا ان تفوت الفرصة والمسافة من هنا الى الكوفة بعيدة وانى لاعجب منك كيف كنت عالماً بخبر هذه المؤامرة ولم تخبر بها علياً وانت في الكوفة »

فتشهد وقال « كني الملام قد وقع وما وقع وكنت أظن الكتمان يبعد المصيبة وفاتني ان اخبرك بأن المؤامرة ليس على مقتل الامام على فقط بل هي على مقتل عمرو ومعاوية أيضاً » وقص عليها الخبر مختصراً

## الفصل الثاني والأربعون

### الحب يعمي ويصم

فاستغربت خولة الخبر وقالت « مالنا ولهذا نحن اتنا نريد الدفاع عن علي الآن ولكنني لم افهم كيف انتقل خبر قدومكم الى هنا وأنت تقول انه كان سرا مكتوماً لم يطلع عليه أحد »

فكاد سعيد يسيء الظن بقطام ولكن الحب غشى بصيرته فانتحل سبياً آخر وقال « لا أدري » وخطر له ان يقص عليها حديثه مع قطام ثم امسك عن ذلك حفظاً لعهدها وهو كما قلنا غير مرة سليم النية لا يعرف الدهاء ولهذا السبب نفسه لم يطلق لعواطفه الحرية في حب خوله مع أن الاحوال تقضي عليه بحبها بالنظر لما آتت من جاملها وحميتها مع استهلاكها في نصرة الحق

على أنه أدرك مع ذلك أن كتمان خبر المؤامرة عن علي الى ذلك الحين خطأ ولكنه حماه على غلط قطام لا على سوء قصدها ومع ذلك فقد رأى الامر سهل التلافي ولا يزال ثمة باب مفتوح لا نقاذ على بمجرد اعلامه . ولكن ذلك يدعو الى السفر السريع وهو لا يعلم ما آل اليه حال عبد الله فقال لها « اني عازم على الكوفة بأقرب وقت فما الذي افعله برفيتي وأنا لا أدري اذا كان حياً أم ميتاً »

قالت « غداً نعرف الحقيقة دعني اذهب الآن الى منزلنا بالقسطاط وامكث انت هنا الى الصباح »

قال « كيف استطيع البقاء هنا وحدي ولا صبر لي على استطلاع خبر عبد الله فأرى ان ادخل القسطاط واتردد الى المسجد ولا يعرفني احد هناك فاما ان اسمع خبراً ممن يفد على المسجد من المصايين او تبشئ الى بالخبر »

قالت « لك الخيار في ذلك » ونهضت فنهض وخرجا فراقها الى

قرب منزلها وودعها وعاد يلتمس بيت الففاري للمبيت وهو لا يدري أن الرجل في جملة المقبوض عليهم وقد أصبح بيته موضع شبهة ولا كانت خولة تعلم ذلك

وكان الجند بعد القبض على أهل ذلك الاجتماع قد ساقوهم في الاغلال الى السجن وكان عمرو ينتظرهم في داره فلم يصبر على رؤيتهم الى الصباح فلما أخبروه بالقبض عليهم أمر باستقدامهم اليه واحداً واحداً فرأى بينهم جماعة ممن لم يكن يخطر له أنهم على غير دعوة بني أمية وخصوصاً الففاري . ولما وصل الى عبد الله عرف أنه من بني أمية وتذكر قرابته من أبي رحاب ولكنه تجاهل عن ذلك كله وأمر ان يسجن كل من هؤلاء في حجرة على حدة وبعت جنداً يبعثون منازلهم ويقبضون على من فيها من الرجال لعلمهم يطلعون على شيء جديد وهو معول على اعدامهم بعد ذلك . ولم يكن الجند يحتاج الى امر للنهب وقد اصبحت منازل اولئك العلويين وما فيها مالا حلالا لهم . فما صدقوا ان امروا بالبحث فيها حتى حملوا عليها واوغلوا سداً ونهاً

## الفصل الثالث والاربعون

### البغته

وكان سعيد قد نزل في بيت الففاري فسأل عن صاحبه فأخبره اهل المنزل انه خرج من الظهر ولم يعد . فلم يخطر له انه في جملة المقبوض عليهم فالتمس الحجرة التي وضع فيها ثيابه وهم بالرقاد ولم يكذب يلقى رأسه على الفراش حتى تراكت عليه الهواجس فأخذ يفكر في عبد الله وماذا عسى ان يفعل لانقاذه وخاف اذا ابطأ في المسير الى الكوفة ان ينفذ ابن ملجم بغيته فيذهب سعيهم عبثاً

وفيها هو في هذه الهواجس وقد طار نومه سمع لفظاً في الدار ولم تمض برهة حتى علت الضوضاء وضح الناس فوقف وتنصت فاذا برجال عمرو قد

دخلوا المنزل وأوغلوا في النهب ومن تعرض لهم آذوه فأيقن أنهم آتون الى حجرتة وتحقق أنهم مؤذوه فتقلد حسامه والتفت يمينا وشمالا لعله يجد مخرجاً ينجو به بنفسه فسمع صوتاً يناديه من وراء الحجرة فاستأنس بالصوت ثم عرف انه صوت خولة ولم يكن له سبيل الى مشاهدتها غير نافذة عالية لا يشرف منها الا اذا صعد على مرقاة فاحتال في الصعود اليها وأطل وكان الظلام حالكا ولكنه رأى شيحاً وسمع صوت خولة تقول له « ان الشرطة سيفتكون بكل من في المنزل واذا رأوك آذوك فاليك هذا الحمار والجلباب فالبسهما وافتح الباب واخرج فيظنوك امرأة فلا يتعرضون لك » فلم يصدق أنه سمع ذلك حتى مد يده وتناول الحمار والجلباب وتكربهما وتخمّر وهو يرقص من الرعدة مخافة أن يسبق اجله فيدخل الشرطة قبل خروجه

فلم يكن الا كالمح البصر حتى لبس وتلم بالحمار وفتح باب الغرفة وخرج بزري امرأة فرأى الضوضاء لا تزال مرتفعة والنهب جارياً فلم يتعرض له أحد فالتمس الشارع وراء البيت حيث كانت خولة واقفة وهو مع دهشته وبغته لم يبالك عن الاعجاب بشهامتها والاقرار بفضلها عليه . وفيما هو يفكر بها رآها تمشي أمامه فاقفني خطواتها حتى وصلا الى مكان منفرد فوقفت وقالت له « الحمد لله على سلامتكم وسلامة الامام علي » فلم يفهم مرادها فابتدته قائلة « لا تعجب لقولي فان حياة الامام علي تتوقف على حياتك اذ ليس هنا من يعلم الخطر الذي يتهدده سواك نعم اني اعرفه ايضاً ولكنني لا اضمن اقتداري على الذهاب ولا آمن الاعهاد فيه على احد »

فقال « وأنا انما أبغي البقاء حيا لا قوم بانقاذ هذا الامام من القتل والفضل بالحقيقة لك انت فأخبريني كيف عرفت بالخطر المحقق بي حتى جئت بهذه الحيلة »

قالت « علمت من والدي ان عمراً أمر بنهب منازل اولئك العلويين والقبض على من فيها من الرجال والمال وأخبرني ايضاً ان هذا الغفاري كان

في جملة المقبوض عليهم وقد علمت انك نازل في منزله فجئت اليك بهذه الحيلة  
فالمحمد لله على سلامتك «

فشعر سعيد بفضل خولة وأحس بانعطاف نحوها ولكن حبه لقطام  
ما زال غالباً عليه قابضاً على قلبه لا يترك له سبيلاً الى سواها  
وبعد التأمل برهة قال « وما العمل الآن اني عازم على الكوفة عاجلاً  
ولكنني لا أدري ما ألم ببعد الله ولا ما يؤول اليه حاله هل علمت شيئاً  
عنه ؟ »

فتشاغلت خولة عن الجواب باصلاح ثوبها كأنها تحاول اخفاء ماتعلمه  
فظها لم تسمع كلامه فأعاد السؤال . فقالت « لا يعلم المستقبل الا الله »  
فلم يعجبه جوابها فقال « افصحني عما تعلمينه ياخولة »  
قالت « اعلم ان عمراً أمر بقتل أولئك العلويين في فجر هذا الصباح  
ولكن من يدري النتيجة »

فاختلج قلب سعيد أيما اختلاج وشمر كأنك صببت عليه ماء غالباً وقال  
« ماذا تقولين هل يقتلون عبد الله ما العمل كيف يقتلونه »  
فقالت « دع الامر لله واعذرني اني لأستطيع البقاء معك طويلاً  
لثلا ينتبه والدي لغيابي فلا انجو من القتل . وأما انت فحياتك في أشد  
الخطر فيجب عليك ان تخرج من القسطنطينية حالا »

فقطع كلامها وقال « كيف أخرج وعبد الله سيقتل غداً انه صديقي  
وابن عمي وأعز من أخي كيف العمل يارباه »  
فقالت له « لاخيرة في الواقع فان شراً واحداً أهون من شرين ومع  
ذلك ان الوقت ضيق لا مجال فيه للسعي أو البحث عن سبيل لانقاذ حياة  
عبد الله اذا قدر الله قتله ونحن الآن في منتصف الليل وسينفذ القتل عند  
الفجر . . . » قالت ذلك وسكتت هنيئة

فابتدرها سعيد قائلاً « يلوح لي ان ابوح لعمرو بعزم بعض الناس  
على قتله وأحذره من الوقوع في الخطر ألا تظنينه يعفو عن قتل عبد الله  
مكافأة لهذا الجميل »

قالت « ربما عفا ولكنه لهاته وشدته يظن في قولك السوء فيقبض عليك ويؤجل قتل عبد الله حتى يأتي ١٧ رمضان فاذا لم يظهر صدق قولك قتلكما جميعاً . فهل انت ضامن ان المؤامر على قتل عمرو يأتي في الوقت المعين وخصوصاً اذا علم باطلاع عمرو عليه . فلا تكون النتيجة الا انك القيت نفسك الي التهلكة . ولكنني أرى ان تترك الامر الى لعلني اهتدي الى وسيلة استغفل بها والذي فأذهب بنفسني الى الامام واطلمه على هذا السر فاذا رأى ان يقبض على فليفعل والمستقبل في يد الله . أما انت فسر حالاً الى الكوفة قبل فوات الفرصة ان الوقت قصير . . . . . ووقتي الآن أقصر منه . دعني اذهب الى والذي قبل ان يعلم بنياني فيعرقل مساعي ثم أرى ما يكون . وسرانت الى الدير الذي كنا فيه في أول هذا الليل وسأتيك بالخبر . وقبل ان تصل الدير انزع عنك النقاب والازار وادخل بثوب الرجال ورئيس الدير يعرفك فلا يستغشك » . قالت ذلك وانصرفت تلتبس منزلها وهو يود لو انها بقيت

## الفصل الرابع والاربعون

### الخلوة

فلما خلا بنفسه مشى وهو غارق في بحار الهواجس لا يدري الى أين يسير . فما شعر الا وقد خرج من القسطاط ووصل الى حافة رعة ظنها لأول وهلة النيل . ثم مالبت ان رأى ضيقها فعلم انها خليج . وكان الظلام حالكاً فوقف برهة وأفكاره تائهة في عبد الله ومصيره وكلما تصور ما هو فيه من الخطر هب جسسه واقشعر بدنه

وظل واقفاً وقد نسي موقفه لانشغال باله فرأى بانقرب منه نخلة فاقرب منها وجلس على حجر تحتها وأسند ظهره اليها وجعل يفكر في حاله وحال عبد الله وما جره الى تلك المدينة من البواعث الهامة . فتذكر قطام ووعودها وما مر له معها من الاحوال . وكان الجو هادئاً لا يكدره الا نقيق

الضفادع على شاطئه ذلك الخليج فاتخذ تقيها شوماً على عبد الله وتصور انه لا يطلع النهار حتى يكون في عداد الاموات . فلما تخيل ذلك اقشعر بدنه فوقف بغتة وقال في نفسه « أأبى أنا هنا وعبد الله في حال الخطر الشديد . . . ماذا تكون حاله مع عمرو . . . هل يقتله أم يستبقيه آه . . . ماذا أعمل هل امكث في الفسطاط لانقذ عبد الله من القتل أم أسير الى الكوفة لانقاذ الامام علي . . . ولكن ما الفائدة من بقاي هنا وابن العاص قد عول على قتل عبد الله في صباح الغد . . . لا بد من المبادرة الى انقاذه » قال ذلك ومشى بجانب الخليج جنوباً وهو يفكر في مجرى الماء هناك وتيق الضفادع يعترض مجرى أفكاره . ثم تأمل في ذلك الخليج فتذكر انه خليج أمير المؤمنين وقد حفره عمرو بن العاص لما فتح مصر منذ عشرين عاماً لارسال المؤونة عليه الى الحجاز تلافياً لما كانوا يخافونه من القحط هناك . وكان قد حفره بإشارة الخليفة عمر بن الخطاب (١) لما كان كرسي الخلافة في المدينة فتذكر حال الاسلام في ذلك العهد وما كان فيه من اجتماع الكلمة وما فتحتة سيوف المسلمين من البلاد الواسعة في الشام ومصر والعراق في بضع عشرة سنة . وكيف تحولت تلك السيوف الباترة بعد مقتل الخليفة عثمان الى الفتنة فانقسم المسلمون فيما بينهم وشغلوا عن تأييد سلطانهم بالحروب الاهلية حتى أصبحوا يقتلون خلفاءهم بهم ما انزل الله بها من سلطان . وأقبح ما آلت اليه تلك الفتنة أنهم تأمروا على قتل امراءهم وخصوصاً الامام علي وهو ابن عم الرسول وخيرة قواد المسلمين ولا ذنب له غير السعي في تأييد الكتاب . ولما تصور تلك الحال انقبضت نفسه وغلب عليه الكدر حتى كادت تخنقه العبرات وهو لا يدري أيكي عبد الله أم بيكي الجامعة الاسلامية أم بيكي الامام عليا أم بيكي سوء بخته الذي جره الى تلك المدينة حتى وقع في تلك الحيرة

## الفصل الخامس والأربعون

### خليج امير المؤمنين

ثم وقف بفتة والفتت الى ذلك الخليج وجعل يخاطبه قائلاً « أأنت الخليج الذي أشار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بمحرك؟ قل لي بمائك الذي يجري فيك هل علم ابن الخطاب لما أذن بذلك أن دولة الاسلام سيقضي عليها بالانقسام حتى يحمل عامتهم على خليفتهم فيقتلوه ثم يختلفوا على الخلافة فيقتسموها ثم يختصموا على اقتسامها . هل خطر لابن العاص يوم نزل وادي النيل وحاصر هذا الحصن المنيع حصن بابل أنه سيجرد سيفه على المسلمين ويقتل ابن ابي بكر حرقاً بالنار ثم ينقم على ابن عم الرسول فيستخرج الخلافة من يده بالحيلة . . . أن أنت يا عمر يا أمير المؤمنين يا جامع كلمة المسلمين . كانت المدينة مقر الخلافة وانت على كرسيها فأصبحت منقسمة على نفسها بدعيها غير أهلها . . . آه ياربى ما هذه الحال يا ليتني مت قبل ذلك . . . هنيئاً لك يا أبا رحاب ان عظامك ساكنة في هذا التراب وروحك تنتظر لقاء ربها في يوم الحساب . . . أما أنا الشقي فاني تائه بعدك تتنازعني عوامل لا أدري مصدرها ولا أعلم مصيرها أأبقي هنا لأرى مصير أخي عبد الله أم اسرع الى الكوفة لانيء الامام بما تأمروا عليه ؟ . . ارشدني يا جدي وياسندي . . أأبقي هنا؟ وما الفائدة من بقائي هل يعفو عمرو عن عبد الله فيبقى حياً فأراه . . ؟ لا اظنه يفعل . . اذا ماذا يفعل أيقنته ولا استطيع الدفاع عنه ؟؟

« آه يا خولة يخيل لي انك ملاك أرسلك ربك لترشدني الى سواء السبيل . . فهل يتم لي السعد على يدك فتنقذين عبد الله من القتل . . . »

## الفصل السادس والاربعون

### الاعراق

وفيما هو يحدث نفسه ويمشي الموبنا على تلك الضفة سمع لفظاً وحركة عن بعد فأجفل وتقدم نحو الصوت وهو يحدق بنظره فعلم انه بجانب فم الخليج عند اتصاله بالنيل ورأى في النيل سفنا كبيرة وسمع لفظا عميقا كأن لصوصا يهيمسون فيما بينهم ويحاذرون ان يسمهم أحد . وكان هو لا يزال بلباس النساء فيخاف ان يراه احد فيتحكك به فيتكشف أمره فانزوى وراء جزيرة كبيرة بقرب الشاطيء ثم خاف ان يدنو منه أحد فيراه فتسلق فرعا من فروعها واختبأ بين الاغصان والاوراق وهو يحاذر أن يحف الورق . حتى اذا استكن على غصن غليظ جعل يتفرس بما يراه فاذا هناك بضعة وعشرون رجلا يحيطون ببضعة وعشرين آخرين كأنهم أسرى مغلولون يساقون الى قارب كبير وسمع بعضهم يقول « الى أين أنتم ذاهبون بنا في هذا البحر العلكم تريدون اغراقنا » فشجبه أحدهم قائلا « وما علينا اذا اغرقاكم . وانتم عصابة شريرة تأمرتم على نصرة رجل قتل الخليفة عثمان »

فصاح آخر « أهذه أعمال ابن العاص يقتل الرجال غيلة . أما كفاه انه يلتمس الخلافة لصاحبه بالحيلة حتى يقتل نصراء الحق غرقا . . . أما تخافون الله . ألا تخافون يوم القيامة »

فصاح به آخر وقال « لا تخف يا فلان اتنا انما امرنا بنقلكم الى جزيرة الروضة تبقون فيها أياما » ثم عات الضوضاء فلم سعيد أنهم انصار علي الذين قبضوا عليهم تلك الليلة في عين شمس . فتحقق ان عمراً اشار بقتلهم غرقا في النيل فارتعدت اعضاؤه حتى كاد يقع من الجزيرة وحدثته نفسه ان ينزل لنصرتهم . ولكن الخوف غلب عليه لعلمه انه اعزل وانهم جماعة كبيرة وكلهم مساحون فلبث برهة كأنها سنة وهو يرتجف من شدة التأثر واتنصت

لعله يسمع صوت عبد الله أو يراه فلم يسمع شيئاً ولم يكن يطمع ان يرى أحداً لشدة الظلام ولا هو يأمن أن ينجيه من ايديهم لكثرتهم وانفراده ولم يكن الا بضع دقائق حتى اصبح الكل في القارب ثم اداروا الدفة وهو ينظر اليهم ولم يقلعوا حتى ندم على سكوته وود لو انه جاهر بنفسه لعله يستطيع نجدة اولئك المظلومين أو يقتل . ولكنه تذكر ان بقاءه حياً ضروري لانقاذ الامام علي فكس برهة كأنه في حلم وهو يتردد بين الندم والاسف ويلتمس عذراً لسكوته حتى توارت السفينة عن بصره في لجج الظلام فأيقن ان عبد الله لا يلبث أن يبيت طعاماً للاسماك اذا كان بين اولئك . وهو لا بد ان يكون بينهم لانهم عصبة واحدة نالوا جزاءً واحداً

## الفصل السابع والاربعون

### الندم

فلت هنية يفكر فيها مرّ به فاشتدت هواجسه حتى بكى ونزل من الجميزة وهو يلطم وجهه ويندب عبد الله ويكي حاله ويوبخ نفسه لضغفه وتردده . فقال « أرى عبد الله يساق الى القتل ولا انصره يا للجبين يا للخيانة . . . كيف أتخلى عن رجل ذهب ضحية جبه لي ولولاي لم يأت هذه الديار ولا رأى ما رآه من البلاء . . آه ياربى ما الفائدة من حياتي . . . » ثم سكت هنية وهو يستجمع حواسه ويتأمل في موقفه فرأى انه ارتكب خيانة عظيمة . فقال « اني لا استحق البقاء حياً ولا بد من ان ألقى نفسي في هذا الماء لعلي التي فيه حبيبي عبد الله فتذهب بقاياتنا معاً » قال ذلك وهم أن يلتقي نفسه في النيل فشعر بقوة أوقفته بغتة وقد فكر في الامام على وما يحدث به من الخطر فقال « اذا قتلت نفسي اما اقتل علياً معي . . . نعم اقتله لانى اذا لم التمس الكوفة وأبنته بعزم ابن ملجم ذهب قتيلاً بذلك السيف المسموم . . . آه يا خولة ابن وعدك بانقاذ عبد الله . . . ولكن ما ذنبك وأنت لا تعلمين انهم سيسرعون في اغراقه قبل انبلاج الصباح . . . انه دهاء

ابن العاص ومكره ... ولكنه سوف ينال نصيبه من اولئك المؤامرين ...  
يا ليتني أفبأته بالمؤامرة وجهلتها فدية لعبد الله ... ولكن قضي الامر ولا  
خيرة في الواقع »

## الفصل الثامن والاربعون

### خولة

ثم سكت وجعل يتأمل في ما حوله ولا يطاوعه قلبه أن ينظر الى جهة  
مسير القارب . فأراد ان يتحول الى المكان الذي أتى منه فرأى شبحاً  
مسرعاً نحوه نخاف وتنبها للدفاع اذ رآه يقرب منه . فلما اقترب الشبح اذا  
هو امرأة فعجب لقدمها وحدها في ذلك الليل ولكنه ما لبث ان تفرس  
في قياقتها حتى علم انها خولة تخفق قلبه في صدره وغاب الحجل عليه لما رآه  
من جرأتها وقدمها في ذلك الليل وهي فتاة لعلمه أنه لا يحملها على القدم  
الا السعي في انقاذ عبد الله . فحدثته نفسه أن يختبئ خجلاً ولكن البغنة  
غلبت عليه فدنا منها وناداه . فلما عرفت صوته صاحت فيه « ابن عبد الله »  
فأراد أن يحببها فاختق صوته وسبقته العبرات  
فدنت منه وهي تقول « سعيد ... هل رأيت أحداً جاء الى هذا  
المكان وما الذي جاء بك الى هنا »

قال « نعم اني رأيتهم يحملون اولئك الاسرى في قارب »  
قالت « وأين هم ... اين ذهبوا بهم ... هل رأيت عبد الله ...  
هل هو معهم ... »  
قال « لقد حلوهم في القارب ولا أدري اذا كان عبد الله معهم لاني لم  
اسمع صوته ولا رأيت »  
فصفت بكفيها وقالت « لا بد من ان يكون معهم آه ما الحيلة الآن ...  
ما كنت أظن ان ابن العاص يجعل يقتلهم على هذه الصورة ... وكيف لم  
تحاول الدفاع عنهم ... »

فأجابها والاعتذار والحجل يتنازعانه وقال « لم اكن اعلم ان عبد الله معهم وهي اتي علمت فكيف استطيع انقاذه وأنا فرد أعزل وهم جماعة مسلحون . . . . »

فصمت خولة برهة ثم قالت « لقد فعلت حسناً فأبقيت على نفسك لانقاذ الامام علي لان حياته موكولة الى سرعة رجوعك »

فقال بلهفة « وأنت ما الذي جاء بك وكيف عرفت بمسيرهم »

قالت « علمت ذلك من عبدنا وكنت قد دبرت حيلة ادخل بها على عمرو لاستمهاله في قتل عبد الله باطلاعه على سر المؤامرة فعلمت انه بعث بهم هذه الليلة لاغراقهم في النيل مخافة ان يترتب على قتلهم جهاراً فتنة وهو يعلم ان انصارهم كثر في القسطنطينية . فأسرعت لعل استطيع انقاذ عبد الله بحيلة . فلم يساعدنني القدر . . . وأسفاه عليك يا عبد الله . . آه من أهل الظلم . . . ان عمراً قد غلب علينا بحيلته فأخرج الخليفة من يده لجهل ابي موسى الاشعري ولكنه ان ينجو بنفسه من غائلة المؤامرين . . . » ثم دنت من سعيد وقالت « انا أعلم ان فقدان عبد الله مصيبة علينا لانه شهم ولكنه قضي ضحية واجباته على اتنا رجوا ان نعوض عن خسارته بانقاذ الامام علي من خطر القتل فاركب الى الكوفة على عجل وعم المهمة التي جئت من اجلها . فيها قد عرفت اسم المؤامر وانه سار الى الكوفة فاسرع ما استطعت قبل فوات الفرصة »

وكان سعيد مع شدة تأثره مما رآه تلك الليلة من الاحوال لا يفقل عما أبدته خولة من الحمية والجرأة وقد ازداد حباً لها واعجاباً بشهامتها . . . وفيما هو يفكر في ذلك ابتدرته قائلة « اعلم يا سعيد اني خرجت الليلة من بيت والدي تحت خطر القتل وأنا احسبك في الدير كما تواعدنا وكنت عازمة على الذهاب لاستجثك في سرعة المسير ثم أعود الى والدي وانتحل له سبياً في خروجي . أما وقد التقينا هنا فاني استودعك الله والتمس منك ان تسرع في الذهاب واني عائدة الى بيتنا وسأرسل اليك جملاً مع عبدنا وأمره أن يسير في ركابك الى الكوفة »

## الفصل التاسع والأربعون

### السفر العاجل

فأعجب سعيد بتدبيرها وثبات جأشها ورأى نفسه ضعيفاً بين يديها ولم يستطع مخالفتها فقال « لا نلبث ان يتبين لنا الحيط الابيض من الحيط الاسود . وها اني خارج الى جبل المقطم فهل يوافيني عبدك وجملك الى هناك »

قالت « انه سيوافيك حالا سر بحراسة الله واحذر ان تفوتك الفرصة . ان ابن ملجم قد سبقك الى هناك . هل فهمت ذلك ؟ » قالت ذلك ومدت يدها اليه فصافحها وبده ترتعش وقد نسي حاله لحظة ثم تذكر ماهو فيه من الامور الهامة . وربما اضطرب قلبه بين يدي خولة ولكن حبه قطام مازال غالباً عليه على انه عول في باطن سره اذا نجح في مهمته ان لا يدع خولة تخرج من يده فيجعل لها مقاماً في قلبه . فقال لها « ارجو ان تذكريني وتدعي لي بالتوفيق »

قالت وقد فهمت مراده « سر اني معك وان كنت في القسطنطينية وأرجو ان يجمعني بك يوم يتجوز به الامام من ايدي الظالمين وينال ما يستحقه من الاستقلال بالخلافة »

فأخذ قولها تعيناً له لافتكاره بالحب ونحوه وهو في مهمة ارفع منزلة من ذلك

أما هي فأسرعت في وداعه وألحت عليه في سرعة المسير واكدت له ان يلاقي عبدها والجل وراء المقطم ثم تحوات بسرعة الى القسطنطينية

فلما تركته وحده حول وجهه الى النيل حيث كان القارب . وتأوه وتحسر وقال « استودعك الله ايها الصديق الحميم استودعك الله ايها الاخ الحبيب لانغرو اذا ذهبت ضحية في سبيل نصره امير المؤمنين انك اذا قضيت

عزيراً وأنت حي فستلقى ربك باسمها مفتخراً فادع لي ان القاه منتصراً على  
القوم الظالمين «

قال ذلك ونحول يلتمس جبل المقطم ولم يدركه حتى انبلج الصبح  
فلقى العبد قد سبقه الى هناك ومعه الجمل وسائر معدات السفر

## الفصل الخمسون

### عام الحيلة

فلتركة سائرا يطوي البيداء وتعد الى قطام في الكوفة وما كان من  
دهائها ومكرها بعد سفره . فقد ذكرنا ارسالها عبدها الى الفسطاط للوشاية  
بسعيد وعبد الله ثم خلت بلبابة فقالت لها « لقد تمت لنا الحيلة في قتل هذين  
المفرورين فانهما مقتولان لا محالة . بقى علينا ان نعلم من هو المؤامر على قتل  
علي فاذا عرفناه نشطناه على قتله وساعدناه فان قبيلتي كلها تنصره في ذلك »  
فضحكت لبابة وقالت « انه امر سهل فان عبدك ربحان ماهر باساليب  
الدهاء مثل سيدته ولا نظنه الا عائداً الينا بالخبر اليقين وأما تحريض ذلك  
المؤامر على القتل فهو اسهل وخصوصاً اذ ارأى هذا الوجه الجميل فانه مفتن  
به لا محالة فما عليك حينئذ الا ان تعديه بالزواج وتجعلي قتل علي مهراً حللاً  
لك . . . كيف رأيت رأبي »

فقالت قطام « بورك فيك ياخاله والله انك معبرة عن احساسي . أما  
وعده بالزواج فهو امر سهل علي . ولا نظننا محتاج في البحث عن ذلك  
الرجل الى كبير مشقة فانه اذا دنا الميعاد المضروب لا بد من قدومه الى  
الكوفة واذا جاءها فلا بد من أن يطلع احداً من اهلي على عزمه لعله  
اتا على دعوته . فاذا عرفناه هان علي كل عسير »

صدق القائل « كل سر جاوز الاتين شاع » فلم يدخل شهر رمضان  
حتى تحدث اهل الكوفة في حادث فطبع بخافونه على حياة امر المؤمنين  
وكان الناس يتداولون ذلك الخبر همساً وهم لا يبأون به لانه غير مسند الى

شاهد ولا أحد عرف الغائل فضلاً عن علم العقلاء منهم ان امثال تلك الاشاعات جائزة في مثل ما كان فيه الامام علي يومئذ . ولم يفت الامام وأهل حاشيته شيء من تلك الاشاعة ولكنهم لم يعبأوا بها وحملها أهله وأصحابه على اشاعات ينشرها ذوو الاغراض . وما تحسن الاشارة اليه انك كلما ترى حادثاً قظيماً لم تتقدمه الاشاعات المثبتة بقرب وقوعه . وهو سر لا نفهمه ومهما يكن من الامر فان أهل الكوفة كانوا يتحدثون ببلاء يخافونه على أمير المؤمنين ولكن أكثرهم كانوا لا يكثرثون

ومضت أيام ودخل شهر رمضان فاصبحت قظام قلقة لتعرف من هو المؤامر على قتل الامام علي لتصره أو تحرضه . فلما اقترب نصف الشهر ولم يأت أحد ولا سمعت بأحد ظنت المؤامرين عدلوا عن عزمهم تهيئاً وفرقاً واستبطأت عيها ربحان وقد كانت في انتظار قدومه لعلها تسمع منه شيئاً عن أولئك المؤامرين ولكي تسأله عما آلت اليه حال سعيد وعبد الله . على انها لم تكن تشك في وقوعهما في الفخ

## الفصل الحادي والخمسون

### عود ربحان

وأصبحت قظام في الخامس عشر من رمضان والباب يقرع وكانت نياحة تبيت عندها بعد سفر ربحان . فنهضت لبابة فسمعت جعجة جمل عرفت أنه جمل ربحان فأسرعت الى الباب ففتحته فاستقبلها ربحان فقبل يدها وهو لا يزال بلباس السفر ودخل تواء الى غرفة سيدته . فلما رأته ابتسمت له ابتسامة عوضت عليه كل شقائه . فنقدم لتقبيل يدها وهو مشرق الوجه اشارة الى نجاح مسماه . فقالت « اني اقرأ آيات البشر على وجهك وان كان اسود اللون فاقصص علي تفصيل ما أتيت به من آيات الدهاء والمهارة » فقال وهو ينفخ الغبار عن لحيته ووجهه « ركبت الى الفسطاط فوصلتها يوم الخميس قبل وصول سعيد وعبد الله بيوم فسرت تواء الى الامير عمرو

بن العاص وقصصت عليه خبر القادمين وان في الفسطاظ جماعة من أنصار علي يجتمعون في عين شمس كل جمعة . فأمر رئيس شرطته ان يتهباً للوقت المعين وخفت أن يهاجموا المكان قبل وصول سعيد وعبد الله ولكنها وصلا في اليوم التالي وذهبا الى المجتمع وقبضت الشرطة عليهم جميعاً ولكنني لم أرت سعيداً في جملة الاسرى »

فقطعت قطام كلامه قائلة « وهل قبضوا على جماعة كبيرة من أولئك

الانصار »

قال « قبضوا على نحو عشرين وعبد الله معهم »

قالت « وسعيد ؟ »

قال « لم أراه وأظنه تأخر عن الاجتماع فلم يحضره فنجنا بنفسه »

قالت « وماذا فعلوا بالاسرى »

قال « ساقوهم الى النيل وأماوهم غرقى في الليلة التي قبضوا عليهم فيها »

فأشرق وجه قطام ثم انقبض بفتة ولبابة تنظر اليها كأنها تتلذذ بالتأمل

في ملاحظتها . فلما رأتها انقبضت همت بها وقالت « ما بالك ؟ ما الذي كدرك »

قالت « ان سعيداً لا يزال باقياً فأخاف ان يعرقل مساعينا »

قالت لبابة « لا خوف منه لانه كما تعلمين بسيط القلب سهل الانقياد

تطلي عليه الحيلة بسهولة . وأما عبد الله رفيقه فقد رأيت فيه دهاء ومكرأ

فالمحمد لله على نجاحنا منه »

قالت « صدقت ولكن سر المؤامرة عند سعيد فاخاف اذا جاء وانبأ »

علياً به أن يحتفظ علي بنفسه فيذهب سعينا هباءً متثورأ »

فاطرفت لبابة برهة ثم التفتت الى ريحان وقالت « هل عرفت الرجل

المؤامر على قتل علي »

قال « علمت انه من بني مراد واسمه عبد الرحمن بن ملجم »

فبغت لبابة وصاحت « أهو ابن ملجم . . ؟ لقد هان الامر »

فقالت قطام « وهل تعرفينه »

قالت « اعرفه جيداً وهو جريء قل ان يقدم على مثل هذا العمل

سواء واذا كان عبد الرحمن بن ملجم هو المؤامر فقد نلنا المرام فإنه يجب الحسان ويسلته في سبيل مرضاتهن . ثم ادنت فيها من اذن قطام وقالت « ولا أشك اذا رآك الا خاطبك » . ثم تحولت الى ربحان وقالت « وهل رأيت قبل مجيئك »

قال لا « ولكنني سمعت انه سافر الى هنا يوم وصولي الفسطاط وكنت اظنه وصل اليكم ولا اشك اذا جاء قدم اليكم لاني آلت من خبر حزبنا هناك مايدل على ذلك فهم يعتقدون فينا الكره الشديد لعلي وانا زبدي قتله وخروج الامر من يده . ولذلك فاننا لا اظن المؤامر اذا أتى الكوفة الا مكشفاً بعض أسيادي من اخوتك وأعمامك »

فقال « بالله ألا سرت الى أهلي وبخنت عن الرجل فاذا سمعت بخبره اثنتي به على عجل واحذر ان يعلم بأنك مرسل من قبلي لهذه الغاية وأنت فطن عاقل فلا توقع نفسك في ما تلام عليه »

وخرج ربحان ولم يبدل ثيابه فتبعته لبابة الى حديقة البيت فوقفت به في ظل نخلة وهمست في اذنه قائلة « اذا لقيت الرجل قل له ان خالتك لبابة هنا وهي تريد ان تراك لامر هام . وعجله بالمجيء واذكر له اني مقبلة في منزل سيدتك قطام واحتل في حديثك بحيث يفهم منك ما عليه سيدتك من الحسن والجمال واني ربما ساعدته على الزواج بها . وانت فطن عاقل لا تحتاج الى تدريب في ذلك » . فقيل ربحان يدها وهو يضحك وبهز رأسه كأنه يقول « يظهر انك لا تعتقدين فطانتى ولولا ذلك لم يكن ثمة داع لهذا التصريح »

## الفصل الثاني والخمسون

### لبابة وابن ملجم

وانصرف ربحان وعادت لبابة الى قطام وبملاحظتها تدل على اعجابها بدهاء قطام وابتنست وهي تقول « لاريب عندي اتنا فزنا بما تريد وقلبي

يحدثني ان علياً سيقتل ويشفي غليلنا منه على اهون سبيل «  
 أما قطام فظلت صامته وقد قطبت حاجبها كأنها تفكر في أمر ذي بال.  
 فقالت لها لبابة « ما بالك يا قطام ما الذي حدث لك فوجب هذا الاهتمام »  
 قالت « اني خائفة ياخاله »  
 قالت « ما الذي يخيفك »  
 قالت « اني خائفة من سعيد فقد قال لنا ريحان أنهم لم يقبضوا عليه في  
 الفسطاط ولا يبعد انه اطلع على اسم المؤامر وميعاد القتل ولا أخاله الا  
 قادمًا بنجبره الى علي فاذا أخبره بأمره تمرقت مساعينا وذهب سميناً عبناً »  
 فقالت لبابة « وما الرأي يا بنية »  
 فقالت « لا بدانا من تدير الامر بالحكمة وتدارك الحادث قبل وقوعه »  
 قالت « هات رأيك »  
 قالت « أرى أولاً ان نسمى في امساكه عن الذهاب الى علي . اذ قد  
 يترأى له أن يسير اليه حال وصوله الى الكوفة »  
 فقالت « وهذا سهل فاتنا نبعث ريحان فيلاقيه في مكان خارج الكوفة  
 لا بد له من المرور فيه فلما ان يؤخره عن دخول الكوفة أو ان يدعوه  
 الينا بمحبة اشتياقك الشديد اليه ! ! ولا أشك انه اذا سمع بشوقك نسي  
 كل شيء وطار اليك . ومتى جاءنا استبقيناها بأي حيلة كانت واذا لم يبق  
 مختاراً أبقيناها مجبوراً . ماقولك ؟ »  
 قالت « ارى مثل رأيك ولكنتا الآن في الخامس عشر من رمضان  
 ولم يبق الايوم واحد قبل اليوم المعين فلا بد من المبادرة في ارسال من  
 يوقفه خارج الكوفة أو يستقدمه الينا وريحان قد سار الى اهلي وربما  
 أبطأ علينا »  
 قالت لبابة « دعى هذا الى ها اني ذاهبة في أثر ريحان فابعثه الى خارج  
 الكوفة وأبحث عن ابن ملجم بنفسي وذلك سهل علي لاني اعرفه شخصياً »  
 قالت ذلك وتبرقت وتناولت عكازها وخرجت تعدو ولا غدو الشباب  
 وخلت قطام بنفسها فتأملت بما هي فيه من الامور وراجعت في مخباتها

مادبرته من الحيل في سبيل قتل الامام علي فرأت أنها أحسنت بارسال  
ربحان فاذا نجح في ايلاف سميد ونجحت لبابة في استقدام ابن ملجم وتم  
لها اغراؤه وتشجيعه نالت هي بنيتها وانتقمت لايها وأخيها . ولما تصورت  
وقوع ذلك انقبضت نفسها لفظاعة ذلك الامر ولكن شوقها للانتقام  
هون عليها كل صعب

وكانت قطام ذكية الفؤاد متوقدة الذهن ولو انها كانت حسنة الخلق  
رقيفة العوظف واستخدمت ذكاءها وفطنتها في سبيل الخير لأنت باعمال  
يعجز عنها اعظم الرجال ولكنها خلقت شريرة شديدة الانتقام فاستخدمت  
تلك الجوهرة الثمينة في سبيل الاذى . وذلك كثيراً ما يحدث بين الناس  
اليوم وغداً . فترى أناساً خصتهم العناية بذكاء ومهارة وصفاء ذهن فيصرفون  
تلك القوى في سبيل الشر ويوجهونها الى الاضرار بالناس طوعاً لمطامعهم  
أو رغبة منهم في انتقام أو نحو ذلك

فأعملت قطام فكرتها بعد ماتياً لها من ضروب الحيل فوجدت انه  
لا يزال ينقصها احتياط واحد لا بد من تداركه . وذلك ان سعيداً ربما لا  
يلتقي بربحان لاختلاف في الطريق او ربما التقى به ولم يصنع الى قوله والنمس  
الذهاب الى الامام علي فأطلعه على سر المؤامرة . فلما تصورت ذلك خفق  
قلبا واضطربت حواسها ونهضت للحال وجعلت تمشي في غرفتها ذهاباً  
واياباً وتخرج منها الى الغرفة الاخرى وهي تود ان تعود لبابة لتتداول  
واياها في هذا الامر وندمت على ارسالها في تلك المهمة قبل الافتكار  
في ذلك

ولما تعاطم بلبالها خرجت الى حديقة النخيل وكانت الشمس قد تكبدت  
الساء وانحسرت الظلال واتفق وقوع شهر رمضان في تلك السنة ( ٤٠ هـ )  
في ابان الشتاء لانه يبدأ في العاشر من يناير ( ك ٢ ) <sup>(١)</sup> وكان يوم خروج  
قطام الى الحديقة يوماً صحا جوه فحسن الخروج به الى الحلاء في ساعة  
الظهر للاستدقاء بأشعة الشمس . فمشت بين النخيل مبتعدة عن السور

الذي يلي الطريق الى ما يلي البحيرة وهي لا تقبّه لما حولها من صرير أو  
تفريد أو نقيق ولم يكن همها الا إتمام مراسمها

## الفصل الثالث والخمسون

### لقاء ابن ملجم

قضت في الحديقة ساعة وهي وحدها في كل تلك الدار فملت الشمس  
وحرارتها فعادت نحو البيت وفيها هي عائدة سمعت أناساً يتكلمون عن بعد  
فوقفت على أرومة نخلة كانوا قد قطعوها للوقود منذ عامين والتفت نحو  
الطريق فرأت شبحين ولم تلبث ان عرفت انهما لبابة ومعها رجل غريب  
الذي علمت انه عبد الرحمن بن ملجم . فحوت انتباهها الى انمام هذه الحيلة  
فدخلت البيت على عجل وكانت قد رأت لبابة تكلم عبد الرحمن وتشير اليها  
بأصبعها . ولما دخلت الغرفة عمدت الى النقاب فأرسلته على رأسها وجلست  
على وسادة تعودت الجلوس عليها اذا استقبلت الزائرين من الغرباء . ولبثت  
صامتة تنتظر دخول لبابة وما علم ان سمعت صوت ضحكها قبل سماع خفق  
نعالها . وبعد قليل دخلت لبابة وحدها فاستقبلتها قطام استقبال المشتاق  
ودعتها الى الجلوس

فقال « لا أجلس قبل ان أدعو رفيقاً لي صحبته لزيارتك »

فقال « أهلا بك وبرفاقك أجمعين . فليدخل »

فصاحت لبابة للحال « ادخل يا عبد الرحمن »

وما أتمت كلامها حتى وقف في الباب رجل طويل القامة نحيف البدن  
خفيف اللحية أشمطها براق العينين بحيث يكاد الشرر يتطاير منها وعليه  
العباءة والقفطان والعمامة وآثار السفر لا تزال بادية على نوائء وجهه  
وخصوصاً الاق فقد كان شديد الاحمرار . فخلع عبد الرحمن نعاله خارج  
الباب وحيا ودخل . فردت قطام التحية وهي بهم بالوقوف وأشارت اليه  
ان يجلس فجلس الاربعاء وسيفه مستعرض على حضنه وظهر من كيفية

جلوسه انه شديد الحرص على ذلك السيف كأنه يخاف عليه الضياع

فتفتحت قطام الكلام قائلة « الى من ينتسب ضيفنا »

قال « الى بني مراد »

قالت « والنعم والبركة »

فقالت لبابة « وهو عبد الرحمن بن ملجم من القراء المشهورين قرأ

على معاذ بن جبل <sup>(١)</sup> . أظنك سمعت به »

قالت « أنت تعلمين حالي ياخاله بل أنت أدري مني بما هو شاغل بالي

من الاحزان والمصائب فلم يبق لي عقل أذكر به شيئاً غير مقتل أخي

وأبي .. آه من الظلام أهل العدوان » . قالت ذلك وأجهشت بالبكاء وما

أسهل ما تستنزل به الدموع

## الفصل الرابع والخمسون

### خطبة جديدة

وكان عبد الرحمن ينظر إليها من طرف خفي ويلاحظ ملاحظها فافتتن

بها ايما افتنان وكان قد سمع بجمالها وود لو انها تكون له . ولما لقيته لبابة لم

تذكر له شيئاً مما عرفوه عن عزمه ولكنها قالت له « علمت بمجيئك

الكوفة واعلم انك تحب الحسان وأعرف واحدة منهن ليس أجمل منها في

العراق فيجاء ولما رآها محقق ما سمعه فشغف بها . ومن عجيب امر هذا

الرجل انه مع عظم ما انتدب نفسه له من الامر الهائل بقتل امير المؤمنين

وقرب اليوم المعين لم يشغله عن مغازلة الحسان شاغل . فلما سمع كلام

قطام ورأى اجهاشها قال « وما الذي يحزن مولائي ؟ ألا أستطيع

تفريج كربتها »

فقالت لبابة « لا يخفي عليك ما أصابها على أثر واقعة النهروان فقد

قتل فيها والدها وأخوها رحمها الله وهي لا يمضي يوم لا تذكر تلك النصيبة

(١) ابن دقاق :

وتبكي ذينك الفقيدين ولكنني أريد ان أشغلها عن هذه الاحزان بمن يليق بها ... »

ففهم عبد الرحمن انها تلح الى خطبتها له فقال « أي والله اكون اسعد حظاً من الجميع اذا تم لي ذلك »

فتجاهلت قطام وقالت « وما الذي تتمناه ياسيدي »  
قال « لقد جئتك خاطباً وأنت في احزانك عساي استطيع تفريجها فاطلي مني ماتشائين مما تقر به عيناك »

فتنهدت قطام ثم قالت « أي لاعجب من تسرعك في الطالب ونحن لم نلتق قبل الآن »

فقطعت لبابة كلامها قائلة « نعم انكما لم تلتقيا قبل الآن ولكن لبابة تعرفكما جيداً واذا اذنت مولاتي بكلمة فأقول انكما انما خلقتما لتعيشا معاً »

فسكتت قطام فقال ابن ملجم « ومع ذلك فاطلي ماتشائين فيكون لك »  
فظلت قطام ساكنة برهة تتظاهر بالحياء والتردد أماماً للحيلة . ثم

التفتت الى لبابة كأنها تقول لها « أي استحيي أن أقول » فقالت لبابة « أنا أقول . اجعل مهرها ثلاثة آلاف ديناراً وعبداً وقينة »

ولم تم لبابة قولها حتى صاحت قطام « لا . لا يرضيني ذلك ولا مطمع لي في المال كما تعلمين »

فقال عبد الرحمن « اطلبي ما تريدن »

فتظاهرت بالتمتع وصبرت هنيئة كأنها تستحق بما اقترحه عليها من الطلب ثم قالت « ان مهرى انما هو قتل علي بن ابي طالب قاتل ابي وأخي »

فابتسم عبد الرحمن ونظر اليها ويده أعلى قبضة سيفه وقال « ان ذلك وما قالته هذه الحالة سيكونان لك . ثلاثة آلاف ديناراً وقتل ابن ابي طالب

وعبد وقينة . فان مثلك لا يعز في سبيل نيلها مهر . واعلمي اني إنما جئت الكوفة لهذه الغاية . انظري الى هذا السيف ( وجرده فلمع نصاله لمعاناً

شديداً ) اني اشتريته بألف وسممته بألف لاقتل به علياً بن ابي طالب »

فابتسمت وقالت « والسكني ارجو ان يكون ذلك عاجلاً لكلا تفوت  
الفرصة »

فقال « ان موعدنا قريب لم يبق منه الا يوم وليلة سأقتله في صباح ١٧  
من هذا الشهر المبارك أي بعد غد فاطمئني »

قالت « وكيف عينت إليوم والساعة ألا يستحسن أن يكون ذلك غداً »  
قال « ان لذلك سبباً سأذكره لك بعدئذ ولكنني اقول الآن اني  
مقيد في انفاذ مهمتي في صباح ذلك اليوم »

فسكنت قطام وهي تتجاهل ما علمته من امر المؤامرة  
وكانت لبابة عالمة بغياب ربحان واب لابد من زاد يتناوله الضيف  
فاستدعت بعدها في اثناء قدومها فجاء وأعد لهم طعاماً تناولوه  
وما صدقت قطام أن خلت بلبابة لحظة فأنشأت اليها أنها تحب  
مخاطبتها في أمر ذي بال على انفراد فاحتالت هذه على عبد الرحمن حتى  
التمس الخروج الى السوق في شغل له وخت قطام بلبابة للبحث في  
اتمام الحديث

## الفصل الخامس والخمسون

### مهمة ربحان

أما ربحان فان لبابة ادركته في الطريق قبل عشوره على عبد الرحمن  
فأمرته أن يسرع في ملاقة سعيد خارج الكوفة وألقت اليه من أساليب  
المكر والدهاء ما يكفل نجاح مهمته . فسار اولاً الى ساحة كبيرة في وسط  
الكوفة تجتمع فيها الدواب من القوافل وغيرها . ولا بد للقادم الى تلك  
المدينة من المرور بها أو النزول فيها

وقبل وصوله اليها سمع جبير الجمال وصهيل الخيل ولما وصل رأى الساحة  
غاصة بالدواب وبينها الناس في هرج بين راكب ونازل ورأى الاحمال ملقاة  
هنا وهناك فجعل يتفرس بالوجوه لعله يرى سعيداً او احداً من خدامه فلم ير

أحداً . فجاء بيت سعيد فسأل عنه فعلم أنه لم يأت بعد فخرج يلتبس الطريق خارج الكوفة وهو ينظر الى الافق لعله يرى هجاناً أو فارساً . فشى ساعتين ولم يراً أحداً فوصل الى شجرة كبيرة يستظل بها المسافرون للراحة قبل دخولهم المدينة ولا بد لمن كان قادماً من الشام أو مصر من المرور بها . فجلس هناك وعيناه شائعتان الى عرض الافق يفكر في حيلة تنظلي على سعيد فيستبقه هناك أو يسير به الى بيت قطام . فغربت الشمس ولم يأت أحد وكان القمر بدرأ فلم تكد تغرب الشمس حتى طلع البدر وانعكست الظلال من الشرق نحو الغرب . فاتكأ على حجر وعيناه تنظران الى الافق

قضى ربحان هناك أوائل الليل وعيناه شاخصتان وقلبه يخفق وكلما رأى شبحاً ظنه سعيداً فاشتد به البرد وهو يكابر ويتجلد . وحدثته نفسه ان يرجع فيخاف أن يأتي سعيد في اثناء غيابه فيذهب سعيه هباءً متثوراً فالتف بثوبه وبعد نصف الليل غلبه النعاس وهو يتجلد ولكنه لم يقوَ على سلطان النوم فأغمضت عيناه على انه لم يم طويلاً فاستيقظ مبغوتاً فأسف لما تولاها من الرقاد فهض وهو يخاف ان يكون سعيد قد مر ولم يره . فوقف برهة يفكر في ماذا يعمل فصبر نفسه الى الصباح فلم يأت احد فخيّل اليه ان سعيداً مرّ في اثناء نومه فعاد الى الكوفة بأسرع من ملح البصر فبحث في ساحتها وسار الى بيت سعيد فتحقق انه لم يأت بعد فرجع الى الشجرة وقضى معظم النهار نحتها او حولها كأنه على حجر النضا . وهو مع ذلك صابر لا يتذمر ولا يتضجر حتى غابت الشمس وطلع القمر . فقال في نفسه : لم يبق الا هذه الليلة فاذا لم يصل الرجل لم يبق ثمة حاجة الى بقائي اذ يكون قد نفذ السهم وقتل علي . فازداد اضطرابه وتعنى أن لا يأتي سعيد فيتخلص هو من تدبير الحبل في اخذه الى قطام وهو مع ذلك لا يرجو ذهابه معه اقرب ميعاد القتل

ولم يدن العشاء حتى رأى جملين قادمين عن بعد وعليهما راكبان فاختلج قلبه واصطكت ركبتاه وزاده البرد ارتعاشاً . فلما اقتربا وقف وتقدم نحوهما

فاذا هما سعيد وبلال عبد خولة وكانا ملثمين فعرف سعيداً من قيافته وأما بلال فلم يعرفه

## الفصل السادس والخمسون

### ريحان وبلال

وكان سعيد قد قضى مسافة الطريق في قلق على الامام وما صدق انه اطل على الكوفة فانفرجت ازمته وعول أن يسير نواً الى منزل علي . فلما وصل الى تلك الشجرة ترجل وترجل عبده على نية الاستراحة هنيهة ثم المسير . فاستقبله ريحان وسلم عليه فلما رآه سعيد استأنس به ورد السلام ثم قال له « ما الذي جاء بك يا ريحان »

قال « ان سيدي منشغلة الخاطر لطول غيابك » وأشار اليه ان يدنو منه ليبت اليه ما أوّمن عليه من السر . فدنا منه على انفراد وشغل بلال بسياسة الجمالين

فقال ريحان « ان سيدي قطام تقريك السلام وتقول لك لقد اطلت الغيبة عليها انت وسيدي عبد الله »

فتهد سعيد وقال « لاتذكر عبد الله فقد تركناه في مصر » قال ذلك وهو لا يريد أن يطرح العبد في مثل هذه الشؤون انفة وترفعاً فاكتفى بالسكوت فسكت ريحان عن سؤاله وهو يعلم ان عبد الله اغرق في جملة من اغرقهم عمرو بن العاص في النيل ولكنه قال « وماذا أقول الآن لسيدي هل أنت قادم للمبيت عندنا الليلة فانها قد أعدت لك كل وسائل الراحة » فلبث سعيد برهة تتنازعه عوامل الشوق الى قطام وبواعث العجلة الى علي فرأى ان ميعاد القتل قد آن فاذا بات تلك الليلة في منزل قطام يتمتع برؤيتها ويشنف سماعه بجلو حديثها اصبح في الغد وقد قتل علي لان المؤامر لا يتأخر عن فعلته الى ما بعد صباح السابع عشر فقال اذا ذهبت اليها الليلة أراها برهة ثم أسير الى علي قال ذلك والتفت الى بلال فرآه مهتماً

في اعداد العشاء فناداه باسمه فجاء . فلما سمع ربحان اسم بلال اختلج قلبه في صدره ولما دنا منه وتفرد فيه عرف انه عبد خولة وكان قد لقيه في الفسطاط وباح له بمهمته ولم يكن يخطر بباله يومئذ انه سيأتي مع سعيد . فارتبك في أمره وحاول اخفاء حاله لئلا يراه بلال فيعرفه . أما بلال فلما دعاه سعيد أسرع الى ما بين يديه فقال سعيد « ألا ترى ان نسير توءاً الى الكوفة » قال بلال « الامر لمولاي ولكنني أعددت لك طعاماً ألا تتناوله ونستريح هنيهة ثم نسير الى حيث تشاء »

قال « ولكن بعض اهلي بعثوا في استقدامي للعشاء »

والنفت بلال الى ربحان فرآه قد تقهقر الى جذع الشجرة يتستر بظلها فلم ينتبه له وكان سعيد قد أنس ببلال في اثناء الطريق واطلعه على حديث المؤامرة . فاعتنم بلال تلك الخلوة فقال لسعيد « ألا ترى يا مولاي ان تم مهمتنا التي جئنا بها من الفسطاط قبل كل شيء اني أخاف ان يكون ذهابنا الى اهلك سبباً في التأخير وهم ربما لا يعلمون الغرض الذي يدعوننا الى الاسراع وربما حدث لك بعد العشاء ما يؤخرك عن تلك المهمة اما اذا انفذنا مهمتنا وأطلعنا الامام على ما خبأه له اهل البغي نمضي الى حيث تشاء هذا ما أراه والامر لك . على اني قد أعددت لك الطعام الآن فاذا شئت اكلت ثم فعلت ما يترأى لك »

فارتاح سعيد لهذا الرأي ولكنه أراد ان يخبر بلال باطلاع ربحان على سر الامر فقال له « ولا أخفي عليك ان هذا الهام ( و اشار الى ربحان ) من جملة الساعين في ما نحن فيه »

فقال بلال « فهو يعذرنا اذاً اذا رأى اننا نفضل المسير الى منزل الامام . تفضل الآن الى المائدة وأنا اشتغل معه في هبة الجملين فاذا فرغت من الطعام سرنا جميعاً »

## الفصل السابع والخمسون

### انكشاف الخديعة

قال ذلك وتحول نحو ريحان وكان ريحان واقفاً بجانب الشجرة وهو يود أن لا يخاطبه أحد . وحدثته نفسه أن يرجع الى الكوفة لثلاث ابراه بلال فينكشف أمره . ولكنه ما لبث أن رأى بلالا يدنو منه ويكلمه فردّ عليه بصوت منخفض وهو يتشاغل باصلاح نعليه وشملته لا يرفع نظره اليه . فاستغرب بلال ذلك فتقدم اليه وناداه وقال « تعال يا أخي نمكث هنيهة ريثما يتناول مولاي طعامه ثم نسير معاً »

فسكت ريحان ولم يجيب ولكنه تظاهر بأنه أضع عصاه وتحول للبحث عنها وبلال يتبعه ويعجب لما يبدو منه . فلما بعد ريحان عن ظل الشجرة بانت سحنته فتذكر بلال انه يعرفه وفطن للحال انه هو الذي أسرّ اليه خبر مهمته الى الفسطاط . فانتبه ان في الامر خديعة وخصوصاً لما رآه يحاول اخفاء وجهه . فتقدم اليه وأمسكه بيده وقال « تعال يا صاحبي نمكث هنا ريثما ينهض مولانا فنسير معاً » فلم ير ريحان خيراً من أن يجتذب يده ويتظاهر بالغضب فتبعه بلال وهو يقول « يظهر انك لم تعرفني يا صاح ألا تذكر انا التقينا في الفسطاط »

فصاح به ريحان « وأي فسطاط . . اني لا أعرف الفسطاط ولا أعرفك قبل الآن وليني لم أعرفك فقد أضعت عصاي بسبك »  
فسمع سعيد صياحه وكان قد جلس الى الطعام فنظر اليهما عن بعد فرآهما يتحاوران فوقف ونادى عبد قظام قائلاً « لا تغضب يا ريحان ان بلالاً على دعوتنا »

فلم ينهياً لريحان غير السكوت والمجيء اليه لثلاثاً تتأكد الشبهة عليه ولكنه أصر على نكران ذهابه الى مصر فلما دنا من سعيد قال له « ما بالك تخاصم بلالاً »

قال « اني لا أخاصمه ولكنني أضعت عصاي وفيما أنا أبحث عنها جاءني  
بمحدث لا أعرف له أصلاً »

قال سعيد « وما ذلك يا بلال وما الذي قلته له »

قال « لم أقل له شيئاً ولكنني تذكرت اني رأيته في الفسطاط منذ  
بضعة عشر يوماً وهو ينكر ذلك كل الانكار »

فلما سمع سعيد ذلك استعربه وقال « يحق له أن ينكر عليك ذلك لانه  
لم يبرح الكوفة منذ أشهر »

فأعاد بلال النظر الى ربحان وتفرس في وجهه وقال « بل أنا على يقين  
بما أقول وقد لقيته هناك غير مرة ولكنه معذور في انكاره لان وجوده  
هناك عاد بأشر العواقب على سيدي ورفيقه »

فبغت سعيد وكانت اللقمة في فمه فلم يعد يستطيع ازدرادها وكاد ينص  
بريقه ووقف للحال وقال « ما تقول يا بلال أظنك تخلط في القول ان  
ربحان عبد قطام بنت شحنة وقد تركته هنا يوم سفري وأنا واثق بانه لم  
يربح الكوفة ولعل الذي رأيته في الفسطاط عبد آخر يشبهه »

## الفصل الثامن والخمسون

### يحاول عبثاً

فلما سمع ربحان ما التمهه سعيد من العذر عنه اطمان باله وقال بصوت  
هاديء « يظهر انه غلطان كما قلت لان البشر يتشابهون ولكنه سألني الله  
جاءني منضبطاً وأنا أفتش عن عصاي فاغاطني حتى سمع مني كلاماً مؤلماً فانا  
أطلب اليه أن يعذرنى على ما فرط مني » والنفت الى بلال وهو يبتسم ايهاً  
بسلامة نينه

أما بلال فكان في أثناء ذلك ينظر الى ربحان ولا يزداد الا اعتقاداً  
بانه هو الرجل الذي خاطبه في الفسطاط ونادته سيدته خولة في أثناء خطابه  
وقص عاينها خبره كما مر . فلما آانس منه ذلك اللين ظل يتفرس فيه وهو

صامت . فلما أتم ربحان كلامه قال له بلال « ربما كنت مخطئاً في ظني ولكنني أسألك سؤالاً أرجو أن تحييني عليه »

قال « قل ما بدا لك »

قال « ألا تذكر أنك رأيت هذا الوجه » ( وأشار الى وجهه هو فنفرس فيه ربحان وهو يظنه يقول ذلك بسذاجة ثم قال « لا يا أخي لا اذكر اني رأيتك قبل الآن »

فقال « يا للعجب ولكنني اثق بأنى لعينك وخاطبتك فرأيت هذا الوجه وسمعت هذا الصوت . فالظاهر انك سرت الى الفسطاط قبل هذا العام »

قال « نعم انى سرت اليها منذ بضعة أعوام »

فضحك بلال وقال « ولكنك قلت الآن انك لا تعرفها »

فارتبك ربحان في نفسه وعمد الى المغالطة فقال « دعنا من هذه الاوهام ولا تشغل بالنا بما لا طائل تحته »

وكان سعيد في أثناء ذلك يسمع كلامهما والاحلاص لا يزال غالباً عليه أما بلال فخاف أن يترتب على سكوته ذهاب سعيد مع ربحان . فقال لربحان « اذا كان الحال على ما تقول فعليك ان تساعدنا في انقاذ المهمة التي نحن قادمون بها . دعنا نذهب الى منزل الامام الآن »

قال « اننا أكره رغبة منك في هذا السبيل ولكن الليل طويل فاذا ذهب معي مولاي الى سيدتي قطام فتراه ثم يذهب حيث شاء كان ذلك أوفق »

قال « فليذهب هو معك وأنا أمضي الى منزل الامام بالنيابة عنه »

فضاق ربحان ذرعاً وظهرت البغته على وجهه ولم ير له مخرجاً من ذلك غير التظاهر بالغضب فقال « وماذا هذه الظنون ألعلك تسيء الظن بنا ونحن أولى منك بهذا الامر »

فتحقق بلال حينئذ ان ظنه في محله فقال « نعم انى أظن السوء بك

وبسيدتك بعد هذا »

تخاف ريحان أن يفضي الأمر الى انكشاف أمره فتظاهر بالنصب وقال  
 « اني لا عجب من هذا الاحق ويظهر ان مولاي صابر على وقاحته فانا ذاهب  
 منذ الآن وافعل ما تشاءن »  
 قال ذلك وتحول يعدو نحو الكوفة وظل سعيد وبلال صامتين كأن على  
 رأسيهما الطير

## الفصل التاسع والخمسون

### انتشاع العشاوة

مضى ريحان وها ينظران اليه لا يفوه أحدهما بكلمة . فلما تواري قال  
 سعيد « ما الذي اراه يا بلال اني احسب نفسي في حلم ؟ ما الذي تقوله عن  
 هذا العبد هل أنت متحقق انك رأيت في الفسطاط ؟ »  
 قال « نعم يا مولاي اني شديد الوثوق بذلك وقد زادني وثوقاً تناقض  
 أقواله وتستره بهد ما اقترحته عليك »  
 قال « فلو كان قدم الفسطاط ما الذي يدعوه الى التستر »  
 قال « يدعوه الى التستر ما ارتكبه من الخيانة هناك . آه من هذا  
 النذل ياليتني قبضت عليه وأهرقت دمه قبل فراره من بين يدي . انه وشى  
 بكما لعمر بن العاص »

فبغت سعيد وبدأت العشاوة تنحسر عن بصيرته وتذكر ما قصته خولة  
 عليه من حديث عبدها مع عبد آخر وشى بهما الى ابن العاص . وانه  
 استغرب يومئذ أن يتصل خبرها الى الفسطاط وها انما قدما اليها سرّاً لا يعلم  
 بهما احد غير قطام وليابة وهذا العبد . فاتجلت لديه الواقعة وخطر له ان  
 ريحان لا يسير الى الفسطاط الا بايعاز سيدته وتذكر ما كان يؤانس في ابن  
 عمه عبد الله من الشك في قول قطام فقدم على استسلامه لها وعض على  
 سبابه وظل واقفاً لا يبدى حراكا وبلال واقف بين يديه صامتاً . ثم قال  
 سعيد « آه يا بلال بورك بخولة وبورك بابن رضعته انها والله كانت ملاكا

سهاوياً بعنه الله لكشف تلك الحديعة . ولكن ياويلاه قد نفذت حيلة  
قطام على عبد الله فمات غريباً . . . . . ولكنها لن تنفذ على الامام علي  
فاحمد الله على انكشاف امرها قبل انقضاء اجل المؤامرة»

ثم صمت وتذكر حبه قطام وما بذله لها من الاخلاص وما أجرته  
عليه من الحيل فعظم الامر لديه وأمست عواطفه تتراوح بين ما انفرس  
في قلبه من الحب وما انكشف له من الحديعة فلم يتالك عن البكاء .  
ولكنه خجل ان يذرف الدمع بين يدي بلال فأشار اليه أن يسيء الجمال  
وحول وجهه الى الخلاء ومشى وقد اطلق لنفسه عنان البكاء وهاج به  
الاسف لما أصاب ابن عمه عبد الله من البلاء بسببه فجعل يندبه ويندب سوء  
حظه ويقول

« تبا لك يا قطام . أحسب انك انفذت عبدك للوشاية بنا الى ابن العاص  
ليقتلنا . . . . . أين عهودك وأين وعودك . أين ما سمعته منك من الرجوع  
عن قتل الامام علي . . . . . واأسفاه عليك يا أخي وحببي عبد الله انك  
ذهبت ضحية جهالتي ودهاء هذه المرأة . . . . . آه يا قطام . . . . . هل  
يوجد في الدنيا اناس قساة القلوب الى هذا الحد ( قتل الانسان ما اكفره )  
أسمحين بقتل محب استهلك في سبيل هواك وتقتلين بريئاً حملته غيرته على  
السعي في انقاذ أمير المؤمنين . . . . . وتسمحين مع ذلك بقتل أمير المؤمنين  
وأنت تنظرين . . . . .

« آه لايسمح لي الوقت ان اسير اليك فاتتقم منك قبل الذهاب الى  
الامام . . . . . »

ثم وقف بغتة وانته نفسه كأنه أفاق من رقاد ونظر الى ماحوله فاذا  
هو في ليلة مقمرة صفا هواؤها ورق نسيمها فجعل يراجع ما مر به من  
الاحوال والاهوال وتذكر حبه قطام فغلب عليه حسن الظن بها فقال  
في نفسه « ولعل قطام بريئة وربما كان ربحان صادقاً وبلال مخطئاً »  
فلما تصور ذلك انبسطت نفسه . والحب النيور كثير الظنون الا في ما يؤول

الى الاضرار في حبيبه . على انه ما لبث ان تدبر القرائن والحوادث حتى  
رجح التهمة

وفيا هو يناجي نفسه التفت فرأى بلالا قد اعد الجملين وهم بالقدوم  
اليه فمسح دموعه وبحول نحوه وهو يقول في نفسه « لقد نفذت حيلتك في  
اخي عبدالله ولكنها لن تنفذ في الامام علي . ها اني سائر الساعة الى  
بيته وسأستعين به على قتلك وقتل تلك العجوز المحتملة وذلك العبد  
الشرير . . »

قال ذلك وركب جملة وركب بلال اثره وسارا يلتصقان منزل  
الامام علي

## الفصل الستون

### منزل الامام علي

وكان منزل الامام علي بجانب المسجد ينهما باب السدة يدخل منه  
الامام للصلاة . وكان للمنزل دار واسعة فيها المقاعد والمجالس لمن يفد عليه  
من العمال واهل الامصار . ويجوار المنزل ساحة واسعة فيها مرابط للخيل  
ومواقف للجماعات لا تبرح غاصة بجباهير الناس من دعاة الامام وكلهم  
مستهلكون في نصرته معترفون بامامته لا يرون احداً أولى بها منه . وكان  
اهل العراق وغيرهم قد اجتمعوا في تلك السنة على نصرته فبايعه منهم اربعون  
ألفاً على الموت <sup>(١)</sup> . وامله كان ينتظر الفراغ من صيام رمضان ليحمل على  
معاوية بذلك الجند العظيم لا يفتربمثل ما مر به من الخيل في صفين وغيرها  
بعد ان رأى ما آل اليه ذلك من تأييد سلطان معاوية

وكنتم اذا دخلت مجلس الامام في تلك الاثناء رأيت رؤساء القبائل  
يترددون عليه ولا حديث لهم الا ما كان من اجتماع كلمتهم وما يتوقعونه

من النصر وما يرجونه من احقاق الحق وكبح جماح الطامحين للخلافة من غير اهل البيت

ذلك كان شأن الكوفة في ذلك الشهر المبارك . أما علي فلم يكن يشغله عن فروض الصوم والصلاة شاغل فاذا دنت الساعة وأذن المؤذنون تكاتف الناس في صحن المسجد لسماح كلامه بما فطر عليه من البلاغة وشدة الفيرة على الاسلام والمسلمين . فاذا وقف على المنبر رأيت الناس سكوتاً كأن علي رءوسهم الطير اعجاباً بما يسمعون من درر الفاظه وبديع حكمه وبلغ آياته وهم يعجبون لما قام في أنفس المعارضين ممن تخلفوا عن بيعته وخصوصاً الحوارج الذين اختلفوا لمعاداته اسباباً ما انزل الله بها من سلطان

فاذا فرغ من صلاة الغروب تحول الى داره ومعه جماعة من الامراء يتقدمهم اولاده وسائر أهله فيجلسون الى الاسمطة للافطار والقراء يتلون القرآن في جوانب الدار والكل يسبحون ويهللون حتى يخيل لك انهم في موقف يتوقعون فيه الحساب وما فيهم من يخاف عقاباً لما يعتقدونه من صدق دعوتهم وقيامهم بالحق المبين

وكان الامام اذا فرغ الناس من الافطار وجلسوا للاحاديث رأيتهم اقلهم كلاماً واقصرهم عن التهديد . وربما مكث ساعة او بضع ساعات لا ينسب بئس شفة كأنه يفكر في امر ذي بال وربما كان تفكيره في ما يخشاه من سفك الدماء اذا حمل برجاله على الشام ونفوس الناس وديعة عنده يرضن بها أن تذهب ضياعاً ولا يرضن بها اصحابها في سبيل نصرته

## الفصل الحادي والستون

ضمير ابن ملجم

كان ذلك شأنه خصوصاً في اواسط رمضان وعلى الاخص في ليلة السابع عشر منه وهي الليلة التي بات فيها ابن ملجم يترقب انبلاج الصبح

ليفتك بابن أبي طالب . وفي تلك الليلة فاسرع سعيد وعبداه الى منزل الامام لينبثاه بعزم ذلك الرجل

وما ظنك بابن ملجم في تلك الليلة . . هل تظنه باتساكن الجأش مطمئن الخاطر . . . هل عرف الكرى جفناه . . . كلا . لأنخاله قضى ليلته الا قلقاً مضطرباً لهول ما عول عليه من الامر العظيم . وما اعظم من ان يسفك دماً بريئاً دم رجل جمع الى كرامة الخلافة شرف النسب واحرز من العلم ما لم يحرزاه احد من المسلمين في ذلك العهد ؟ أليس هو ابن عم الرسول وخليفته وصهره ؟ أليس هو ذلك العالم التي العادل المخلص الغيور على الاسلام والمسلمين ؟ لانظن ابن ملجم والحالة هذه قضى ليلته الا على شوك القتاد لم يغمض له جفن وقد طال ليله . وربما حدثته نفسه بالرجوع عن عزمه فقلب عليه عهده لرفقائه وتمهده لخطيبته قطام بنت شحنة وخصوصاً بعد ان أشركت معه في ذلك الفعل ابن عم لها يقال له وردان حرضته على الاخذ بناصره . ولقي هو رجلاً من أشجع يقال له شبيب استعجنه على ركوب ذلك المركب الحشن معه . فتواعد الثلاثة على العمل معاً في فجر الغد . فهل تظنه بعد تلك العهود والمواثيق يصغى لنداء ضميره اذا كان له ضمير . ولو أصغى لما ارتكب ذلك المنكر

على انك لو سبرت غور قلبه في تلك الليلة وهو يتقلب على فراشه وسيقه المسموم الى جنبه لرأيتَه يناجي نفسه ويدفع تبيكيت ضميره بحجة انه عمد الى ذلك دفعاً لفتنة كان سببها تنازع علي ومعاوية وعمر على الساطة والفتنة شمر من القتل

وكان نفس الامام علي حدثته نحو ذلك الزمن بخطر يتوقعه علي حياته . فكان مذ دخل رمضان يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند جعفر لا يزيد على ثلاث لقم ثم يقول « أحب ان يأتيني أمر الله وأنا خيص » <sup>(١)</sup> وأما في تلك الليلة فانهم تعشوا جميعاً في منزل الامام

وهو جالس على المائدة لا يأكل الا قليلا وأولاده بين يديه ينظرون اليه ويمجبون لحاله

وكان حاجبه قنبر رجلا كهلا من أهل الحبشة اذا نام علي بات عند بابيه وكان في تلك الليلة أشد الجميع قلقاً لم يتناول الا فطار ولا هدأ له بال .  
أكل الناس وهو جالس القرفصاء عند الباب وعيناه شاخصتان الى الفضاء يتوقع قدوم قادم وهو لا يكلم احداً ولا انتبه احد لحاله ولو سأله بعضهم عن سبب قلقه لباح له بما اطلع عليه من الاسرار التي ظن نفسه اكتشفها وهم يبحثون عنها عبثاً

وبعد صلاة العشاء ارفض المجلس فذهب كل الى منزله وناموا جميعاً الا قنبر فانه لبث ساهراً وقد أخذ الاضطراب والقلق منه مأخذاً عظيماً .  
وما جلس للحراسة وهو يعلم ان الامام لا يلتمس حرساً يحرسه<sup>(١)</sup> ولكنه جلس يفكر في امر اذهب رقاده وألقاه في حيرة

## الفصل الثاني والستون

### فخ جديد

أما سعيد وبلال فانهما دخلا الكوفة وأسرعاً يلتمسان دار الامام علي وكان القمر بدرأ ( أو حوالي البدر ) وقد تكبد السماء فأرسل أشعته على أبنية الكوفة وقد انقشعت الغيوم عن السماء على غير المعتاد في ذلك الفصل . فلما دخلا الكوفة رأياها سا كنة هادئة لا نقضاء ميقات السهر .

وقد نام الناس وهم يتوقعون اذان السحر لينهضوا للسحور سار سعيد وهو يستحث جملة وقلبه يرقص طرباً لما يتوقعه من نجاح مهمته وقد شكر الله لاطلاعه على حيلة قطام قبل فوات الوقت . فلما دنا من المسجد ترجل وقال لبلال خذ الجمل وسر به الى ساحة الكوفة وامكث حتى آتيتك

فلم يسع بلال غير الطاعة فتحول نحو الساحة . ومشي سعيد على قدميه وركبناه تصطكان من شدة الاضطراب . وما صدق انه أقبل على دار الامام ولكنه رأى السكون سائداً عليها . فوقف هنيئة يفكر في السبيل الذي يدخل به الدار وأهلها نيام قلبت برهة يتردد وهو يخاف ان يستنشه أحد لقدمه في ذلك الوقت وهو لم يدخل تلك الدار من قبل ولا اتى الامام علياً لقاء أهل الولاء . ولكنه لم يرَ بدأ من الاقدام فشئ بخطوات المتردد حتى دنا من باب الدار فرأى شبحاً جالساً لم يعرفه ولكنه سر به لعله انه لا يخلو ان يكون من بعض رجال علي فيساعده في مهمته . على انه لم يكذب يقبل عليه حتى وقف ذلك الشبح بغتة وتقدم نحوه وهو يقول « من القادم »

فقال سعيد وهو يتلجلج بكلامه « اني رسول الى الامام علي . ومن أنت ؟ »

قال « اني قنبر حاجب الامام . ومن أنت ؟ »

قال « اني سعيد الاموي أريد مقابلة الامام علي »

فصاح قنبر قائلاً « أ أنت سعيد تعال معي . . »

فسرَّ سعيد لسرعة الأجابة ومشي في اثر قنبر حتى دخلا باب الدار وتحولا الى حجرة فيها مصباح فدخل قنبر اولاً وايقظ اثنين كانا نائمين هناك وسعيد يتبعه بسداجة ولم يكذب يدخل الحجرة حتى رأى الرجلين قد أطبقا عليه وقيدا يديه ورجليه وهو واقف لا يبدي حراكاً من شدة البغته فلما رآها يغلانه وقنبر واقف وقد تغيرت سخته قال له « ما الذي تفعله ما هذه الوقاحة ابن الامام علي »

قال « لقد كذب فألك ايها الوغد اللئيم انك لن ترى علياً حتى ترى

الموت قبله »

فبغت سعيد وهو لا يعلم سبباً لذلك العمل فقال « ما بالكم تستفشونني

وقد جئتمكم في مهمة أنقذ بها الامام علي من القتل »

قال « احسأ ولا تطل الكلام انك أموي وتطلب ان ترى الامام  
انتقله . اتظن قتله أمراً هنيئاً »

فقال « وكيف اريد قتله وأنا انما جئت لانقاذه من القتل »  
فأمسكه قبر بيده وبداه ترتعدان من شدة التأثر وقال له « أتظن  
حياتك تتطلى علينا ؟ أما كفى بني أمية ما فعلوه حتى جثم تقتلون الامام في  
منزله »

فبهت سعيد وقد جمد الدم في عروقه وقال « ما بالسكم تسيئون بي الظن  
وأتم لم تروا مني خيراً ولا شراً ألا تسمعون قولي ثم ترون رأيكم »  
فقال قبر « وما الذي نسمعه من قولك وأنت أموي وقد تمهدت بقتل  
الامام على مهراً لفتاة خطبتها من اهلها على هذا الشرط »

فذهل سعيد وأراد ان يدافع عن نفسه فرأى قبر يستخرج من  
جيبه رقاً فلما استخرجه دفعه الى سعيد وجذبه بيده الى المصباح وهو يقول  
له اقرأ أليس هذا خطك ؟ »

فلما وقع نظر سعيد على الرق علم انه الصك الذي كتبه لقطاع يوم  
خطبها فأيقن ان قطاع هي التي ارسلت هذا الرق الى دار الامام لتوقع  
به . وراها لفرط حياتها وقد محت اسمها عنه ووضعت اسم فتاة اخرى  
فصمت ولم يجب . فأنخذ قبر سكوته حجة عليه فصاح فيه « أجب قل . . .  
أليس هذا خطك ؟ »

فارتبك سعيد في امره ولكنه ما زال يرجو التخلص بما يحمله من  
النبا الا كيد عن مكيدة ابن ملجم فقال له « هب انه خطبي ولكنني جثمتكم  
بخبير المكيدة التي كادها بعض الناس على الامام ألا تمهلوني ربنا أخبركم »  
فلم يصبر قبر على سماع كلامه وصاح فيه قائلاً « وأي مكيدة أعظم من

ان تمهد بقتل الامام . . . امك هنا الليلة وغداً لناظره قريب »

قال ذلك وخرج وأغلق الباب عليه

## الفصل الثالث والستون

### بلال

فلما خلا سعيد في تلك الحجرة ظن نفسه في منام وجعل يفكر في أمره وفي دهاء قظام وكيف اوصت هذه الورقة الى هذا الرجل لآمام حينها ولكنه لم يكثرث لما عامه به قبر وعول على مقابلة الامام في الصباح باكراً واطلاعه على سر الامر

وأما ايصال ذلك الصك الى قبر فاما سمعت فيه لبابة المحتاله بإشارة قظام بعد ان تداوتنا في آمام الحيلة مخافة أن يطلع سعيد على مكيدتها قبل وصوله اليها أو أن يذهب الى منزل الامام قبل المرور بها . فاستخرجت ذلك الصك وغيرت فيه الفاظاً رفعت بها الشبهة عنها وكلفت لبابة قانت منزل قبر في صباح ذلك اليوم بدعوى أنها دلالة تبيح الاقشة والقت الى قبر حديثاً لفتهه بحيث تثبت الشبهة على سعيد فلا يصغي أحد الى كلامه . وكان انصار علي قد سمعوا طينياً عن عزم بعض الناس على قتل الامام . فلما رأى قبر الصك وعلم ان صاحبه أموي ربي في بيت عثمان وقام بنصرته لم يبق عنده شك بتهمة وخصوصاً بعد أن رآه قادماً قدوم اللص بعد منتصف الليل . فلما قبض عليه حبسه في تلك الحجرة الى صباح الغد ليرى رأى الامام به بعد ان يعود من صلاة السحر . وما علم ما خبأته الاقدار للامام قبل آمام تلك الصلاة

أما بلال فانه مكث بالجمين في ساحة الكوفة ينتظر قدوم سعيد . فلما ابطأ عليه شغل إله ولكنه لم يظن سوءاً لما يعلمه من سلامة نية سعيد . وفيها هو جالس يفكر في ذلك سمع آذان السحر فعلم ان علياً يخرج تلك الساعة للصلاة فهرول نحو المسجد وهو على مقربة منه فدخله فرأى فيه قبة مضروبة علم أنها قبة بعض النساء ممن يجلسن اسماع الصلاة . فوقف وعيناه شائعتان لهه يري سعيداً . فاذا برجال دخلوا وفيهم رجل ملثم وقد

التف بعباءة يخفي تحتها سيفاً فتفرس فيه عن بعد فرأى على جبهته أثر السجود فعلم انه ابن ملجم <sup>(١)</sup> فارتعدت فرائصه وحدثته نفسه أن يصبح به ولكنه خاف على نفسه وهو لا يشك مع ذلك ان علياً اطلع على مكيدته ولا يلبث أن يدخل المسجد حتى يأمر بالقبض عليه ثم رأى ابن ملجم مشى ومعه رجل آخر هو شبيب نحو تلك القبة فكلما من فيها وكان فيها قطام بنت شحنة <sup>(٢)</sup> ثم مشى ابن ملجم حتى اقترب من السدة وبلال براعيه بنظره ويتوقع سماع الامر بالقبض عليه حالما يدخل علي وبعد هنيهة فتح باب السدة ودخل منها علي بمشي الهويناء وعمامته على رأسه تغطي صلته وكان ذا بطن ولحية كثيرة الشعر ضخمة العضل <sup>(٣)</sup> وفي يده درة (سوط) كان يوقظ بها الناس للصلاة كل صباح فمشى الامام وابن النباح المؤذن بين يديه والحسن بن علي خلفه . فلما دخل انصت الناس وبلال ينظر اليه ولا يشك في انه سينادي من يقبض على ابن ملجم . فاذا به قد وقف ونادى « أيها الناس الصلاة الصلاة »

## الفصل الرابع والستون

### مقتل الامام

والتفت بلال الى ابن ملجم فاذا هو لايزال واقفاً لكن رفيقه (شبيب) تقدم مسرعاً وسيفه بيده ضرب به الامام علياً فأصاب عضادة الباب وسفط السيف من يده فاجفل بلال وهم أن يسرع الى علي يخبره بأمر ابن ملجم فاذا بابن ملجم قد أقبل على علي بأسرع من لمح البصر والسيف يبرق في يده وضربه على جبهته وهو يقول « الحكم لله يا علي وليس لك ولاصحابك » فصاح علي « فزت ورب الكعبة » ثم قال « لا يفوتكم الرجل » فتكاتف الناس على ابن ملجم فدفعهم بسيفه ففر جواعنه فهجم عليه المغيرة ابن شعبة وتلقاه بقطيفة فرماها عليه واحتمله وضرب به الأرض وقعد على

(١) الخميس ج ٢ (٢) تاريخ الخميس ج ٢ (٣) ابن الاثير ج ٣

صدره وانتزع السيف منه . وأما شبيب فافلت في الغلس وخرج من كندة وانفرط عقد الناس ونظر بلال الى القبة المضروبة فرأى امرأة خرجت من تحتها واذا هي قطام اسرعت وفرت في غمار الناس . فذهل لما رآه ولكنه رجا أن لا تكون الضربة قاضية ثم تذكر ان سيف بن ملجم مسموم فيئس من حياة الامام . وجعل يتفرس في الناس لعله يرى سعيداً فلم يقف له على أثر فتقدم في جملة من تقدم الى السدة حيث كان علي مطروحاً فاذا هو يقول « احضروا الرجل عندي » فأحضروه

فقال له علي « أي عدو الله ألم أحسن اليك »

قال « بلى »

فقال « فما حملك على هذا »

قال « شحذت سيني هذا أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به

شر خلفه »

فقال علي « لا أراك الا مقتولاً به ولا أراك الا شر خلق الله » ثم

التفت الى من حوله وقال « النفس بالنفس ان هلكت فاقتلوه كما قتلتني وان

بقيت رأيت فيه رأي . يا بني عبد المطالب لا ألفتكم نخوضون دماء المسلمين

تقولون قد قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتل الا قاتلي . انظر يا حسن ان أنا

مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثلن بالرجل فاني سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور »

قال ذلك وابن ملجم مكتوف وكانت أم كلثوم ابنة علي واقفة بجانب

أبيها فقالت لابن ملجم « أي عدو الله لا بأس على أبي والله مخزيك »

قال « على من تبكين والله ان سيني اشتريته بألف وسممته بألف

ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقي منهم أحد »

ثم تقدم جندب بن عبد الله الى علي وقال « ان فقدناك ولا نفقدك

فنبايح الحسن »

قال علي « ما أمركم ولا أنهاكم انتم أبصر »

## الفصل الخامس والستون

### لات ساعة مندم

ولما علم الناس ان سيف ابن ملجم مسموم تحققوا دنو الاجل وخافوا  
الفتنة في من يخلف الامام . فسأله جندب بن عبد الله ما سأله عمن يخلفه  
فأجابته علي بأنه لا يأمرهم ولا ينهاهم كما تقدم  
ثم نقلوه الى داره ماشياً وهو يتوكأ على ولديه الحسن والحسين والدم  
يفشى جبينه وكان السم لم يفعل فعله بعد

أما ابن ملجم فكان لثامه قد وقع عن وجهه وبانت سحنته وكان اسمر  
أبلج في جبهته أثر السجود<sup>(١)</sup> فساقوه الى السجن ولو لم يوص أمير المؤمنين  
بأن لا يقتلوه الا اذا مات هو أثر الضربة لقطعوه إرباً إرباً . ولكنهم  
اضطروا امثالاً لامر الامام ان يسوقوه الى السجن ريثما تظهر لهم عاقبة  
ذلك الجرح

أما بلال فانه سار في أثر الجمع الى منزل الامام علي وقد تولته الدهشة  
لهول ما رآه في تلك الساعة ومما زاد أسفه وضاعف حزنه ما أصابه من  
الفشل بحبوط مسعاه ومسعى سيدته لانه انما كان يود نجاة الامام من تلك  
المؤامرة اكراماً لمولاته خولة وخصوصاً بعد ان صحب سعيداً وسمع منه في  
أثناء الطريق ما حدثته به جده ابو رحاب من فضائل امام علي التي يندر  
اجتماعها في رجل . وقد وردت في كلام أبي رحاب

على انه كان مع ذلك في شاغل عما كان فيه الناس بالغوغاء والانهماك بامر  
الامام وجرحه والتفكر بسعيد وحاله وقد عجب لفشل مهمته مع علمه انه انما  
اسرع بعد طول شقة السفر والسعي في منتصف الليل لينبيء القوم بذلك  
الخطر . فمشى بلال وهو يتفرس في الناس واحداً واحداً لعله يرى سعيداً  
بينهم فلم يقف له على أثر : على أنه ما لبث ان رأى الجمع دخلوا المنزل

وادخلوا الامام محمولا الى غرفته وتفرق الباقيون في صحن الدار جماعات تتحدث كل جماعة منهم بحديث ذلك الصباح . ومدار اجاثهم ما أصاب الاسلام في تلك الساعة مما لم يكن في الحسان وما فهم الا من يقول « ليتني أشني غليلي بضربة في عنق ذلك الباغي »

وفيا هو ينظر في وجوه الناس لعله يرى سعيداً اذا بقبر حاجب الامام علي قد خرج من الغرفة والدمع ملء عينيه وهو يقول . « اقتلوني أيها المسلمون اقتلوني ابي جنت على أمير المؤمنين »

فنهض الناس والتفتوا اليه وهم لا يفهمون مراده فاذا به قد اخترق الجمع ومشى الى الحجرة التي كان سعيد مسجوناً فيها وفتحها وأخرج سعيداً منها وهو لا يزال مغلولاً

## الفصل السادس والستون

### الوصية

وكان سعيد لا يزال في تلك الحجرة وقد اقلوها عليه ولم يدر ما أصاب الامام علياً . فلما أخرجه قنبر على تلك الصورة ورأى الجمع متكاثراً هناك ظنه يريد به سوءاً . فقال أروني الامام علياً فأطلعه على دسيئة دبرها له أهل البغي ولا تظنوا في سوءاً  
فملا صوت قبر بالبكاء وقال . « لقد نفذ السهم يا سعيد انهم فتكوا بأمير المؤمنين »

فصاح سعيد « ومن فتك به »

قال « ابن ملجم ضربه ضربة قاتلة قتله الله »

فصاح سعيد « ويلاه واحسرتاه كيف يقتله وقد قطعت البراري والقفار

سعيماً في تلافي ذلك المصاب .. ألم أقل لك ذلك يا قنبر ؟ »

قال « انك لم تفصح المقال وقد نفذ السهم وجرح الامام جرحاً

لا أظنه ينجو منه ولو أصيغت لمقالك لنجا أمير المؤمنين ولكن وقع القضاء  
ولا مرد لقضاء الله »

ولم يتم قبر كلامه حتى بكى سعيد وبكى الناس وعلا الصياح وهم مبهوتون  
ينظرون الى قبر يتوقعون منه تفصيلا

أما هو فاشتغل بحل قيود سعيد بيده وهو يقول « قاتل الله تلك العجوز  
المحنالة انها أغرتني بك وقد نجحت حيلتها

فهم سعيد ان يقص عليهم حديثه على اثر مارآه من رغبتهم في ذلك  
واذا بعض الناس يقول « ان الامام قد شعر بالراحة وهو يخاطب ابنه  
الحسن والحسين »

فتحول الجمع الى غرفته كالسيل واغتم بلال تلك الفرصة فدنا من سعيد  
كأنه يستفهمه عن سبب ذلك الفشل . فقص عليه الخبر باختصار ووعدته  
بتمام الحديث في فرصة اخرى . وسار مع الجمع الى غرفة الامام فلم يستطع  
الدخول اليها لتزاحم الاقدام . فاطل من نافذة فرأى علياً متوسداً فراشه  
وهو معصوب الرأس بمنديل يغطي الجرح وكانوا قد غسلوا الدم عن وجهه  
ولكن آثاره مازالت ظاهرة على بعض لحيته

فتذكر سعيد جده ابا رحاب وما اوصاه به قلم يتمالك عن البكاء على انه  
ما لبث ان سمع علياً يتكلم فوجه اليه انتباهه فراه يخاطب ولديه الحسن  
والحسين وهما جاثبان عند رأسه وأمارات الكآبة والحزن ظاهرة عليهما  
وهما يتجددان تجرد الرجال وقد اصاخا بسمها وحولا اعينهما الى وجه  
والدهما الجريح والناس سكوت وكلامهم آذان يسمعون ما يملوه الامام من  
الآيات الينيات وهي آخر خطبة ألقاها . فاذا هو يقول :

« أو صيكنما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان بفتكنما ولا تبكيا على شيء  
زوى عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم وأعيننا الضائع واصنعا للاخرى وكونا  
لنظام خصيماً وللمظلوم ناصراً واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله  
لومة لائم »

ثم نظر الى محمد بن الحنفية فقال « هل حفظت ما اوصيت به اخويك »

قال « نعم »

قال « فاني اوصيك بمنته وأوصيك بتوقير أخويك العظيم حقهما عليك  
وتزير امرها ولا تقطع أمراً دونهما » ثم قال « أوصيكما به فانه شقيقكما  
وابن أيكما وقد علمتا ان أباكما يحبه » وقال للحسن « أوصيك اي بني  
بتقوى الله واقامة الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة عند محالها وحسن الوضوء فانه  
لا صلاة الا بطهور وأوصيك بغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الحرم والحلم  
عن الجاهل والتفقه في الدين والثبوت في الامر والتعاهد للقرآن وحسن  
الجوار والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش<sup>(١)</sup>

## الفصل السادس والستون

• موت الامام ومقتل ابن ملجم

وما تم وصيته حتى تعب من الكلام وما عهدناه يتعب من أمثاله في  
الوعظ والحطاب ساعات متوالية . ثم أمر بتلك الوصية فكذبت ودفعت الى  
الحسن ولم ينطق الامام بعد ذلك الا بقوله « لا اله الا الله » حتى مات<sup>(٢)</sup>  
فعلا الضجيج وزاد العويل والبكاء . ثم غسله الحسن والحسين وعبد الله بن  
جعفر وكفن بثلاثة أثواب ودفن  
وأما سعيد فاما تحقق وقوع المصائب بموت علي تذكر قطام وخبثها وقال

(١) ابن الاثير ج ٣

(٢) هذا ما رواه ابن الاثير من أمر مقتله . وذكر صاحب تاريخ الخميس  
انه توفي في صبيحة يوم ١٧ رمضان مثل صبيحة بدر . وقيل ليلة الجمعة لثلاث عشرة  
ليلة من سنة أربعين ( عن أبي عمر وابن عبد البر ) وفي الصفوة قال العلماء بالسير  
ضربه عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة بقية من رمضان وقيل  
ليلة احدى وعشرين منه سنة اربعين فبقي الجمعة والسبت ومات ليلة الاحد وقيل يوم  
الاحد وغسله ابناء عبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن ودفن في السحر . وقلوا  
غير ذلك مما ليس هنا مكان تحقيقه وذكروا أنه دفن في مسجد الكوفة وقيل حمل  
الى المدينة ودفن عند فاطمة وقيل غير ذلك ( عن تاريخ الخميس )

في نفسه والله لم يقتله الا هي ولولاها لم يقتل أمير المؤمنين  
وفيما هو يفكر في ذلك ويكي جاء قبر فقبض على يده وجره فسار في  
أثره وهو لا يدري ما يريد منه . وسار بلال في أثرها حتى دخلوا سجن  
ابن ماجم وكان مغلولاً هناك . فلما دخلوا عليه هم سعيد بالكلام فقال قنبر  
تمهل لئري ما يقول هذا القائل . فلما رأى ابن ماجم قادمين عليه ظل جالساً  
ولم يعبأ بهم ولكنه خاطب قنبر قائلاً « أظنك جئت تدعوني الى القتل لان  
صاحبكم مات »

قال « الى ذلك جئت ولكنني أسألك عن هذا الرجل هل تعرفه »  
( وأشار الى سعيد ) فقال « كلا »

وكان قنبر قد أراد أن يتحقق براءة سعيد وقد شك في اشتراكه  
مع ابن ماجم في تلك المؤامرة . فقال له « ألم يكن لهذا الاموي شركة  
معك في القتل »

فتبسم ابن ماجم وقال « انه أضعف من أن يقدم على ذلك . اني  
لا أعرفه »

فقال بلال « ولكنك ألا تعرف قطام بنت شحنة ؟ »  
قال « أعرفها وهي خطيبي ودم ابن ابي طاب مهر لها »  
فلم يتمالك قنبر عن ان صاح فيه « احسأ يا لثيم انك ستاقي حنك قريباً  
قم الى الموت »

فوقت لساعته ومشى وهو لا يكترث لما يتهدده من الاجل العاجل  
أما سعيد فلما سمع قوله ان قطام خطيبته خفق قلبه غيظاً من تلك  
المرأة وقال في نفسه اني والله سأخذ بالنار منها بيدي

وكان الحسن هو الذي أمر باحضار ابن ماجم ليقتله عملاً بوصية ابيه  
فلما حضر بين يديه نظر الى ما حوله فرأى الناس ينظرون اليه بأعين تلتهب  
حنقاً وكل يود ان يقتله بيده فلم يعبأ ابن ماجم بما يراه . ولم يصبر حتى  
يخاطبه أحد منهم فنظر الى الحسن وقال « هل لك في خصلة انى والله قد  
أعطيت الله عهداً ألا أعاهد عهداً الا وفيت به وانى عاهدت الله عند

الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما فإن شئت خليت بيني وبينه .  
فلك عهد الله علي ان لم أقتله ثم بقيت أن آتيك حتى أضع يدي في يدك «  
فقال له الحسن « لا والله حتى تعابن النار <sup>(١)</sup> »

وكان الناس قد جاءوا بالنفط والبواري والنار وقالوا « نحرقه »

فقال عبد الله بن جعفر وحسين بن علي ومحمد بن الحنفية دعونا نشرف  
أنفسنا منه . فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم ثم  
كحل عينيه بمسار محمي فلم يجزع وجعل يقول « انك لتكحل عيني عمك  
بمكحول محمص » . وجعل يقرأ « اقرأ باسم ربك الذي خلق » حتى أتى  
على آخر السورة وان عينيه لتسيلان على خديه ثم أمر به فموج على لسانه  
ليقطعه فجزع فقيل له قطعنا يديك ورجليك وسممنا عينيك يا عدو الله فلم  
يجزع فلما صرنا الى لسانك جزعت قال « ما ذاك من جزع الا اني  
اكره ان اكون في الدنيا فواقلاً لا أذكر الله » فقطعوا لسانه ثم جعلوه  
في قوصرة فأحرقوه بالنار <sup>(٢)</sup>

## الفصل الثامن والستون

سر جديد

ولما اشم سعيد رائحة القتر المتصاعد من بقايا ابن ملجم اشتفى عليه  
ولكنه ما زال قوله « ان قطام خطيبتي وان قتل على مهر لها » يرن في  
أذنيه وازداد تعجباً من دهاء تلك المرأة واستغرب ان يكون في النساء واحدة  
في مثل ذلك الدهاء وتذكر ما مر له معها من الوعود وما ارتكبه في سبيل  
الانتقام لوالدها وأخيها من الجرائم وكم قتل بسببها من الرجال وعبد الله  
ابن عمه في جملتهم . فلما تصور ذلك كاد يتقد غيظاً وظل برهة وهو غارق  
في مثل هذه الهواجس لا يقنعه لما دار حوله من الاحاديث ولا فقه الاشتغال

الناس في مبايعة الحسن . ولم ينتبه حتى ناداه بلال فلباه فقال « ألا تخرج بنا يا مولاي من هذا المكان ان لي كلاماً أقوله لك »  
قال « هيا بنا » وتحولا ولم ينتبه لهما أحد لاشتغال الناس بالمبايعة  
وعادا تَوَّأ الى ساحة الكوفة حيث تركا الجمين وسارا من هناك الى منزل سعيد وكانا في أثناء الطريق يلتقيان باهل الكوفة مسرعين زرافات ووحداً الى منزل الامام علي على أثر ما سمعوه من مقتله وهما لا يكلمان احداً وكان سعيد لم يدخل منزله منذ ذهب الى الفسطاط فلم يجد فيه احداً لان الخدم ساروا في جملة من سار الى منزل الامام . وكان التعب قد أخذ منه مأخذاً عظيماً لطول ما قاساه من السهر والقلق بعد سفره الطويل . فدخل الدار من باب خصوصي كان مفتاحه معه وترك بلالا يهتم بالجمين . وبدل ثيابه وهو غارق في بحار الهواجس يفكر في ما رآه من الاهوال وما يتوقعه بعد موت الامام علي من اختلاف الاحوال  
ولما فرغ من تبديل ثيابه توسد وسادة يلتمس الاستراحة وهو يفكر في ما يتوقع سماعه من بلال ولكن التعب تغلب عليه وغلب عليه التعب فقام . ودخل بلال عليه فرآه نائماً فتوسد مقعداً في غرفة أخرى وجعل يستعد لمكاشفة سعيد بما يحول في خاطره من الشؤون حتى نام

## الفصل التاسع والستون

خولة وابن ملجم

وظلا نائمين الى الغروب فأفاق سعيد من صوت الخدم وهم يفتحون الباب بعد عودتهم الى البيت وقد بنوا لما رأوا سيدهم هناك على غير انتظار أما هو فعذرهم لثيابهم ودعا بلالا فوقف بين يديه فدعاه للجلوس فاستأذن في اغلاق الباب والاختلاء فأمر بعض الخدم فاضاء له مصباحاً وضعه على مسرحية وخرج فاغلق بلال باب الغرفة وجلس الى سعيد والاهتمام باد على وجهه

فقال سعيد « تكلم يا بلال ما بدا لك »  
 قال « أباذن لي سيدي أن أسأله أولاً ما الذي دعا الى فشل مهمته »  
 فنهد سعيد وقال « ان السبب قديم يا بلال لم أكن لا قصه عليك لو لم  
 أؤانس منك ما آنته من الغيرة المروءة »

قال بلال « ولم يكن من شأنى ان أسألك عنه لو لم ألحظ من خلال  
 الوقائع ما يشف عن حقيقة السر ولعلى اذا اطامت على حقيقة الحال ان  
 آنيك بخبر جديد »

قال « لا أخفى عنك بعد ذلك ان السبب في فشلي امرأة أظنك سمعت  
 اسمها في هذا الصباح من فم ابن ماجم »  
 قال « أظنها قطام بنت شحنة »

قال « نعم هي قبجها الله من داهية محتالة . فانها كانت سبياً في قتل  
 ابن عمي وقتل الامام وابن ماجم . ولا يخفى عليك ان قتل الامام لا يقتصر  
 شره على مجرد قتل النفس ولكننا نخاف منه الفتنة . ولا ريب انها أرادت  
 أيضاً أن تقتلني بوسيلة دبرتها » وقص عليه حديثه مع قطام مختصراً من  
 أول معرفته بها الى تلك الساعة

فلما فرغ سعيد من كلامه عض بلال على أنامله وتحرق ثم نهده وسكت

فقال سعيد « ما يخطر لك يا بلال وما الذي يدعوك الى النهده »

قال « يدعوني اليه ندمي على ما قاتني من القبض على هذه المرأة في  
 صباح هذا اليوم لأنى رأيتها في قبتها بالمسجد وقد مر بها ابن ماجم ورفيقه  
 فكلاهما قبل اقدامهما على تلك الفعلة الشنعاء ولكنني كنت أظن علياً والهنى  
 عليه قد علم منك بما ينويه ابن ماجم فلا يترك له فرصة لارتكاب ذلك  
 المنكر ... وقد رأيت بنت شحنة خارجة من المسجد بعد ان تحققت نيل  
 بغيتها بقتل الامام فياليتني قبضت عليها ... ولكن ما قدر فقد كان . وقد  
 قتل الامام وقتل قاتله والامر في ذلك لله . على انى اذا عشت فاني منتقم  
 لك وللإسلام من هذه الفاجرة . ومن غريب الانفاق ان ابن ماجم هذا  
 كان قد خطب سيدي خولة من والدها ولكنها لم تكن تحبه ولم ترض به »

ولم يكن بلال عارفاً باطلاع سعيد على ذلك الخبر من خولة فلم يشأ سعيد ان يعترف له به فتجاهل وظل صامتا لئلا يسمع بقية الحديث فقال بلال « ولا شك ان سيدي خولة اذا سمعت بمقتل هذا الغادر فرحت لتخلصها من شركه »

قال سعيد « وما الذي كان يحملها على القبول به ألم يكن لها ان ترفضه قال « كلا يا مولاي لان سيدي والدها هو الذي اطعمه بها ووعدته بزفافها اليه أما هي فقد تحققت من قرائن مختلفة انها كانت مصممة على رفضه ولو مهما كلفها ذلك من العناء »

## الفصل السابعون

### قلب خولة

فتذكر سعيد حديث خولة وتمثلت له صورتها كاللاك وتذكر ما آتته فيها من الحمية والافتة والمرؤة وما شعر به نحوها من الميل يوم لقيها في الفسطاط . وهو لا يزال مخدوعاً بمواعيد قطام ومشغولاً بأمر الامام علي فلم يترك انبله يومئذ مجالاً للحب فلما سمع ذكرها الآن تجددت ذكراها في ذهنه فقال لسامع اخبارها وظل على تجاهله فقال وهل أنت متحقق انها كانت مصممة على رفضه ولو اغضبت والدها «

قال نعم اني واثق بما أقول وقد لحظت شيئاً آخر . . . » وسكت وهو يتنسم

قال « وما هو »

قال « ألم تلحظه أنت »

قال « كلا وما هو . قل »

قال « لحظت انك وقعت من نفسها موقماً عظيماً . ولحظت أيضاً انك لم تجهل ذلك »

قال « كيف عرفت اني لم أكن أجهله »

قال «عرفته ممارأيت من خروجها اليك غير مرة بالليل التماساً لنجاتك وهي تستجبهاني ولا تنبئه لملاحظتي . ولكذك كنت مشتتلاً يومئذ بلهفتك على انقاذ الامام علي من مخالب الموت ... »

فمجب سعيد لما ظهر له من اطلاع بلال على سره وتذكر أنه شعر بشيء منه يوم كان في الفسطاط وان انشغاله بلهفته على الامام وخوفه عليه مع تعلقه بقطام وعهودها حال بينه وبين تمكين علائق المودة مع خولة . فلما سمع ما سمعه من بلال ساعتئذ أحب أن يستطلع جلية الخبر فقال له « افصح عما في نفسك اني لم افهم مرادك »

فقال بلال «ان مرادي واضح مما ذكرته لك وأقول بالاختصار ان سيدتي أسرت الي يوم أمرتني أن أسير في ركابك اتنا اذا آمننا مهمتنا بكشف دسيصة ابن ملجم وانقذنا الامام علياً ان اطلعك على رغبتها في عودك الى الفسطاط لانها تكون قد نجت من خطبة ابن ملجم وتكون أنت قد فرغت من مهمتك ولا أدري ما تنويه هي في رجوعك ؟ »

ففهم سعيد ما وراء ذلك فقال له « أما رجوعي الى الفسطاط فلا يخلو من الخطر علي لاني انما جئت منها فراراً من القتل . فاذا عدت انما اعرض نفسي لما هو شر من القتل وابن العاص لا يعفو عني على اني اكره ان أرى الفسطاط بمد أن فقدت فيها ابن عمي رحمه الله . . . » وسكت هنيهة وتهد ثم قال « هل أنت واثق بميلها الي فاني والحق يقال قد انست في خولة من الحمية وعزة النفس مع الاستهلاك في نصرة الامام ما جعل لها في نفسي مقاماً رفيعاً . ولا أكتمك ما خالج ضميري يومئذ من الميل اليها ولكنتني كنت عالق القاب بقطام اخزاها الله انها خدعتني ... »

فقطع بلال الكلام عليه قائلاً « لا تذكر هذه الحادثة يا مولاي اني والله أكره ان اسمع ذكرها لاني اشعر بقصوري وجهلي اللذين سببا نجاتها وهي والحق يقال أصل هذا الشر العظيم . . . ولكنها انتقمت لوالدها وأخيها فارتكبت أعظم إثم حدث في الاسلام فقتلت ابن عم الرسول (صلم)

ولكنني سوف اذيقها حتفها واسفك دمه ولو كلني ذلك بذل النفس » قال ذلك وهو يحرق أسنانه حنقاً وأسناً

فقال سعيد « وما ظنك بها الآن . هل هي باقية في الكوفة ؟ »

قال « لا اظنها تبقى هنا بعد ما ارتكبتة وقد فضح أمرها وتلم الخاص

والعام انها شريكه في القتل »

قال « والى اين تظنها خرجت »

قال « لا ادري وسأبحث عن ذلك في صباح الغد أما الآن فلنعد الى

ما كنا فيه فانك اذا لم ترجع معي الى القسطنطينية احسبني مقصراً بالواجب

علي . وخولة يامولاي يندر منالها بين البنات جمالا وتوقلا وانقة ولولا

والدها وتشيمه معاوية لأت بما لم يأنه أعظم الرجال . ولكنه كثير التشيع

لابن أبي سفيان كما قد علمت وهو وسيدني خولة يحسباني ساذجاً لا افهم

الامور ولذلك فكثيراً ما كنا يختلفان امامي ويختصمان على أمور استدل

منها على ذلك »

## الفصل الحادي والسبعون

### حب جديد

فاحسن سعيد بتجدد عواطفه نحو خولة وتاقت نفسه الى الحصول عليها

ولكنه استقل الذهاب الى القسطنطينية مخافة الوقوع في قبضة عمرو بن

العاص . ثم تذكر بغته ان المؤامرين كانوا قد أقرروا على قتله وقتل معاوية

في مثل ذلك اليوم فقال ألم اخبرك ان اثنين آخرين تأمرا على قتل ابن

العاص ومعاوية أيضاً »

قال « بلى اخبرني ولكنني لا أخاف على ابن العاص الوقوع في ذلك

الشرك »

قال « وما الذي ينجيه منه وهو لا يدري بما نووه له . . . فاذا كان

انؤامر على قتله قد قتله هان علي الدخول الى الفسطاط ويكون ذلك أهون  
اذا قتل معاوية في الشام «

فقال بلال « ان البحث عن ذلك يحتاج الى وقت ولا بد لنا من التربص  
ريثما نسمع الاخبار أو ان نسير للبحث عنه بأنفسنا «

قال سعيد « لاصبر لي على التربص ولا أظنك تصبر عليه . فأرى ان  
تسير انت على عجل الى الفسطاط تستطيع حيلة الواقع وتعود بالخبر اليقين .  
واذا جعلت طريقك بالشام جئت بالخبرين معاً «

قال « ذلك اليك ياسيدي . وأنت ماذا تعمل ؟ «

قال اني أود البقاء هنا للبحث عن تلك الحائنة قطام لعلي أتوق  
الانتقام منها واذا لم أتوفق الى ذلك عشت منفض العيش طول عمري . آه  
كيف يهنا لي عيش وهذه المرأة حية وقد فعلت ما فعلته معي . . . قتلت  
ابن عمي وامير المؤمنين وكادت تقتلني ! «

قال « بالله دع امر الانتقام الي فاني أريد ان أشفي غليلي منها ومن  
عندها الذميم ربحان لا أراحه الله . . . ولكنني أرى سفري الى الفسطاط  
أدعى الى العجلة . . . فما العمل

فأعجب سعيد بحماسة بلال وزاد ميلا اليه والى سيدته وليث برهة يفكر  
في حاله وهو يزداد شهوراً بالانعطاف الى خولة ويردد في ذاكرته ما آتته  
فيها من الحلال الحميدة والغيرة نحوه وكيف كان التقاؤه بها سبباً في نجاته من  
القتل ليلة ذلك الاجتماع . فضلاً عما رآه فيها من الغيرة على امير المؤمنين .  
ولكنه لم يكده ينتقل بفكره الى عاقبة ذلك السعي وحبوط تدايره في انقائه  
حتى هب جسمه وتمرمم في داخله على انه لم ير حيلة في ما مضى فقال  
« لقد قضي الامر يا بلال ولم تبق لنا حيلة في ملافاة ما مضى فاذهب انت  
الى الفسطاط وعرج في طريقك الى الشام ثم عد الي بالخبر اليقين عن عمرو  
ومعاوية . وأما أنا فاني باق هنا أبحث عن قطام وعجوزها وعندها واذا انت  
عدت من سفرك أفتقدني في هذا المنزل وسنرى ما يكون «

قال « وخولة ؟ ماذا أقول لها «

قال « قل لما أني لا أقدر أعف شوقي إليها وإن ما عندي أضعاف  
ما عندها ولها مني عهد الله إن هي رضيت بي أن لا أنفت إلى سواها  
والأيام يفتنا »

قال « أما رضاها فإنا الضمين لك به . . . » وسكت بلال وقد أبرقت  
أمرته سروراً بما سمعه . ثم قطب وجهه بغتة وقال « ولكن هب إن ابن  
العاص ما زال حياً ووالدها كما تعلم شديد التشيع له فلا أظنه يأذن بزفافها  
إليك اختياراً فما الحيلة ؟ »

قال « ذلك راجع إلى اختيارها ومتى عدت إلى الخبر تتدبر الأمر في  
حينه أما الآن فينبغي أن لا نضيع الوقت . امض إلى الفسطاط على عجل  
وعد إلى الخبر اليقين وعلى الله الاتكال »

فأخذ بلال يهتم بالرحيل وسعيد صامت يفكر في ما حدث له من  
المواجس الجديدة . وأصبح الحصول على خولة شغله الشاغل ولكن فشله  
في انقاذ الامام أثار في خاطره حب الانتقام من قظام . فصمم على الفتك  
بها إما بيده وإما بمساعدة الحسن بعد تبوئه عرش الخلافة

## الفصل الثاني والسبعون

### خولة في الفسطاط

فلنترك سعيداً وبلالاً في حالهما ولنعد إلى خولة في الفسطاط . فقد  
تركتها عائدة في ذلك الليل إلى منزلها وكان والدها كما علمت قد حبسها في  
ذلك البيت على طريق عين شمس . فلما أخرجها سعيد منه كما رأيت وسارا  
إلى الدير ثم خرجت هي وحدها لم تر خيراً من أن تتظاهر بالبكاء والخوف  
فهرعت إلى منزل والدها باكياً وكان هو لا يزال غائباً لا يشغاله بمقابلة عمرو  
ابن العاص بشأن الدين قبض عليهم في ذلك الدهليز . فلما فرغ من أمرهم  
وحرص ابن العاص على انمراقهم سار إلى محبس ابنته فرأى الباب مفتوحاً  
وليس هناك أحد . فاستغرب الأمر وعاد توطأ إلى منزله فرأى خولة جالسة

في غرفتها تبكي . فتجاهل سبب بكائها وقال « ما بالك يا خولة »  
قال « كيف تركني وحدي في ذلك البيت ألم تخف علي أبناء  
السييل »

قال « ألم تري أني أفتت الباب وأوصدته خوفاً عليك من ذلك »  
قالت « كيف تفعل بي هذا الفعل ألي عاصية أمرك » واستغرقت  
في البكاء.

فتمركت فيه عاطفة الابوة وظنها تقول ذلك عن سذاجة فقال لها  
« وكيف خرجت »

قالت « لما رأيت نفسي حيسة هناك خفت على حياتي فجمعت اناديك  
واستغيث بك ثم سمعت قرعة وضجيجاً ووقع حوافر كثيرة فازداد خوفاً  
فصحت واستجرت فقيض الله لي بعض الناس ففتح الباب بالتمف فخرجت  
وهرولت الى البيت وانا ارتعد من شدة الاضطراب »

فطيب خاطرها ولاها على خوفها ولكن سر لظنه بانطلاء حياته عاها  
وما زال يهون عليها حتى تظاهرت بالرضاء فتركها وخرج وهو يظنها عازمة  
على الرقاد . ثم سمعت خولة لفظ الناس في المدينة فانتبهت ان الجند لا  
يلبثون ان ييغتوا بيت الغناري فاذا رأوا سعيداً هناك قبضوا عليه فخرجت  
لانقاذه كما تقدم . وقبل خروجها اوصت عبدها ان يوصد الباب واذا سأل  
والدها عنها ان يقول له انها نامت واوصدت الباب وراها لشدة ما اعترأها  
من الخوف في ذلك المساء . فبات والدها تلك الليلة وهو يحسبها نائمة اما هي  
فبعد انقاذه سعيداً عادت الى غرفتها وهي لا تزال مضطربة فلم تستطع رقاداً  
وجعات تفكر في طريقة تنقذها عبد الله ولم تمكث قليلاً حتى سمعت لغطاً  
في دار والدها وفهمت من خلال اللفظ ان عمراً عول على اغراق اسراه  
تلك الليلة في النيل وسمعت والدها يضحك سروراً بذلك الاقرار . فاسفت  
أسفاً شديداً ولبثت برهة تفكر في ماذا تعمل حتى حدثتها نفسها لشدة التأثر  
ان تخرج في أثر الخارجين لعلها تستطيع انقاذ عبد الله . فاستغفات والدها  
وكان قد ذهب الى فراشه وخرجت وأوصدت الباب وراها كالمره الأولى

وبلال نائم أمام عتبة وسارت تلمس ضفة النيل حيث ظنت أنهم ساقوم وهي عزلاء لا سلاح معها ولكنها اندفعت الى الخروج بحميتها . فالتقت هناك بسعيد ودار ما دار بينها وبينه ووعدهته بإرسال عبدها ليصحبه الى الكوفة كما تقدم . ثم عادت وحدها

فلما أشرفت على المنزل رأته هادئاً وأهله نيام فانسلت الى الدار فرأت عبدها بلالاً نائماً فأيقظته فهب من رقاده مذعوراً وكانت تعلم باستهلاكه في مرضاتها فدعته الى غرفتها فتبعها فلما خات به قالت « أندري لماذا دعوتك ؟ »

قال « كلا يا مولائي ولكنني رهين اشارتك »

قالت « أطيعني يا بلال »

قال « كيف لا وأنا عبدك ورهين اشارتك »

قالت « اعلم ذلك ولكنني أريد أن اعهد اليك في أمر خطير فهل أنت مستعد للقيام به حتى الموت »

قال « ان الموت هين في سبيل مرضاتك . قولي يا سيدي مري بما تشاين فقد قضيت عمري في خدمتك وأنا أتوقع مهمة ترضيك ولو الى القتل »

قالت « أسمع ما حدث اليوم في عين شمس وما فعل ابن العاص بالجنهمين هناك »

قال « نعم وقد ارتكب أميرنا فيه أمراً عظيماً وقتل كثيرين »

قال « أما سرك ما فعله ابن العاص بأولئك العلويين »

قال « اذا كان ذلك سرك فانه يسمرنى »

قالت « وما ظنك بي »

قال « لا أظنك راضية عن ذلك لعلمي أنك على غير دعوة الامويين

وان يكن سيدي والدك مستهلكاً في سبيل التشيع لهم »

قالت « وكيف عرفت ذلك »

قال « أنت تحسبيني ساذجاً وقد قضيت في خدمتك أعواماً طويلاً

واطلعت على مكنونات قلبك وأنت لا تعلمين . وأما الآن فقد دفعتني الى  
النصریح فأقول لك اني اعلم غرضك ولم يفتني شيء مما تقاسينه في سبيل  
الدفاع عن الامام على ... وخصوصاً أمس وأنت لا تعلمين الا اني أحرس  
هذا الباب الموصل وأكنم خروجك منه عن والدك «

فاستغربت خولة قوله ولكنها سرت بما سمعته منه وقالت « وما مرادك  
بما حدث أمس »

قال « أتظنين اني غافل عما قاسينه في سبيل انقاذ ذلك الشاب الغريب  
الليلة وقد كان في جملة من خيف عليهم التوقع في شرك ابن العاص  
فانقذته بغيرتك «

فتحقت أنه كان يراقب حركاتها وسكناتها . فهلل قلبها سروراً فقالت  
« أما والحال على ما أرى فاخبرك ان ذلك الشاب مسافر الآن الى  
الكوفة وأريد منك أن تذهب اليه بالجلين الى سفح المقطم فاذا التقيت به  
هناك سر في ركابه الى الكوفة واحذر ان يدري بك أحد أو أن تذكر  
ذلك لاحد «

ولم تم كلامها حتى تحول مسرعاً بهم باعداد الجمالين فاسترجعته وقالت  
« قف يا بلال بورك فيك واسمع كلمة أخرى أقولها لك «  
فماد وقال « لبيك يا مولاتي قولي ما تشائين «

قالت « انك ذاهب مع هذا الشاب الى الكوفة لانقاذ الامام على من  
القتل وستعلم تفصيل ذلك منه . وأما الآن فيكفيني أن أوصيك به خيراً  
واذا أتت فرغتها من تلك المهمة ارجع به الينا فاني اكره ابن ملجم الذي  
يريد والدي ان يجعله خطيباً لي ... هل فهمت ؟ «

فضحك بلال وهز رأسه ولسان حاله يقول « فهمت «  
فقالت « سر بحراسة الله وكنت أود أن أزيدك بياناً ولكن الوقت  
ضيق فاذهب وعد سالماً باذن الله واحذر ان تبوح لاحد بما سمعته أو رأيته  
فخرج وهو يلتفت اليها كأنه عاتب على ما ظهر من ضعف ثقتها بأمانته

ولكنه كان يتسم فرحاً بما كلفته به فأعد الجميلين وخرج الى سفح انقطم  
وصحب سعيداً كما تقدم

## الفصل الثالث والسبعون

### تقوذ الحيلة

أما هي فلما خرج بلال عادت الى غرفتها وأوصدت الباب وراءها  
واستنقت في فراشها وقد تعبت مما قاسته في ذلك اليوم من المشاق وكان يجب  
أن تنام لو لم يشغل خاطرها ما شغله من الامور الهامة . ويتخلل ذلك شعور  
داخلي جديد لولا الحشمة واهتمامها بانقاذ الامام لصرحت به . ألا وهو  
انعطافها الى سعيد لما آنتت فيه من الرغبة في انتاذ الامام على واستهلاكه  
في سيل ذلك مع مافي قلبها من الثغور الشديد من ابن ملجم حتى كرهت  
والدها من أجله ومن أجل تشيعة الامويين

قضت بقية تلك الليلة لم ينعض لها جفن وهي تارة تفكر في سعيد  
وقلبها يخفق انعطافاً له وخوفاً من فشه في مهمته . فجعات تقدر الوقت اللازم  
لسنره الى الكوفة فرأت أنه اذا أسرع لا يفوته الوصول اليها قبل الاجل  
السمى للقتل . وكان يعترض تسلسل افكارها خوف مما ربما يطرأ عليه في  
الطريق فيعيق وصوله فترتعد فرائصها فرقاً من قتل الامام . وفي قنله  
ضربتان كبيرتان الاولى موته والثانية عود بن ماجم اليها . ولكنها كانت  
تتعزى بأن ابن ماجم اذا ظنر بقتل الامام لا ينجو من القتل . ثم تحول  
ذهنها الى والدها وخروج عبدها بالجليلين وأعدت اعداراً تنجها في سبب  
خروجه فلم نجد خيراً من أن تدعي فراره الى حيث لا تعلم

وكان والدها قد أفاق في أثناء الليل وهي غائبة فجاء غرفة ابنته ليرى  
حالتها فرأى الباب موصداً فسأل العبد عن ذلك « فقال ان سيدتي باتت  
مبغوتة وقد نولها الخوف على غير المعتاد في تلك الليلة فأوصدت الباب  
وأوصتني أن أنام خارجاً »

فقال والدها في نفسه « مسكينة خولة يظهر ان رعبها من ذلك الحبس لا يزال مؤثراً عليها » وعاد الى فراشه وهو مقتنع بصدق ما قاله العبد وفي الصباح جاء الغرفة فرأى الباب لا يزال موصداً ولكن بلالا ليس أمامه ففرعه فقهضت خولة وفتحتة وهي تتظاهر بالذبول لطول استغراقها في النوم . فامسكها والدها بيدها ووضع يده على كتفها وهو يقول « أهلك لا تزالين خائفة يا بنية »

قالت « كلا يا سيدي أني تحت جناحك في أمن وطمأنينة »  
فقال « بورك فيك تعالى تناول الطعام » ثم نادى بلالا فلم يجبه أحد  
فقال « أين بلال »

فقالت « لا أدري لعله خرج الى السوق في عرض »  
فصبر هنيهة فلم يحضر فأرسل بعض الخدم في أثره فلم يقف له على خبر  
ثم علم بضياح الجمالين ولما انقضى معظم النهار ولم يعد بلال ولا الجمالان اشكل  
عليه أمره

فقالت خولة « يظهر انه أخذ الجمالين وفر » فبحث الناس في أثره الى  
ضواحي المدينة فلم يذبه أحد بخبره فصدق قراره

## الفصل الرابع والسبعون

### خولة ووالدها

أما خولة فلما تحققت انطلاء الحيلة على والدها عادت الى هواجسها وتذكرت المهمة التي سار فيها سعيد وأخذت تفكر في أمره وهي خائفة ان يتأخر في الطريق عن الوقت المعين لقتل الامام فيذهب سعيها هباء منثوراً ولكنها كانت مع ذلك مطمئنة الخاطر بنجاتها من ابن ملجم لعلمها انه وان فاز بقتل الامام علي فلا ينجو من سيوف اشياعه وهم كثار في الكوفة على انها باتت منشغلة الخاطر على سعيد بعد ان فرغت من تدبير الحيل في ارساله لانها لم تتحقق وقوعها من نفسه مثل وقوعه من نفسها وودت

نو يسرع بعدها بلال بالرجوع لزي ماتم . ولكنها حسبت الايام الباقية  
ريها يرجع فرأت الاجل لا يزال بعيداً فصبرت نفسها ولبثت تنظر ما يأتي  
به القدر

وبعد مضي أيام من ذلك جاء والدها ذات مساء بعد عودته من حانوته  
وعلى وجهه امارات البشر فتوسمت في طلعته خيراً جديداً فالت الى  
استطلاع ما في خاطره لهاها تعلم منه شيئاً بهما . فقد جلسا الى المائدة  
فاحتالت في اجتذاب حديثه فذكرت له مامر في تلك الاثناء من القبض على  
اولئك العلويين وتفنت في استرضائه فابتسم واللقمة ملء فيه وكأنه يريد ان  
يقص عليها قصة بعد ان يزدرد تلك اللقمة . فكفت هي عن الطعام ولم تعد  
تستطيع صبراً على سماع الحديث

فلما ابتلع اللقمة تنحجح ومسح شاربيه ولحيته والتفت اليها وقال وهو  
لا يزال يبتسم « لقد عودتني يا خولة ان أحاذر في الكلام بين يديك في ما  
أخشى افشاءه »

فتظاهرت بالاستغراب وقالت « اني لاعجب يا أبتاه من سوء ظنك بي  
مع علمك اني فناة متحجبة في هذا البيت لا أعرف من أهل الدنيا أحداً  
سواك فكيف تقول انك تحاذر ان تذكر بين يدي ما تخاف افشاءه . أي  
سر بحت به الي فافشيتة » قالت ذلك وكادت يجيش بالبكاء

فتأثر والدها من منظرها ولكنه عاد فابتسم وقال لها « لم أقل انك  
تبوحين بالسر ولكن . . . . » وسكت

فغالت « ولكن ماذا يا أبتاه انك والله تظلمني بظنونك ويسوءني ان  
لا يكون لي نصيب من الثقة حتى ولا من والدي الذي لا اعرف أحداً سواه »  
قال « لا أخفي عنك يا ابنتي اني كنت ولا أزال اعتقد أنك مبالغة  
الى الاعداء . . . . و . . . »

فابتدرته وهي تتظاهر بالبنفة والاستغراب وقالت « وأي اعداء تعني . .  
أعوذ بالله من هذه التهم . . . فكيف تقول ذلك . . . » وتحت عن  
المائدة وتظاهرت بالأعراض

فقال « اعترف لك اني أراك ميالة الى حزب العلويين وأنت تعلمين ان علياً حاربنا وقتل جماعة كبيرة منا في النهروان وغيرها . . . ولا ألومك لانعطافك نحوه لانني كنت أنا أيضاً مثلك وقد كنت في جملة المتشيعين له ولكنني اصبحت بعد واقعة صفين ناقماً عليه لما ارتكبه في مسألة الحكيمين بحيث اخرج الخلافة من يده وجعل للمعاوية بدأ دونه . . . »

## الفصل الخامس والسبعون

خبر جديد

فادركت انها اذا أتت بحقيقة ميلها ألفت نفسها في تهلكة فلم تر خيراً من المبالغة في الانكار فقالت « وما أدراك اني ما زلت على القديم اذا كنت قد عدلت عنه ومن أكون أنا حتى أخالفك في مثل ذلك » قال « لو لم تكوني كذلك لما كان ثمة داع لمنعك عن القبول بان ملجم زوجاً وانت تعلمين ان هذا الرجل قد عاهد نفسه على القيام بعمل لم يقدم عليه أحد غيره من المسلمين في هذا العصر . انه كما تعلمين قد تعهد بقتل علي . . . »

فاجفلت عند سماعها ذلك التعريض وحدثتها نفسها ان تبوح بحقيقة ميلها ولكن خافت ضياع الفرصة وهي انما افتتحت الحديث لتستطلع ما في نفس والدها فانكرت تهمة كل الانكار وقالت « ان ما تنسبني اليه من امر ابن ملجم ظلم يا مولاي فاني لم ارفض هذا الرجل وهو لا يزال خطيبي متى عاد من رحلته هذه . وكيف تقول اني لم أقبل به وأنا لم أفه بكلمة في هذا الموضوع »

فضحك والدها وهو يتشاعل بتقطيع فخذ من الضأن بين يديه وقال وهو ينظر الى تلك الفخذ « نعم انك لم تفوهي بكلمة ولكنني فهمت من مجمل حالك انك غير راضية به » وكان قد أم تقطيع اللحم فقدم لها قطعة فأبت ان تتناولها وأعرضت دلالةً وحنفاً

فقال لها « خذي كلي ياخولة ولا يسوءك قولي اذا كان صحيحا »  
 قالت « وهو انما ساءني لاني اراني به مظلومة واظنك بناء على هذه  
 الظنون قد عاملتني معاملة العدو فخبستني في ذلك البيت المظلم ساحك الله »  
 قال « لقد اذكرتني حديث تلك اليلة وما كان فيها من الاهوال وهو  
 الامر الذي جئت لاقص خبره عليك ولكنني لا اقول كلمة قبل ان  
 تصدقيني الخبر هل انت على ولاء والدك تأمرين بامره . ام ماذا »  
 فنظاهرت بالغضب وقالت « اني لا اراك بهذه الظنون الا تريد ان  
 تبغني على الشكرك وتلجثني الى الانحراف وانا لا علم لي بما وراء هذا  
 البيت ولا أبني من هذه الحياة غير مرضانك »  
 فمد يده وهو لا يزال قابضاً على قطعة اللحم وقال لها « خذي إذا هذه  
 اللقمة واصفي لما أقوله لك »

فتناولت خولة اللقمة من يده وقالت « تفضل » ووضعت اللقمة في فيها  
 وهي لا تعرف كيف تمضغها لانشغال خاطرها بما ترجو سماعه من والدها  
 فاذا هو يقول « اعلمي ياخولة ولا أزيدك علماً ان اميرنا حفظه الله علم  
 منذ أيام باتين أنيا من الكوفة للحجارة بعض كبار العلويين الذين كانوا  
 يجتمعون سرّاً في خرائب عين شمس فبعث جنداً من شرطته فقبض عليهم  
 وهم في مجتمعهم تحت الأرض . ألا تعلمين ذلك ؟ »  
 قالت « لحظت شيئاً منه بعد حدوته »

## الفصل السادس والسبعون

عبد الله حي

قال « فاعلمي اتنا وجدنا في جملة المقبوض عليهم في تلك اليلة واحداً  
 من ذينك الاثين اسمه عبد الله . واما الثاني فانه نجبا ولا ندرى من هو  
 والظاهر انه لم يكن في ذلك الاجتماع لان عمره كان طويلاً . أما الاول  
 فانه سبق في جملة من سبق تلك اليلة الى دار الامارة . وربما بلغت ان

الامير عمراً رأى أن يقتل أولئك المبعوض عليهم وقد كنت انا في جملة من أشار عليه بذلك مخافة الفتنة اذا ظلوا احياء . فامر عمرو باغراقهم في النيل وعبد الله معهم وقد عدت انا من حضرة الامير وهم يهياً ون لا رسالهم الى النيل وعلمت في الغد انهم اغرقوهم »

فلم تر خولة بحديثه شيئاً لم تكن تعرفه ولكنها علمت ان الحديث لم يتم فصبرت نفسها وتظاهرت بخلو الذهن من هذا الموضوع وهي تبدي الاستغراب

أما هو فقال « وما زلت اعتقد انه اغرقهم جميعاً الى اليوم وانا في منزل الامير فرأيت في بعض جوانبه غرفة مقفلة كنت كلما جئته في هذه الاثناء أراها مغلقة فلم اهتم بشأنها فلما كان عصر هذا اليوم دخلت على الامير وانا عائد من عملي فذكرت له امر ابن ماجم ومهمته وطففتنا نتحدث في ما عسى ان يكون من امره في الكوفة فلما وصلنا الى ذلك رأيت به بيتهم وتوسمت في وجهه خبراً فرغبت اليه ان يطلعني على ما حدث وانت تعلمين مالي من الدائنة عليه . ولكنني رأيت به يتردد في الامر فألححت عليه فقال لي « أتعلم من هو المقيم في هذه الغرفة »

قالت « لا يا مولاي لا اعلم وليس من شأنني السؤال عما في منزل الامير »

فضحك عمرو حتى رققت لحيته وقال « اني حبست فيها رجلاً سينقذ حياتي من القتل »

فمجبت لقوله واستغربت ما يشير اليه ولبثت انتظر الافصاح فقال لي « اعلم يا صاحبي اني حبست في هذه الغرفة عبد الله الاموي الذي كان قدومه سبباً بمقتل العلويين منذ أيام »

فلما سمعت خولة ذكر عبد الله علمت انه رفيق سعيد وخفي قلبها فرحاً بنجاته من القتل ولكنها استغربت سبب تلك النجاة على انها ظلت متجاهلة وهي تتوقع سماع تنمة الحديث ووالدها يتشاغل عن امامه بالمضغ والابتلاع وكان اكلوا

فلما خلا فمه من الطعام عاد الى الحديث فقال « فاستغربت ما يقوله  
وقلت ما الذي عساه ان ينجيك به من الموت » فاخبرني قائلاً « ان ابن  
ملجم خطيب خولة الذي قات لي انه عازم على قتل علي انما هو مؤامر  
رجلا آخر على قتلي وانهما تواعدا على قتل علي وعمرو في يوم واحد »  
قال عمرو - فلما « قال لي عبد الله ذلك استغشيتيه ولم اصدق قوله لغرابته  
ولعلمي ان ابن ملجم من رجال دعوتنا وخصوصاً بعد ان خطب ابنتك فقات  
في نفسي لو صح حديث هذا الاموي لما خفي ذلك الحديث عنك وانت  
لو علمته ما كتتمته عني فلم أر خيراً من ان استبقيه وأحبسه في منزلي ربنا  
يأتي الاجل المضروب لقتل هذين الاثنين وهو يوم ١٧ رمضان فاذا تحققنا  
قوله افرجنا عنه والا ضربنا عنقه »

قال والد خولة « فلما سمعت قول عمرو استغربته كل الاستغراب  
وخفت ان يكون عمرو قد ساء الظن بي فاقسمت له الايمان بالمغاطة اني لم  
اكن عالماً بغير عزم ابن ملجم وسألت عمراً هل عرف اسم المؤامر على قتله  
فقال ان ذلك الاموي لم يكن يعرف الاسم . ولم أعد اعرف يا خولة كيف  
أوكد له صدق اخلاصي له مخافة ان يبقى على سوء ظنه فيبالت في اظهار  
الغضب من ابن ملجم وقات له اني لو عرفت خداع هذا الرجل مارضيت  
به صهراً وانا منذ الآن محرمه من خولة » ولما قلت له ذلك التفت الي وقال  
« لا يكفيني هذا الوعد وانا أعرف خولة وأعرف مقامها وطلما كنت  
اريد لها لاحد اولادى وأما الآن فاني اطاب اليك اذا صدق هذا الاموي  
بقوله ان تكون ابنتك خولة عروساً له لان الرجل اموي وكان على دعوتنا  
ولكن بعض الناس أغروه على التشيع لعلني »

## الفصل السابع والسبعون

عريس جديد

فلما وصل الى ذلك الحد علمت خولة ان عبد الله لا يزال حياً واطمأن  
بالها عليه وعلمت انه لم يذكر خبر المؤامر الثالث على قتل معاوية مخافة ان  
يرسل عمرو بنجبره الى الشام فينجو معاوية منه

ولكنها لما سمعت ذكر خطبتها له اطرقت حياء وتظاهرت بالسكوت  
وقلبها يخنج فرحاً بنجاتها من ابن ملجم . ولكنها تذكرت حياء سعيداً  
وما بعثت اليه مع عبدها بلال فاحتارت في امرها على انها لم يسمعها الا  
كتمان كل ذلك والتظاهر بالاستغراب فقالت وهي تهز رأسها استغراباً  
اصحيح انهم تأمروا على قتل عمرو أيضاً لمصادفة غريبة »

قال « بالحقيقة انها مصادفة يندر مثالا ولكن ما قولك باقتراح

عمرو عنك »

فسكتت ولم تجب

فقال « ما معنى سكوتك وانت تعلمين اننا لانستطيع رد ذلك

الاقتراح »

قالت « دع ذلك الآن فانه ليس بالامر المهم وماخولة الاجارية حقيرة

لانستحق هذا الاهتمام ولنصبر الى الاجل المسمى انرى ما يكون »

فقال « اتنا صابرون ولكنني ارجو ان يكون خطيبك الجديد اهل لك

وليس مثل ابن ملجم الخائن على اني ادركت من خلال حديث عمرو ان

عبد الله رجل صادق وهو مع ذلك أموي ربي في منزل الخليفة عثمان

ولكنهم أغروه على التشيع اعلي ثم عاد الى ما كان عليه . واذكر اني رأيت

ليلة قبضوا عليه فاذا هو شاب في مقتبل العمر واظنك سترتاحين اليه »

فظات خولة ساكنة فحسب والدها سكوتها قبولاً فسكت وكانوا قد

فرغوا من الطعام فهض ونهضت خولة ففسلت يديها والتمست غرقها وهي

تفكر في ما سمعته من والدها وتحسب نفسها في حلم  
فأما خلت بنفسها تذكرت سعيداً وحبها له وجمعت تتقاذفها الهواجس  
وهي تخاف أن يجعلها عمرو على الافتران بعبد الله قبل أن تعلم مصير سعيد  
في مهمته الى الكوفة وقد اعجبت بدهاء عبد الله لانه باح بنجر المؤامرة على  
قتل عمرو وكم أمر المؤامرة الثالث وهو معذور في ما باح به انقاذ أحيائه.  
ولكنها خافت أن لا تم نبوته فلا يأتي المؤامر في الاجل الميعن فيقتل  
عبد الله . على انها كانت اذا تصورت صدق نبوته ونجاته من القتل يخفق  
قلبا لا اضطرارها عند ذلك الى القبول بعبد الله زوجاً لها وهي تحب سعيداً  
فهاجت أشجانها وارتبكت في أمرها وجمعت تبحث عن طريقة تنجو بها من  
هذا التردد فلم تر خيراً من الصبر لما يأتي به القدر

## الفصل الثامن والسبعون

### نجاة عمرو

أما عبد الله فكان قد جنح الى هذه الحيلة أملاً بالحياة وهو مع ذلك  
يخاف أن يتأخر المؤامر عن الوقت الميعن لسبب من الاسباب فيذهب  
سعيه عبثاً

وظل عمرو أياماً لا يخرج للصلاة فلما كان فجر ١٧ رمضان شكاً من  
بطنه فلم يخرج وانفق خروج خارجه بن أبي حبيبة صاحب شرطته للصلاة  
وهو لا يعلم بنجر المؤامرة ولا أمره عمرو بالخروج ولو علم بخروجه لمتعه  
على انه لم يكن يحسب المؤامر يأتي لقتله في الفجر وهو يصلي بل كان  
يحسب انه يراقب خروجه في أثناء النهار الى بعض الاماكن . ولكن منية  
خارجه عاجته فخرج في فجر ذلك اليوم الى الجامع ليصلي في الناس ولم  
يكذب يدأ بها حتى هم به رجل من الوقوف وهو يحسبه عمراً فضره بالسيف

فقتله (١) فقبضوا عليه وساقوه الى عمرو . فلما رآه عمرو بنت وصاح به  
« ويلك قد قتلت صاحب شرطتي قتلت خارجة بن ابي حبيبة » فاجابه الرجل  
بقاب لا يهاب الموت « والله اني كنت احسبه أنت »  
فقال له عمرو « أردتني وأراد الله خارجة . من أنت يا غادر ؟ »  
قال « اني عمرو بن بكر »  
قال « ومن أنت ؟ »  
قال « من تميم »

فقال « اقتلوه » فقتلوه وقد أسفوا لمقتل خارجة ولكن المقدر كائن

لا يمحي

أما خولة فانها باتت ليلة ١٧ رمضان على مثل الجمر وهي تتوقع أن تسمع  
خبراً جديداً في اليوم التالي ولم تكن تتوقع ان يفعل المؤامر فعلته في الفجر  
فأصبحت وقد ضجت الفسطاط بنجر خارجة وجاءها ابوها فأخبرها به ولسان  
حاله يقول « لقد صحت أقوال عبد الله فتأهبي للاقتران به »

اما هي فانها تحققت وقوع المحذور ولم تعد تدري ماذا تفعل وندمت  
لانها لم تخرج من بيت والدها سراً قبل ذلك اليوم على انها لم تكن من  
الجهة الاخرى موقنة ببقاء سعيد على عهدا أو انه رضى بها وكانت لما  
لقيته في الفسطاط لم تتحقق ميله نحوها . فوقعت في حيرة ولكنها كانت  
من الجهة الاخرى في قلق على الامام على لا تدري هل نجا كما نجا عمرو  
أم ذهب فريسة ابن ملجم وودت لو ان عبدها يعود في ذلك اليوم بالخبر  
اليقين لتعلم كيف تتصرف

## الفصل التاسع والسبعون

### ضباع قطام

فلتعد الى سعيد وبلال في الكوفة فقد تركنا بلالا يتأهب للقدوم على القسطنطين وسعيداً يفكر في ماذا يفعل بعده وكان قد أمره بالذهاب الى القسطنطين على ان يتي هو هناك حتى يعود اليه بالخبر عن عمرو . ثم رأى أن المسافة بعيدة ربما لا يصبر عليها . فقال له « لقد أمرتك بالرجوع الى القسطنطين واسكنني أرى الاجل بعيداً فاني شاخص الى دمشق فاذا سرت الى القسطنطين واطلعت على ماجريات الاحوال واقني الى دمشق فاني اكون هناك في انتظارك في المسجد بعد عشرين يوماً سواء تمكنت من الفتك بقطام الحاتنة أم لا واسكنني أكون قد اطلعت على مصير معاوية »

فودعه بلال ومضى وصبر هو الى الغد فخرج الى الكوفة يلتمس بيت قطام فرآه مقفراً ليس فيه أحد فوقف عند باب الحديقة وجعل يتأمل بنخلاتها وطرقاتها وتفكر في ما مر له هناك من الاحوال وما طلى عليه من خيانة قطام غير مرة فشعر بضعفه وتذكر آخر مرة زارها بها في ذلك المنزل ومعه ابن عمه عد الله فأسف لفقده وازداد به الميل للانتقام من قطام . ففكر في أمرها وفي المسكن الذي عساها ان تكون قد انصرفت اليه فخطر له ان تكون قد سارت الى أهلها في جوار الكوفة فخرج للبحث عنها فلم يقف لها على خبر قل البحث وخاف أن يفقضي الاجل الذي ضربه لبلال فيعود اليه في دمشق ولا يجده فخطر له ان قطام ربما سارت الى دمشق فاتجىء الى معاوية بعد ان نجحت في قتل مناظره علي فسار يلتمس دمشق على ناقة تسابق الرياح

أما قطام فكانت في الليلة التي وصل بها سعيد الى الكوفة قد علمت بقدومه من ربحان إذعاد اليها بما دار بينه وبين بلال عبد خولة وحكي لها ما فضحه بلال من امره وكيف كان ذلك سبباً في انكشاف امره لدى

سعيد فلم يعد يصدقه ويذهب معه الى منزلها فحنقت على بلال وعلى سيدته ومازج ذلك الخنق غيرة من خولة . لان قطام البعينة مع كرهها لسعيد لم تكن تصبر على من يحبه وخصوصاً لما علمت أن خولة كانت عوناً على عرقلة مساعيها في قتل الامام على فأضمرت لها السوء ولكنها شغلت عنها تلك الالية بما كانت فيه من انتظار الفتك بعلي وكان ابن ملجم باثناً عندها . فلما كان الفجر خرجت هي وعجوزها وعبدها وضربت قبتها في المسجد كما تقدم وفي ذلك من الجرأة والوقاحة ما فيه ولم تكن تخاف انكشاف حياتها ولو توعد سعيد أن يكشفيها لما دبرته من الحيلة في اىصال الصك بعد تحويره الى قبر حاجب الامام علي مع لبابة المحتاله كما علمت

## الفصل الثامنون

### نجاة معاوية

فلما قتل الامام علي على ما تقدم ورأت ابن ملجم مقبوضاً عليه وكانت تتوقع له ذلك من ذي قبل فرت بعبدتها وعجوزها الى مكان خارج الكوفة وقد شفت غليلها بقتل الامام . ولكنها ما زالت نائمة على سعيد وزادت نغمتها عليه بعد ما علمته من أمر خولة فموتت على اللاحاق بالفسطاط لنشي بها الى عمرو بن العاص لاعتقادها أنه يقدر خدمتها له حق قدرها لانها أنبأته بمجتمع العلويين . وهي لا تشك انها بمجرد وشايتها على خولة وانها من انصار على يقتلها عمرو اذا كان لا يزال حياً . واذا كان قد قتل فتدبر حيلة اخرى . فلما خطر لها ذلك استشارت لبابة سرأ فاستحسنات رأيها وحرضتها على المسير الى الفسطاط واستشارت رجحان فقال لها اني في ركابك رحلت أو أقيمت فأثنت على غيرته بالفاظ ملؤها التلميح والرياء وأصبحت في اليوم التالي تلتمس الفسطاط على أن يمر بدمشق وتستطلع حال معاوية وما كان من امره بعد ١٧ رمضان حتى اذا كان قد نفذ السهم وقتل معاوية تحمل ذلك الخبر الى عمرو وتحرضه على التماس السلطان لنفسه .

فلما وصلت دمشق سمعت ان المؤامر على قتل معاوية واسمه البرك بن عبد الله التميمي الصرمي فعد لمعاوية في فجر ١٧ رمضان في مسجد دمشق . فلما خرج معاوية للصلاة شد عليه بالسيف فوقع السيف في يته<sup>(١)</sup> فسبق البرك الى معاوية « فقال لمعاوية ان عندي خبراً أسرك به فان اخبرتك فنافى ذلك »

فقال له معاوية « نعم »

قال « ان أخاً لي قد قتل علياً هذه الليلة »

فقال « قلعه لم يقدر على ذلك »

قال « بلى ان علياً ليس معه أحد يجرسه »

فأمر به معاوية فقتل وجعل يطب جرحه

فلما علمت قطام بنجاة معاوية لم يبق لديها الا الشيوخ الى الفسطاط

للايقاع بخولة

## الفصل الحادي والثمانون

عبد الله في دار الامير

أما عبد الله فانه مكث في محبسه وقلبه واجف مما قد يطرأ من تغيير خطة المؤامر . وقد خطر له الاحتياط من ذلك فلما باح لعمر و بالسر اشترط عليه ألا يطلع أحداً عليه لانه اذا شاع وعلم المؤامر به ربما غير خطته فيقدم للمعاد أو يؤخره فيظهر ذلك من عبد الله مظهر الكذب . وهذا الذي دعا عمرأ لكتبان أمر المؤامرة عن كل واحد حتى عن صاحب شرطته . وأما والد خولة فقد كان من أكثر الناس تقرباً من عمرو وأعظمهم غيرة عليه فكان عمرو يساره في مثل هذه الشؤون ولولا رغبته في معانفته على خيانة صهره ابن ملجم ما كشف له الامر

فلما كان ليل ١٧ رمضان أخذ القلق من عبد الله مأخذاً عظيماً لعلمه انه

ليشذ بين الحياة والموت . فأصبح ذلك اليوم وهو لا يزال محبوساً لا نافذة في محبسه يطل منها أو يسمع ما يجري على أنه سمع لفظاً لم يفهم منه شيئاً صريخاً فتربص حتى جاءه الحفير بالطعام على جاري العادة فاستفهمه فظاناً به باختصار فسر وابت إلى مساء ذلك اليوم

وبعد العشاء جاء بعض رجال عمرو إلى محبس عبد الله فتحه ودخل عليه فحل قيوده ودعا إلى الأمير فثنى في أثره وقد انبسط وجهه لما كان من نجاته بعد أن كان في عداد الاموات . فقاده الرجل إلى قاعة في صدرها عمرو بن العاص على وسادة وفي يده درة ( سوط ) يلاعبها بين أصابعه وليس في القاعة أحد سواه . فلما أشرف عبد الله على القاعة نزع حذاءه في الخارج ودخل تواً إلى مجلس الأمير وهم بتقبيل يده باحترام فامسكه ابن العاص يمينه واجاسه إلى جانبه وهو يقول بصوت منخفض « لقد كانت نجاتنا على يدك فوجبت علينا كرامتك ولكن الاسف ان صاحب شمرطنا وقع في الشرك الذي كان منصوباً لنا ولو علمنا الساعة أو المكان المعينين لتلك القيلة الشعاء لاستطعنا تداركها أو لو اطلعت خارجه على مر الامر فربما كان نجا بنفسه ولكنني لا أظنه كان يستطيع ذلك وهو لا يعلم الزمان والمكان المعينين »

فقال عبد الله « اعلم يا مولاي ان كتمان هذا الامر يتوقف عليه حياتي إذ لو شاع خبر اطلاقك على هذا السر لغير المؤامر خطته فربما أخرج موعده اسبوعاً أو شهراً فكنت أنا المقتول بدل من خارجه لانك تسيء الظن بي فتقتاني . ومع ذلك فهو القضاء يجري إلى حيث لا نعلم »  
ولم يتم كلامه حتى دخل بعض الخدم يقول « ان في الباب أبا خولة »

فقال عمرو « ادخلوه »

فرجع الخادم ودخل أبو خولة وهو صاحبنا واند خولة ولم يكن هو من مصاف الامراء ولا من القواد الانداد حتى تكون له تلك المنزلة عند عمرو ولكنه نال تلك الحظوة خصوصاً بعد ان اطلع عمرأ على عزم ابن

ملجهم على قتل علي . ثم ما زان يتردد على دار عمرو ويبيدك ما في وسعه  
لخدمته فعدّه عمرو من أصحابه

فلما دخل أبو خولة القاعة حيا وقبل ان يجلس قال له عمرو « اغلق  
الباب ومر الخدم اتنا لا نريد أحداً يدخل علينا » . ففعل ودخل . فدعاه  
عمرو الى جانبه وعرفه بعبد الله فاحجب أبو خولة بعبد الله لانه كان شاباً  
جميلاً مع نباهة وذكاء وسر لما دبره عمرو من مصاهرته له . وأما عبد لله  
فكان لا يزال خالي الدهن من ذلك

فلما جلس الثلاثة التفت عمرو الى عبد الله وقال له « لقد عرفتك  
بصاحبنا ابي خولة ولم أتم لك المعرفة فازيدك علماً انه من أعزُّ صدقائي وقد  
كتمت امر المؤامرة عن كل أحد سواه ولسكني اشترطت عليه شرطاً أظنه  
يعود عليك بالمنفعة وقد فعلته مكافأة لك على خدمتك لي »  
فوقف عبد الله متأدباً وقال « يا أذن لي مولاي بكلمة »  
قال « قل »

قال « لا ارجو ان تحسب لي فضلاً بما بحت لك به فاني والحق يقال  
انما فعلته استيقاء لحياتي فلا تظني أغش نفسي »

## الفصل الثاني والثمانون

### عبد الله وخولة

فأعجب عمرو ومجربة ضمير عبد الله وقال له « لم زدني بهذا الشرُّ الا  
رغبة في مكافأتك ان ابن العاص لا يجهد قدر الرجال ولا هو ساذج لا يفهم  
انك لو لم تقع بين يديه وتشعر بقرب الاجل ولا ترى لك مخرجاً بغير هذا  
الافشاء لما فعلته . ولسكني مع ذلك أشعر بجميل لك على فأريد مكافأتك  
عليه وخصوصاً بعد ان رأيت من صدق لهجتك ما أكد لي انك لو كنت  
من أنصارنا لكان لنا بك نعم النصير وأنت على ما بلغني أموي فليس تشيعك  
للامويين معتمولا . . » قال ذلك وفي صوته غنة استفهام كأنه يستفهم عن سبب

تشيعة فسكت عبد الله . ففهم عمرو انه يريد الكتمان فغير الحديث وقال له  
 « ولكنك لم تسألني عن المكافأة التي اعددتها لك »  
 قال « قلت لك اني لا استحق مكافأة فمهما اكرمتني به كان فوق  
 ما استحق »

قال عمرو « هل انت متزوج »

قال « كلا يا مولاي »

قال « اعلم يا عبد الله ان في الفسطاط فتاة يتحدث بجمالها وتعقلها أهل  
 هذه المدينة هي ابنة صاحبي هذا ( وأشار الى والد خولة ) ولا أخفى عنك  
 انها كانت مخطوبة لعبد الرحمن بن ملجم وهو أحد المؤامرين على قتل عمرو  
 وعلي ولا ندري ما كان من أمره اليوم فانه موعده القتل . . . »  
 ولما قال عمرو ذلك تذكر عبد الله ما كان قادماً من أجداه مع سعيد  
 وكيف فشلت مهمتهما فاحس كأنك تصب ماءً غالياً على ظهره ولكنه تجدد  
 وصبر نفسه الى آخر الحديث

فاتم عمرو كلامه قائلاً « ان خولة هذه كانت مخطوبة لابن ملجم على ان  
 يقترب بها بعد عودته من الكوفة ولا ريب ان ذلك الحائن كان عالماً بتواطؤ  
 عمرو بن بكر على قتلي فكتم ذلك في قلبه وسار ولم يطلعني على شيء منه  
 فاعتبرته شريكاً في قتلي فحرمته من خولة ولي دالة على والدها لانها بمنزلة  
 ابنتي وقد طلبت منه أن تكون لك عروساً ومتى رأيتها تتحقق اننا قد  
 أزوجناك زهرة الفسطاط وخيرة بناتها . ثم التفت عمرو الى أبي خولة  
 وقال « ولا نظننا فرطنا بخولة فان هذا الشاب من سلالة الامراء ويكفي  
 انه أموي وبينه وبين الخليفة معاوية نسب قريب . أما ابن ملجم الحائن اذا  
 عاد الينا فلا أبقاني الله ان ابقيته حياً . ولكنني لا أظنه الا مقتولاً في دار  
 ابن أبي طالب فاز في مهمته او لم يفز » قال ذلك والغضب باد على وجهه  
 ففرح عبد الله بما ناله من الحظوة في عيني عمرو وارتاح بما بلغه عن  
 خولة ولكنه ما زال منشغل الخاطر على ابن عمه سعيد وما كان من أمره  
 بعد ان فارقه في مسجد الفسطاط يوم اجتماع عين شمس . وحدثته نفسه

أن يسأل عمرأ عنه مخافة أن يكون وقع في أيدي رجاله ولكنه لبث ساكماً يتردد وقد نسي اقتراح عمرو . فظنه عمرو غير راض به فقال « ما بالك لم تجب أهلك لم ترض خولة والله انى أرضاها لا عز أبنائى »

فابتدره عبد الله قائلاً « عفوك يا مولانا كيف لا ارضى بما رضيته انت لي وما سكوتى الا لاني اعتبرت اقتراح الامير امرأ نافذاً لاخيرة لي فيه فماذا أجيب . أما اذا تعطفت في سؤالى فاني راض ولاكنني ارجوان تكون هي راضية بهذا الرجل الغريب »

فقال أبو خولة « ان خولة جاربه بين يدي مولانا الامير وما يرضاه لها لا مندوحة لها عنه وأنا وهي طوع ارادته »

## الفصل الثالث والثمانون

### تممة الحديث

واستولي السكون على تلك الجلسة لحظة ثم انفت عمرو الى عبد الله فقال « وقد كنت اظنكما اثنين جئنا معاً الى الفسطاط ولاكنني لم أرسواك » ولم يتم عمرو كلامه حتى علت البغته على وجه عبد الله ونظر الى عمرو قائلاً « وهذا هو الامر الذي شغل بالي في أثناء حديث مولاي . ان رفيقي هو ابن عمي بل هو أخي وقد كلفت برعايته جئنا معاً الى هذه المدينة ولاكنني بعمت عين شمس وحدي وتركته في المسجد على ان استطلع المكان وأعود اليه فقبضوا علي ولم اعد اعرف شيئاً عنه الى الآن فهل عثر احد من الشرطة عليه فقتلوه »

قال عمرو « لم اسمع عنه شيئاً ولا اخبرني أحد بخبره والظاهر انه نجى بنفسه لما سمع بما وقع لكم في ذلك الاجتماع »

فاطمأن بال عبد الله على سعيد ولكنه ظل مشتاقاً لاستطلاع حقيقة حاله . فود لو انه يسير حالاً الى الكوفة فيستطلع كل شىء ويتحقق ما وقع للامام علي ولكنه خجل من ابداء رأيه وهو في مجلس عمرو فكيف

يتظاهر برغبته في شؤون علي مع علمه بما بينهما من المسافة فرأى ان يجعل السبب في اسرعه البحث عن ابن عمه فقال « لقد أوضحت لمولاي ما أنا فيه من انشغال البال على ابن عمي هذا فهل يأذن لي الامير بالانصراف الى الكوفة استطاع حاله ثم أعود وأكون في خدمتك الى الممات فقد أوليتني جميلاً لا أنساء لك »

قال عمرو « ويكون ذلك بعد كتابة الكتاب. فاذا عقدنا لك على خولة وصرت من أصحابنا سر الى حيث شئت »

وكان عمرو لفرط دهائه وحسن سياسته قد أدرك ان رجلاً حراً صادقاً مثل عبد الله لا يفرط فيه . لانه اذا اخاص الخدمة كان نفعه عظيماً . فلم ير لتقييد قلبه خيراً من أن يبادئه بالجميل وان يزوجه بنت صاحبه وهو يحسب خولة على دعوته فاذا كانت هي زوجته حببت اليه الرجوع الى حزب الامويين . ولا سيما وهو لا يعلم بمد هل ينجح ابن ملجم بمهمته في الكوفة أم لا . فلما اقترح على عبد الله كتابة الكتاب قبل السفر قبل عبد الله واطاع فضرب عمرو أجلاً لذلك أسبوعاً وقال « فقيم عندنا في أثناء ذلك ضيفاً كريماً فاذا ان الزمن عقدنا لك على خولة ثم تصرف للبحث عن ابن عمك »

فوقف عبد الله ثم جثا بين يدي عمرو بهم بتقويل يده وقال « لقد غمرتني بفضلك فما أنا مستطيع الشكر على نعمتك » والتبس الحروج فاذن له

وخرج أيضاً أبو خولة وهو يكاد يطير فرحاً لما آانس من كرامة عمرو . وسره النصيب الجديد لابنته فسارتوا الى المنزل وكانت خولة جالسة هناك على مثل الغضي تنقادها الهواجس بعد أن تحققت نجاة عمرو وعلمت بما فرضه من زواجها بعبد الله . وهي مع جبهالة تفضل البقاء على حب سعيد وهو أول من وقع في نفسها موقع الحبيب في أحوال قضت بذلك فلما كان المساء وأبطأ والدها في الرجوع الى البيت انشغل بالها ولبثت تنظر عودته بفارغ الصبر لعلمها انه لا بد من مروره بعمرو على اثر ما كان من

مجانته في ذلك اليوم . وحسبت لابطائه الف حساب . وأشد ما خافته من ذلك الابطاء أن يكون سببه المداولة في أمرها وأمر عبدالله وهي لا تريد ذلك

## الفصل الرابع والثمانون

### البشارة الغير السارة

فلما انقضى العشاء ومضى بعده ساعتان سمعت قرع الباب وعلمت انه قرع والدها فدق قلبها دقائق متسارعة وعات وجهها صفرة الوجع فظلت مستلقية على الوسادة في غرفتها ولم تمض برهة حتى فتحت باب الدار . فتحول والدها تَوَّأ الى غرفتها فقرعها فنهضت لنتفتح له وركبتها تصططكان من الاضطراب . فلما فتحت له الباب دخل والمصباح في يده فوضعه على مسرجه وجلس اليها وعلى محياه امارات البشر والسرور وهو يحسب نفسه جاءها بشري عظيمة . فرآها مضطربة الحواس قلقة خاطر مع انها كانت تحاول التجرد ولكن الغلق والاضطراب غلبا عليها فقال لها « ما بالك يا بنية ما الذي أزعجك »

قالت « لا يزعجني شيء ولكنني قلقت لثيابك وانا وحدي في هذا البيت لا ارى فيه أحداً غير الخدم »

قال وهو يتسم « لقد دنا الوقت الذي لا تكونين فيه وحدك » فتجاهلت مراده وقالت « يظهر انك علمت بما أقاسيه من الوحدة فبولت على ان لا تتركني وحدي »

فضحك لسذاجتها وقال لها « ليس هذا قصدي يا خولتي ولكنني أذكرك باقتراح الامير الذي اطلعتك عليه منذ بضعة ايام فإنه قد تم اليوم بعد ان صدق قول عبد الله الاموي فجمعني عمرو به اللبلة في داره فرأيتنه شاباً جميلاً عليه مهابة الامراء وقد زين الشجاعة والانفة تنجايان في وجهه ويكفي ان عمراً سحر به وبالنح في اطرائه أمامي . فهذا هو خطيبك ومتى كتب الكتاب طبعاً لا تكونين وحدك »

ولم يتم كلامه حتى صبغ وجهها احمرار الخجل وظلت صامته ثم اخذ  
المرق ينسكب عن جبينها كاللؤلؤ المنثور وهي مطرقة لا تفوه بكلمة  
ولم يكن سبب اضطرابها مجرد الخجل كما ظن والدها ولكنها اصبحت  
آلة تتقاذفها الهواجس حائرة بين أن تطيع عواطفها - او تطيع والدها  
واميرها . ولو انها لم تبعث الى سعيد بنجر حبها له مع بلال لكانت المعضلة  
أقرب الى الحل واذا رفضت عبد الله رفضاً باتاً تفضب عمراً ووالدها . وهي  
مع ذلك لا تدري مصير سعيد ولا ما آلت اليه مهمته بعد خروجه من  
القساط مع بلال ولم تر - حلاً غير الاضطراب فصبرت حتى يعيد والدها  
السؤال فتستمهاه

أما هو فلما آنس فيها ذلك الاضطراب حمه يحمل الخجل وهو عادي  
في الفتيات في مثل هذه الحال . فوضع يده على شعرها المسدول على كتفها  
وقال لها « لا تخجلي يا بنية ان والدك يخاطبك وليس أحد سواء وقد تم  
الامر على يد الامير وهو شرف كبير لنا كما تعلمين »  
فاجابت وهي لا تزال تنظر الى الارض وقالت « وهل ضرب لذلك  
أجلاً »

قال « لقد ضرب أجلاً لذلك أسبوعاً »

قالت « فليكن ثلاثة اسابيع على ما أرى »

قال « ما الداعي الى هذا التأجيل فاني أخاف أن يفضب عمرو .  
فاطبعيني وأنا حامل تبعة ذلك . فان عبد الله شاب ينذر مثاله وأنا أفتخر  
بصاهرته وليس هناك محل للاعتراض » قال ذلك وفي كلامه نعمة الجفاء  
على عاداته معها اذا اراد الاصرار على أمر . فخافت اذا جادته ان لا تحسن  
العقبى فسكتت ثانية وأظهرت الارتياح . فلما رآها كذلك قال لها « بورك  
فيك يا بنية وبعد اسبوع تكون كتابة الكتاب وتم معدات الزواج »  
فظلت ساكنة وقد عولت على اتخاذ وسيلة أخرى للتأجيل

## الفصل الخامس والثمانون

### الخطبة الجديدة

أما عبد الله فإنه خرج من محبسه يلتمس مكاناً يقيم فيه ولم يكذب يخرج من دار الأمير حتى أدركه بعض رجال عمرو وناداه فعاد . فقال له « والى أين »

قال « أني ألتمس مكاناً أقيم فيه »

قال « لقد أوصانا الأمير ان نعد لك منزلاً في داره فانك ضيف عليه فزاد عبد الله امتناناً من عمرو وفرح بتلك الدعوة لانه غريب لا يدري كيف يذهب . وتبع الرجل الذي كاهه الى غرفة فيها فراش وغطاء وبعض الآنية وسأله هل يحتاج الى طعام فاعتذر وسار تواً الى فراشه ولما خلا بنفسه جعل يفكر بنجاته وصورة ابن عمه سعيد لم ترح من مخباته طول ذلك الليل . على انه اطمان على حياته ولكنه مثل بكليته الى استطلاع خبر مهمته ليُدري ما تم للإمام علي

وكانت ذكرى خولة تعترض هواجسه وود لو يراها ليستطلع ما يكون من حظه معها ولكنه لما تذكر اطناب عمرو بها لمحقق لياقتها على انه ما زال مشتاقاً لرؤيتها

ولما أصبح سار الى المسجد فصلى الصبح وهو يتوقع أن يرى والد خولة لعله يدعوهُ الى منزله فيتخذ ذلك وسيلة لرؤية خولة ولو خلسة . وكان والد خولة قد مر بالجامع في ذلك الصباح عمداً لهذه الغاية فلقبه فسلم عليه ودعاه للمشاء فقال له « أني في ضيافة الأمير ولا يليق بي قبول الدعوة الا بعد استئذانه »

فقال « أنا استأذنه عنك »

قال « حسناً » وافترقا . فمشى عبد الله في شوارع الفسطاط واسواقها فر بيت خولة وهو لا يعرفه . وكانت خولة قد أصبحت في ذلك اليوم

وهي لا تزال قلقة البال فخرجت تمشي في الدار فوق نظرها على عبد الله وهو مار ولم تكن رآته بل ذلك الحين ولكنها استتجت من لباسه وقيافته مع مشابهته سعيداً أنه هو عبد الله خطيبها فاختلف قلبها في صدرها ونفرت لأول وهلة ولكنها أرادت أن تتبين حاله فتفرست فيه وهو ماش فرأته معتدل القوام رشيق الحركة فارتاحت لرؤيته وسرت به لمشابهته بسعيد ولكنها ما لبثت أن نفرت منه لما تذكرت أنه سيحرمها من حبيبها وما زالت تتبعه بنظرها حتى توارى ولم ينتبه

## الفصل السادس والثمانون

### الزيارة الأولى

عادت خولة الى غرفتها وهي منقبضة النفس وقضت نهارها لم تذوق طعاماً ولما كان الغروب آن زمن رجوع والدها من شغله وكان الخدم قد أعدوا المائدة له واضيفه وخولة لا تدري . وما عم أن دخل الدار وتنحج على جاري عادته كأنه ينبه أهل المنزل الى مجيئه . فتظاهرت خولة بارتياحها لاقدمومه ولكنها عوات على التمارض على انها ما لبثت أن رأت مع والدها شاباً عرفت انه عبد الله فخفق قلبها وغلب عليها الاضطراب وتوارت في غرفتها وقد بردت اطرافها

وأما والدها فإنه ذهب بضيفه الى غرفة الضيوف فتركه هناك وجاء الى خولة فرآها مستلقية على الفراش وقد امتقع لونها فتحفظت للهوض وهي تتظاهر بالضعف . فقال « ما بالك يا خولة »

قالت « لا بأس علي غير أني أشعر بأحطاط وانحراف لا أدري سببهما فدنا منها وهمس في أذنها قائلاً « ليس نمة داع الى الأحطاط وقد جاءنا ضيف عزيز »

قالت وهي تتجاهل « مالي ولاضيوف اني لا أستطيع الهوض ولا يطالب مني ملاقاته الضيوف »

قال « اتنا لا نكلفك ملاقاتهم ولكن هذا الضيف أصبح من أقربائنا ولا بأس من ملاقاته عملاً بأمر الأمير عمرو بن العاص »  
 فقالت « ولكنني منحطة القوى . دعني أنام الآن وسألاقيه في فرصة أخرى وأنا صحيحة ان شاء الله »

قال « ولكنني كنت أظنك أكثر رغبة مني في رؤيته بعد أن قصصت عليك أمر خطبته لك . أيليق بنا بعد هذه الخطبة أن نظهر له هذا الجفاء »  
 فتحيرت خولة ولم تدر بماذا تجيبه وهي تخاف غضبه لما تعلمه من سوء خلقه وسرعة حمقه فظلت صامتة

فأمسكها بيدها وأنهضها فوقفت بالرغم عنها وسارت في أثره وهي مطرقة فلما وصلا الى باب الغرفة وقف بها وقال لها « ضعي خمارك على رأسك وانزعي هذا الذبول واستقبلي الرجل بما يليق بأمثالك لئلا يبلغ عمراً عنا ما يدل على مخالفة رأيه فتقع تحت طائلة غضبه »

فأرأت خولة من الحكمة أن تتجلد وتتصبر لئلا يحمق والدها فيسمعها ما يكدرها فخفت الى خمارها فوضعتها على رأسها وأصلحت ثيابها بما يليق ان تقابل به الضيوف وخرجت في أثر والدها حتى دخلا على عبد الله

## الفصل السابع والثمانون

### الزفاف الكاذب

وكان عبد الله قد لحظ من ابطاء أبي خولة في غرفتها انه يستدعيها فأصبح مشتاقاً الى رؤيتها وهو لا يطمع أن يرى وجهها دفعة واحدة لما كان يتوقعه من حياثها ولكنه قنع بأن يرى قامتها ويحمل حالها . فلما أشرفت على الغرفة وتبين جمالها واعتدل قوامها انفتح قلبه لها وحمد الله لتوقفه الى مناهها بعد نجاحه من الموت . فدخات وحاح بما يجدر بمنها في مثل هذا المقام وجلست على وسادة بجانب والدها . وكان عبد الله يسارق الملاحظ اليها فلا يزداد الا اعجاباً ولم تمض تلك الليلة حتى علق بها ووقعت

من نفسه موقفاً سامياً لما آانس من جماها مع ما بدا له من ذكائها وتعقلها في اثناء الحديث مما يندر مثاله في امثالها من ربات الحدور . فخرج بعد العشاء وقلبه منشغل بخولة وقد ندم لتأجيل الاقتران

قضى عبد الله في مثل ذلك بقية الاسبوع وهو يتردد على بيت خولة ويزداد تعلقاً بها . ولم يصدق ان آن يوم الزفاف . فدعا عمر و اليه وقال « أريد أن أعقد لك عليها في داري وتقيمان عندنا حتى يترأى لكما مفارقتنا » فعل عمر و ذلك التماساً لما عزم عليه من استجلاب عبد الله الى جانبه . فسر عبد الله بذلك وأثنى على الامير ولما كان الوقت المعين زفت خولة الى عبد الله وكتب كتابها عليه على جاري العادة يومئذ وعبد الله اكثر الناس سروراً بهذا النصيب ولولا ما يجول في خاطره من سعيد وغيابه مع قاقه على حال الامام على لعد نفسه من أسعد خلق الله لانه آانس في خولة ما طالما تاقت اليه نفسه في النساء من التعقل والرزانة مع الجمال والذكاء ولما فرغوا من العرس وارضض الاجماع ادخلوا العروسين الى غرفة خاصة بهما

## الفصل الثامن والثمانون

### كشف النقاب

فلما خلا عبد الله بخولة تقدم لنزع الغطاء عن وجهها فامسك النقاب ورفعه فاذا بها قد أعادته الى ما كان عليه فظنها تداعبه على سبيل المزاح فضحك وقال لها « يظهر انك لا تحبين عبد الله »  
قالت وهي مطرقة « يعلم الله اني لا أكرهه »  
فمد يده الى النقاب ثانية وحاول رفعه فمنعته . فاشتبه في أمرها فامسك يدها وهاى بلهجة الجذ ونعمة المحب العاتب « ما بال خولة تمنعنا مما أحبه لنا الشرع ودعانا اليه القلب »  
وكانت خولة واقفة بجانب الفراش فابتعدت عنه وأسندت ظهرها الى

الحائظ وهي تبائع في ارسال النقاب وظلت مطرمة ولم تبد جواباً  
 فاستغرب عبد الله سكوتها وتمنعها على هذه الصورة وظن في الامر  
 خديعة فأظهر الجذ وتبعها وهو لا يزال قابضاً على يدها حتى وقف بجانبها  
 وقال لها « ما الذي أراه يا خولة ؟ ما الذي تحدثك به نفسك ؟ ان كنت  
 إنما تفعلين ذلك لجرد الحياء فهو غلو لا محل له وقد عقد كتابنا بحضور أمير  
 مصر ونجبة الاعيان والامراء . وان كنت رضية بي مكرهة وأنت تحيين  
 سواي قولى »

فلما قال ذلك رفعت رأسها اليه وجذبت يدها من يده بلطف وقالت  
 « نعم اني أحب سواك ولكنني قات لك اني لا أكرهك بل احبك محبة  
 الاخ لا محبة الزوج »

فبغت عبد الله وعلته الدهشة وكاد الغضب يغلب عليه لو لم يصبر نفسه  
 ريثما ينكشف له سبب تمنعها . فنظر اليها نظر العاضب وقال « لقد رأيت  
 منك العجب وأعجب ما أراه احتقارك اياي بما لم أكن أتوقمه منك بعد  
 أن كتب الكتاب . هلا كشفت لي عن سبب ذلك ؟ »

قالت وقد أمسكت النقاب وأزاحتها عن وجهها « اني لا أعبر هذا  
 الحجاب واجباً بيني وبينك ولا أنا خائفة من اطلاعك على ما في ضميري  
 ولكنني أسألك سؤالاً اذا اجبتني عليه بحت لك بسر الامر »  
 فقال بكلية اليها وقد اعجبته جسارتها وحريرتها ولم يزد ككشف النقاب  
 الا احتراماً لها فقال « اسألي فاني مجيبك »

قالت « كيف رضية بعقد قرانك وابن عمك غائب »

فقال « وأي ابن عم تعين »

قالت « اعني ابن عمك سعيداً الذي جئت معه الى الفسطاط ألا همك

أن تعرف ما آلت اليه حاله »

## الفصل التاسع والثمانون

### استطلاع السر

فاستغرب ذلك منها ولم يكن يعلم اطلاعها على شيء من ذلك فقال « من أين لك أن تعرفي ابن عمي وما جئت من اجابه الفسطاط »  
 فنهدت وقالت « عرفته بقدر من الله واني اعجب من نسيانك تلك المهمة التي جئت من اجلها . هل تظن الامام عالياً نجاً من القتل ؟ »  
 فازداد عبد الله استغراباً ونسي ما كان يعد به نفسه من قربها وهاجرت به اشجانه وتذكر ابن عمه فقال « لقد اذهاتني يا خولة بما سمعته منك فانصحي عما في ضميرك واخبريني كيف عرفت ابن عمي وما العلاقة بينه وبين تمنعك الليلة »  
 قالت « اتعدني بالكتمان وحفظ الذمام »  
 قال « نعم أعدك وعداً صادقاً فانصحي إذ لم يبق لي صبر على هذه الرووز »

فنهدت وعات وجهها حمرة الحجل وهمت بالكلام فارتج عليها وعبد الله يتأمل ملاحظها ويراقب ما يبدو منها وظل صامتاً فلم يسمع منها شيئاً . فقال لها « بالله لا تطيلي السكوت فقد نفذ صبري قولي ما بدا لك فرجي كرتي »  
 قالت « أتوا ، ولا اخشى لوماً اني احببت سعيداً قبل أن أراك وهو أحبني على ما أظن وحبنا مؤسس على اشتراكنا في الاستهلاك بسبيل الامام علي . وقد سار سعيد عند الليلة التي اغرق بها عمر اصحاب عين شمس وهو يظنك في حجة الغرق . ولا أظنه اذا عرف بقاءك حياً الا طائراً من أفرح » وقصت عليه حديثها مع سعيد من أوله الى آخره

ولم تكذ خولة تم حديثها حتى استوات الدهشة على عبد الله وخيل له انه في منام وما تحقق ان خولة تحب سعيداً وقد آنس منها ذلك الثبات في حبه أحسن لساعته انه لم يبق له حق في زواجها وازدادت هي رفعة في عينيه

فقال لها « اعلمي يا خولة اني من هذه الساعة اعدك أختاً لي واني مساعد لك على اقترانك من سعيد فانه بمنزلة أخي . وقد اوصيت بكفاله وصية مقدسة وقد احسنت بما بسطته من حقيقة حالك وعليه فاني مسافر في الغد الى الكوفة لابحث عنه واستطلع ما تم للإمام علي مع ذلك الفادر »

## الفصل التسعون

### الوفاق التام

فابتدته خوله قائلة « لا تعجل يا عبد الله ان ذهابك ذاهب عبثاً لانا لا نلبث بعد قليل أن نسمع الخبر من عبيد بلال الذي رافق سعيداً الى الكوفة فقد اوصيته بالعودة حالا وأظنه يصل الينا بعد ايام . وأما الآن فاكم ما دار بيننا واجعل انك زوجي ريثما نرى ما يكون »

فالتفت عبد الله اليها وقد ازداد اعجاباً بحميتها وثبات جأشها وقال « اني اهنيء اخي سعيداً بهذا النصيب وأرجو ان يكون قد نجا من مكاييد أولاد الحرام » أراد بذلك قطام فانه ما زال يسيء الظن بها وقد ادرك انها هي التي وشت بهما الى عمرو بن العاص

فقالت « اني اتوقع رجوع بلال لاسمع منه ما آلت اليه حال الامام علي ومعاوية هل نجا احد منهما . اما عمرو فقد نجا والفضل في ذلك راجع اليك ... »

فقال « ولكنك تعلمين اني انما بحث بذلك لعمرو التماساً للبقاء ولم اذكر له المؤامرة على قتل معاوية لئلا يبعث اليه بمن يحذره فينجو » قالت « اني لم ألمك قط ولكن هذه ارادة المولى . فالآن لا بد من التربص فامض الى فراشك واني متوسدة هذا البساط »

قال « لا والله انك لا تبيئين الا على الفراش وانا اولي بهذا البساط » وابتوا تلك الليلة وقد سرت خولة بنجاتها مما كانت تخافه . وأما عبد الله

فانه بات معجباً بنخوة كل الاعجاب وقد أسف لخروجها من قبضته بعد أن عرف فيها هذه الحصال . ولكنه لم يأسف لانها ستكون نصيب أخيه وقضيا تلك الليلة بأمثال هذه الهواجس ولم ينأما الا قليلا وأصبحا في اليوم التالي والناس لا يعلمون الا انهما زوج وزوجة وظلا مقيمين في دار الامير حتى قدرت خولة دنو الوقت الذي كانت تتوقع رجوع بلال فيه فالتفت المضي الى بيت والدها مخافة أن يأتي بلال في أثناء غيابها فيطرده والدها أو يهدده ولا يراها هناك فيعود من حيث أتى فوافقها عبد الله واستأذنا عمراً في الذهاب الى هناك فاذن لها فاستقباهما والدها بالترحاب

## الفصل الحادى والتسعون

### قدوم بلال

ولم يمض يومان على مكثهما في بيت خولة حتى قدم بلال وكان وصوله الفسطاط في أثناء النهار ووالد خولة في حانوته ودخل بلال الفسطاط متكرراً فمر بحانوت سيده ونظر اليه خلسة فاذا هو هناك فهروا الى البيت ودخلوا الى غرفة سيدته بلا استئذان فوجد عندها شاباً لا يعرفه ورآها بجانبه كأنها جالسة الى شقيق أو قرين . فبغت لذلك ولكنه اشتغل بما آتته من ترحابها به فقالت له « اغلق الباب وادخل » ففعل ودنا منها وهو ينظر الى عبد الله شزراً . فادركت خولة ما يجول في خاطره فقالت له لا تسيء الظن ان هذا أخي بمهد الله فاقصص علينا خبرك سريعاً وقل لنا أول كل شيء كيف فارقت الامام علياً »

فسكت ولم يجب

فألحت عليه وقد علتها البغته

فاجابها بصوت مخنق « ان علياً قد ذهب ضحية الحائن »

فصفت خولة كفاً بكف وصاحت « والهني عليك يا أبا الحسن » وقال

عبد الله مثل ذلك . ثم قالت « وما جرى لابن ملجم » قال « انه قتل  
شر قتلة لعنه الله »

فقال عبد الله « وكيف فارقت سعيداً »

قال « فارقته بخير وعافية وقد سار للبحث عن تلك الحاتمة الامينة »

قال عبد الله « أو تعني قظام »

قال « نعم وما ادراك اني أعنيها وكيف عرفتها يامولاي »

قالت خولة « ألم تعلم من هذا الشهم »

قال « كلا »

قال « ألم يذكر سعيد امامك انه فقد ابن عمه هنا »

قال « بلى »

قالت « هذا هو ابن عمه عبد الله »

فبهت بلال وغلب عليه البكاء من الفرح وصاح « انت حي يامولاي ...  
آه من لي بمن يحمل هذه البشرية لابن عمك . والله اني حاملها اليه الساعة  
بعد ان أسر الى سيدتي كلاماً أوتمنت اليه »

## الفصل الثاني والتسعون

### ابلاغ الرسالة

فالتفت اليه وقالت « قل يا بلال ليس على عبد الله سر وهو أخي كما  
قلت لك . قل كيف فارقت سعيداً »

قال « فارقته يامولائي وهو مشتاق لرؤيتك ولم يأت معي مخافة أن  
يكون أميرنا نجا من المكيدة فلا يأمن على حياته . وقد علمت وأنا مار في  
الفسطاط الساعة انه نجا وقتل غيره خطأ ولا أدري كيف حال سيدي  
والدك معك فلا آمن عليكما منه »

قالت « اعلم يا بلال ان عمراً نقم على ابن ملجم ورضي عني وهو يحبني  
حبه لا ولاده . أما سعيد فلا هو يعرفه ولا والدي رآه فاذا جاء لم يكن

عليه بأس وشأنه في الفسطاط شأن كل غريب يدخلها . فاقصص علينا خبر ابن ماجم والامام علي وكيف قتلا « وأمرته بالجلوس فجلس متأدباً وقص عليهما الخبر بتفاصيله . فلما بلغ الى حديث قطام وما أرادت من قتل سعيد هاجت في نفسها حاسة الغيرة والانتقام وقالت « قبح الله هذه المرأة اني أعرفها وأسمع بدعائها فكيف انطلت حياتها على سعيد »

فابتدرها عبد الله قائلاً « اني والله توسمت فيها الشر منذ رأيتها » وقص عليها ما كان من أمره معها . فانكشفت لها الحقيقة وشكرا الله على نجاته سعيد ولكنهما أسفا على مقتل الامام علي ثم استدركت في حديثها فقالت « وهل سمعت شيئاً عن معاوية ومقتله »

قال « لقد مررت بدمشق في طريقتي فعلمت انه نجا أيضاً . وقص عليها خبره كما سمعته فعجبت لمجاري القضاء كيف سمحت بقتل الامام علي وبقاء معاوية وعمرو

فقال عبد الله « وأين سعيد الآن »

قال « هو في انتظاري بدمشق فاذا أمرت مولاتي عدت اليه حالا وجئت بها على عجل وأرجو ان يكون قدظفر بتلك الخاتمة وانتقم منها واذا لم يظفر هو بها لست تاركها حتى انتقم منها فقد هاجت دمي بما ارتكبته من الحيانة »

قالت خولة « بورك فيك يا بلال فعليك الآن أن تستقدم سعيداً

على عجل »

فقال « وهل آتي به الى هذا البيت »

فانصبوب خولة سؤاله لان مجيئه الى بيت والدها يوجب العراقل فنظرت الى عبد الله كأنها تستفتيه في الامر فاشار اليها أنه يريد البحث في ذلك سرّاً

فالتفتت الى بلال وقالت له « اخرج الآن قبل أن يأتي والدي وهو

نائم عليك لاعتقاده انك فررت بالجمين من داره وانتظر عبد الله في المسجد الليلة وهو يذثك بما تشعاه »

## الفصل الثالث والتسعون

### العزم على الكوفة

فخرج وبقي عبد الله وخولة على انفراد فقالت خولة « وما العمل يا عبد الله أخاف اذا جاء سعيد وأردنا فسخ عقدنا أن يفتح علينا باب للأخذ والرد ونحن نود كتمان الامر فما الرأي »

قال « أن نلتبس من عمرو الخروج من الفسطاط والذهاب الى الكوفة فقد كنت التمسث منه السفر فاخترني الى ما بعد كتابة الكتاب . فهم لا يعرفون الآن الا انك امرأتى والرجل يذهب بامرأته الى حيث شاء . فاذا سرنا الى الكوفة وأوصينا بلالا أن يوافقنا بسعيد الى هناك تنازلت له عنك وعقدت له عليك ولا رقيب علينا ولا واش . واذا طاب لنا العود الى الفسطاط عدنا بعد ذلك والافاتنا بك في الكوفة الى ما شاء الله »

فصمت خولة برهة وهي تفكر في الامر فرأت رأي عبد الله مصيباً فقالت « نعم الرأي رأيك ولكنني تعودت الفسطاط وألفت الإقامة في وادي النيل ولى فيه الاهل والاصدقاء فاذا أتيج لى البقاء فيه كان ذلك افضل لى وأبجى »

قال « لا انكر عليك ذلك وهو ميسور لك فيما بعد وأما الآن فلا أرى خيراً من الذهاب الى الكوفة »

قالت « وأخشى مع ذلك أن لا يأذن والدي بذهابنا الى هناك اذ هو طالق بى وليس له سواي فلا أخاله الا ملحاً علينا بالإقامة هنا »  
قال « اتنا نطاوله ونماطله حتى يأذن بانصرافنا ولو بعد حين ونوصي بلالا أن يخبر سعيداً بالتربص في الكوفة ربنا نأتيه ولو ابطانا »

قالت « افعل ما بدا لك والله الموفق في كل حال »

وقال فلنعد الآن الى دار الامير ومتى كننا عنده كان خروجنا من

الفسطاط سهلاً لأنه هو الذي وعدني بإخلاء سبيلي للبحث عن ابن عمي  
سعيد فأذكره بوعده ولا أظنه إلا مؤذناً بانصرافي معك «  
قالت « ولكتنا نبيت الليلة هنا ونصبح إلى دار الأمير «  
قال « حسناً » ولما كان العصر خرج إلى المسجد فوجد بلالاً في  
انتظاره فأوصاه أن يذهب بسعيد إلى الكوفة ويترصد به هناك حتى  
يأتيا اليهما

فانبسط وجه بلال وابتسم ثم قال « إن هذا ما كنت أرجوه من  
مولاي لأنني إذا كنت في الكوفة توفقت إلى الانتقام من قاطم اللعينة «  
فضحك عبد الله وقال « وأوصيك إذا أنت ظفرت بها أن لا تعفو عن  
عجوزها لبابة فإنها قهرمانه شريرة «

## الفصل الرابع والتسعون

### دعوة غريبة

أما عبد الله فلما رأى نفسه يباب المسجد والصلاة قائمة والناس يدخلون  
أفواجاً بهزل في جملة الداخلين . فرأى عمراً على التبر يعظ الناس وهم  
صامتون فوقف حتى فرغ عمرو من خطابه وانقضت الصلاة فتحول  
للخروج . ولم يكذب يتحول من صحن المسجد حتى اعترضه بعض الشرطة  
قائلًا « تمهل يا مولاي إن الأمير يستوقفك لأمير يريد أن يخاطبك بشأنه «  
فقال « وأين هو الأمير «

قال « كان في المسجد كما رأيته وقد تحول الآن إلى داره من باب في  
الحراب «

قال « وهل هو يريد مقابلي الآن «

قال « نعم «

فاضطرب عبد الله لذلك الطلب وخاف أن يكون مبنياً على مخاطبته  
بلالاً إذ ربما كان أحداً عارفاً بمهمته أو غير ذلك . ولكنه مشى حتى أقبل

على مجلس عمرو وكان اذا وصل المجلس دخل بلا استئذان . فلما هم بالدخول اعترضه الحاجب قائلاً « تمهل ريثما نستأذن لك » فوقف عبد الله ودخل الحاجب ثم ناد فاستفهم عن الجواب فقال « ان الامير يريد الخولة بك على انفراد هذه الليلة فاذا اتيت في العشاء تعال وحدك »

فاستغرب عبد الله ذلك الشرط وأشكل عليه المراد منه فاستزاد الحاجب ايضاحاً « هل المراد أن يأتي وحدة بمعنى ان لا تكون خولة معه » قال « اظن هذا هو مراده فانه قال ليأت وحده لكلام سألقيه اليه على انفراد »

فمظم الامر على عبد الله وحسب لذلك الف حساب . ولم تكن الشمس قد مالت الى الغروب فعاد الى البيت والهواجس تتقاذفه وظهرت عليه أمارات الانقباض فلما أقبل على خولة ورأت على وجهه آيات الاضطراب ابتدرته قائلة « ما بالك يا عبد الله ما الذي غير وجهك اني أراك متغيراً وأرى في وجهك انقباضاً قل رعاك الله ما اوجب ذلك »

قال وهو يحاول التجاهل « ليس في شيء مما تقولينه لكن يظهر اني تعبت من سماع العظة في المسجد ومللت من مسافة الطريق وليس ذلك من الانقباض في شيء وكيف ينقبض عشيرك وأنت مصدر السعادة وينبوع الهناء »

فلم تقنع بقوله ولكنها سكنت على أن تستطلع السر بعد قليل بلباقة . وغيرت الموضوع فقالت « وهل رأيت بلالا » قال « نعم وقد أوصيته بما يقوله لسعيد » قالت « وهل سافر »

قال أظنه يستريح الليلة خارج القسطنطينية ويرحل في الغد باكراً « وفيها ما يتحدثنان جاء والدها فدخلوا جميعاً وعلى وجه والدها ظواهر النضب وكانت خولة تعرف غضبه بمجرد النظر الى وجهه . فلما رآته كذلك زاد اضطرابها وجعات تفكر في سبب غضب الاثين . فخطر لها انهما تخصما ولكنها لم تكن نجد سبباً لذلك . ولم تجسر على سؤال والدها ولا أرادت

الالحاح على عبد الله في الاستفهام فتركت ذلك الى الاختلاء به  
وبعد قليل مدت المائدة فجلسوا اليها وليس فيهم من يتكلم كلمة الا  
ما تدعوا اليه الحان من طلب شيء أو الاستفهام عن شيء يتعلق بالطعام ونحوه

## الفصل الخامس والتسعون

### غرفة عمرو

وكان عبد الله لما جلس الى المائدة لم يغير ثيابه كالعادة فلما نهضوا عن  
العشاء أخبر خولة ووالدها انه منصرف في حاجة تقتضي غيابه ساعة . وكان  
طلبه هذا جاء طبق ما يرجوه ابو خولة فلم يسأله عن سبب ذهابه ولا  
استدعى سرعة رجوعه

فازدادت خولة حيرة وظلت ساكنة ولم يخطر لها أن لذهاب عبد الله  
علاقة بما بدا لها في وجهه من الانقباض . ولكنها رافقته الى باب الدار  
وتوسلت اليه ألا يطيل الغياب . فاجابها انه لا يدري ساعة رجوعه لانه  
لا يعلم ما يكون من دواعي تأخره ولم يشأ ان يبوح لها بسبب ذهابه ولا  
ترك لها فرصة الاستفهام فودعها وخرج وهو يسرع في مشيته وأفكاره  
ناثئة في ما عساه أن يكون غرض عمرو من دعوته على هذه الصورة

ولما وصل دار عمرو خفق قلبه مخافة أن يسمع من الحاجب خبراً  
جديداً يزيد بلباله فلم يكلمه الحاجب الا بقوله ان الامير ينتظر في غرفته  
الخصوصية

فثنى عبد الله الى تلك الغرفة وهو يقدم قدماً ويؤخر اخرى حتى  
وصل الى الباب فاذا هو مغلق فقرعه ووقف ينتظر فتحه ثم سمع خطوات  
تسرع نحو الباب يتخللها همس لم يفهم منه شيئاً . وبعد هنيهة فتح الباب  
فاذا بعمره نفسه يفتحه بيده فبفت لما رآه أمام عينيه وعلى وجهه دلائل  
الغضب . فحياه عبد الله فلم يزد عمرو على قوله « وعليك السلام » وسار الى  
صدر الغرفة فنبغه عبد الله وهو ينظر الى جوانب المكان لعله يرى فيها

أحداً . فلم يجد فالتبس عليه الامر لما سمعه من الهمس وهو واقف خارجاً . ولكنه رأى في بعض جدران الغرفة باباً عليه ستار وان ذلك الباب يستطرق الى غرفة أخرى فظن بهض نساته كانت عنده فلما علم بقدومه صرفها من الباب الآخر واستقبله

وكان عبد الله يفكر في ذلك وهو ماش في أثر عمرو حتى جلس عمرو على مقعده فوقف عبد الله بين يديه ينتظر أمره بالجلوس فأشار اليه فجلس على وسادة بالقرب منه وهو ينتظر مايقوله وقد نفذ صبره

## الفصل السادس والتسعون

### الاستنطاق

فصبر عمرو لحظة وفي يده درة (سوط) يلاعبها بين يديه كأنه يتشاغل بها عن قلق يخامر ذهنه ففتح عبد الله الحديث قائلاً « كيف حال مولاي الامير وما الذي يأمر به عبده فقد لبيت دعوته وأنا راج أن يكلفني أمراً اقضيه له جزاء لبعض ماله على من الفضل »

فالتفت اليه عمرو وهو يمشط لحينه بانامله وقال « أما دعوتك لاسألك سؤالاً واحداً وأرجو أن تصدقني في الجواب عليه بما احسبني اجزته لك من الجميل وأبقيت عليك بعد أن رأيت الموت رأي العين »

فوقف عبد الله احتراماً وقال « يعلم الله اني لا أنسى جميلاً أوليتني اياه باغضائك عن جريمة اقترفها ثم بانعامك على بحياتي وهي خير هبة فكيف لأصدقك القول » قال ذلك وقلبه يخفق خوفاً من سماع ماقد يكون سبب نقمته عليه

فأعده عمرو وقال « بلغني اليوم من مطلع على أحوالك انك انما جئت الفسطاط مع رفيقك سعيد للفتك بي فهل ذلك صحيح ؟ »

فنهض عبد الله ثانية وقال ولهجة الصدق بادبة على وجهه « كلا يامولاي ان مابلغك من ذلك محض افتراء »

قال « وما الذي جاء بكما اذا »  
قال « أما وقد سألتني عن ذلك فأسمح لي أن أقول الحق وأرجو أن  
تثق بصدق قولي »  
قال « قل الصدق ولا تبال فلا بأس عليك الا اذا رأيت في كلامك  
عوجاً فلا تلم الا نفسك »  
قال « أقسم برأس الامير اني لا أقول غير الصدق ولكن حديثي طويل  
فهل أبسطه كله »  
قال « أجبني أولاً على سؤالي مختصراً فاذا رأيت ما يدعوني الى التفصيل  
طلبته. سألتك عما دعاك الى المحبة للفسطاط والاجتماع بتلك الزمرة المعادية »  
قال « انما جئت للبحث عن المؤامر على قتل الامام علي »  
قال « ولماذا »  
قال « لسكى أبذل جهدي في زجره واتقاذ الامام من الموت »  
قال « كيف تفعل ذلك وأنت أموي على ما أعلم »  
قال « لقد الجأتني يا مولاي الى بعض التفصيل . ألم تعرف جدي  
أبارحاب »  
قال « بلى أعرفه وقد سمعت بوفاته قريباً »  
قال « نعم انه مات وقد كان الى يوم مماته يكره علياً ويدعو الى قتله  
ولكنه في يوم مماته استخلفني واستخلف ابن عمي سعيداً ان لا ينفي شراً  
لعلي بل اذا رأينا سيلا الى الدفاع عنه أن نفعل فلما سمعنا بالمؤامرة علمنا  
أن المؤامر على قتل علي من أهل مصر ولكننا لم نعلم من هو فجئنا للبحث  
عنه وردعه بالتي هي أحسن . ولم نر سيلا لمعرفة الا بواسطة أصحاب عين  
شمس لانهم على دعوة علي »  
فقال « ألم تكن طالماً أيضاً بمؤامرة رفيق ابن ملجم على قتلي »  
قال « بلى ولولا ذلك لم أستطع اطلاقك عليه »  
قال « وكيف انك لم تطلعي عليه حال قدومك ألا تعلم انك تعد  
بذلك مؤامراً على قتلي ؟ » قال ذلك ولحيته رقص من شدة التأثر واسان حاله

يقول لقد حجبتك وأكدت خجياتك

فقال « نعم اعلم ذلك ولكن حلمك قد وسعني من قبل وعفوت عما مضى وعمرتني بانعامك فاذا رأيت أن تعود الى مطالبتي به كان لك الامر ولكنني لأخال الامير عمرو بن العاص اذا عفا عن مذنب أن يرجع عن عفوه »

فلما سمع عمرو كلامه أفحم وسكت

وشعر عبد الله عند ذلك بقوة انبثت فيه وثار الحية في رأسه فهم أن يستأف الكلام فابتدره عمرو قائلاً « ولكن بلغني انك عرفت خولة قبل أن أخطبها لك وانها كانت عالة بنحبر تلك المؤامرة فكيف لما ذكرتها لك ليلة الخطبة تجاهلتها »

فارتبك عبد الله في الجواب وكاد يعثر لو لم يثبت جأشه وقد عول على الصدق فقال « حاشا يمولاي أن أخذك فاني ورأسك وكل غال عندي لم أكن أعرف هذه الفتاة قبل أن ذكرتها لي وأمرت بان تكون زوجتي » قال « وما تقول في سابق اطلاعها على خبر المؤامرة »

فتحير عبد الله في الجواب ولكنه فقه لباب يتخاص منه فقال « ذلك ليس لي أن أجيب عنه فان خولة جاريتك وهي تحيب عن نفسها . ادعها الى ما بين يديك واسألها ولا أشك في أنها تقول الصدق . ولكنني أرغب الى مولاي أن يخبرني عن وشى بنا اليه لعلنا نكذبه بين يديك »

قال « سأجمعكم جميعاً وأسمع احتجاجكم جهاراً فاذا سمعت أقوالكم جازيت كلاماً يستحقه . اذهب الى فراشك عندنا وغداً لناظره قريب » قال ذلك ونظر نحو الباب ونادى « يا غلام » فدخل رجل فقال له خذ عبد الله الى غرفة يبيت فيها الليلة وأتني به غداً متى دعوته »

قال « سمعاً وطاعة » وخرج عبد الله والحاجب يسير أمامه حتى دخل به غرفة في دار الامير التمس المبيت فيها ولكنه لم يغمض له جفن طول ذلك الليل

## الفصل السابع والتسعون

### الجلسة الخصوصية

وما أصبح عبد الله تحير في هل يخرج الى الامير أم ينتظر أمره .  
ولبت جالساً حتى كان الضحى واذا بالحاجب قد جاء بدعوه الى مجلس الامير  
في غرفة خاصة غير مجلسه الاعتيادي فشى وهو يفكر في ماذا عسى أن يكون  
من أمر تلك الجلسة ومن هو الواسي وهل تستطيع خولة الدفاع عن  
نفسها بما يضمن نجاتها

ولاحت منه التفاتة الى ساحة الدار فرأى هناك عبداً تذكر انه رآه  
ولم يلبث أن عرفه فاذا هو ريجان عبد قطام فاحتج قلبه في صدره وقال  
في نفسه انها والله وشاية هذه الحاتمة وأظنها أرسلت عبدها الى عمرو كما  
أرسلته في المرة الماضية لضنا الله

وما زال ماشياً وهو يفكر في ذلك وقد تغيرت سعته من عظم التأثر  
فرأى الحاجب دخل باباً فدخل هو في أثره فاذا هو مقبل على قاعة في  
صدرها الامير عمرو بن العاص كأنه جالس للقضاء وعليه حبة بيضاء وعلى  
رأسه عمامة كبيرة وقد قعد الاربعاء على وسادة من الدمشق وفي يده الدرة  
والسبحة معاً . فتقدم عبد الله تواً اليه فحياه ولم يلتفت الى سواء . فامرّه  
بالجلوس يبرود ظهر الفرق بينه وبين مقابلاته الاولى : فجلس عبد الله في  
بعض جوانب الغرفة وأرسل نظره فرأى الى جانبه عمه ابا خولة وعن  
يسار عمرو ثلاث نسوة قد أرسلن النقاب على رءوسهن فلا يظهر منهن غير  
العيون من ثقوب فيه . فعرف منهن خولة ولم يكن يجسر على النفوس  
بالآخرين حياء . فجلس وهو يسترق اللحظ ويفكر لخطر له ان احداهن  
قطام جاءت هذه المرة لتقضاء حيلتها بنفسها . ثم ما لبث أن عرف الاخرى  
فاذا هي لبابة العجوز فتحقق أنها وشا به وبسعيد . وكانت قطام قد  
أبطلت الحداد على والدها وأخيها بعد قتل الامام علي فارتدت كساء من

الحريير المزركش بالقصب صنع بلاد فارس أحمر اللون ناصعه لا يستطيع لبسه الا الاغنياء وكان نقابها مزركش الاهداب بما يدل على بذخ وترف . وتصور عبد الله جمالها وفصاحتها وحيلتها فعلم انها غلبت على رأي عمرو وأقنعته أن عبد الله وخولة يستوجبان القتل او نحوه فأخذ يتأهب للجواب ومضت برهة والكل صامتون وعمرو ينظر الى الارض والدررة في يده كانه ينكت البساط بها ويده الاخرى على لحيته بلاعب شعرات منها بين أنامله والاهتمام باد بين حاجبيه . ثم رفع بصره ونظر الى الباب ونادى غلامه فدخل فقال له « لاتستأذن لاحد بالدخول علينا ولا تدع أحداً يقترب من هذا الباب »

قال « سمعاً وطاعة » وخرج

ثم التفت عمرو الى أبي خولة وقال « أهذا جزاء التفاني اليك يا أبا خولة »

فوقف أبو خولة وقد بفت وقال « وما ذلك يا مولاي . اني لا أعرفني الا ملخصاً لك خادمياً لمقاصدك »

قال « ربما كنت كذلك ولكن خولة هذه ( وأشار اليها ) توأطىء الناس على قتلي وتسعى في انقاذ ابن أبي طالب »

فلما سمع أبا خولة قوله مشى مسرعاً حتى أمسك ابنته وقال « اني لا أعرفها الا جارية من جوارى مولاي فاذا ارتكبت شيئاً من ذلك فاني أذبجها بين يديك ودمها هدر لك » قال ذلك وجذبها كأنه يريد ايقافها وتقدمها الى عمرو . أما هي فظلت جالسة ولم تبال

فقال له عمرو « عد الى مكانك ودعها تدافع عن نفسها فاني لا أريد أن أعاقبها الا بعد المحاكمة فاذا صح ما قيل عنها كان القتل أخف قصاص لها » فلما سمع عبد الله تلك اللهجة الشديدة اختلج قلبه في صدره وخاف عاقبة تلك الجلسة ولكنه تجدد وصبر

## الفصل الثامن والتسعون

### دعوى قطام

• ثم التفت عمرو الى خولة وقال « ماتقولين ياخولة ، فوقفت وقالت بصوت رائق وجأش ثابت « ماذا أقول ياسيدي وأنا لأعرف التهمة التي وشى بها اليك الواشون . فاذا سمعتها ذكرت لك الحقيقة ولك الامر بعد ذلك فاذا استوجبت القتل فما أنا خير ممن قتل من رجال الاسلام في هذه الفتنة ! »

فمجب عمرو لتلميحها الى أعظم ما حدث في تلك الاثناء فقال لها « مالك ولهذا الكلام يا خولة قولي ما جوابك على سؤالى »

قالت « اذا كان الامير حرسه الله قد جعل دمي حلالا ان ثبتت التهمة على فليس أقل من أن أسمع نص الدعوى الموجهة الى »

قال « لقد صدقت واني مطاوعك في جرأتك حتى تبدي كل مالديك من أساليب الدفاع ولا أظنك أخيراً الامقرة بجنايتك لانها ثابتة ثبوت النور في النهار اجلسي استريحى »

فجلست

فقال عمرو وقد وجه حديثه الى قطام « ما قولك يا قطام بخولة وما تعرفينه عنها »

وكانت قطام كما بينا في فصل سابق لما ارتاح بالها من أمر علي وقتله وعلمت مما دار بين خادمها وبين بلال خادم خولة انها تحب سعيداً وهي التي وجهت عبدها معه واستحثته في الوصول الى علي قبل انقضاء الاجل المضروب لقتله . فحملتها الغيرة وهاجها حب الانتقام وطاوعها خلق السوء الذي فطرت عليه أن تأتي الفسطاط تشي بخولة وسعيد وهي لاتشك انها تثبت الجناية عليهما فتتقرب بذلك من عمرو فتنال حظوة في عينه فتقيم عنده مكرمة أو يتزوجها أحد أبنائه وكان عمرو يعرفها من ذي قبل . فاسرعت

الى الفسطاط ومعها عجوزها وبعدها فوصلت أمس وأسرعت الى عمرو وبشرته بمقتل الامام علي ووشت اليه بخولة وانها كانت مواطئة لسعيد على انقاذ الامام علي وانهما كان يعلمان خبر المؤامرة على عمرو وسكتا عنها وقد كان في امكانهما لو اخلصا الخدمة لعمرو ان يطلعا عليها . فاطارها عمرو اذناً مصفية وبعث الى عبد الله كما تقدم . ثم رأى من الحزم أن يجمع الجميع ويسمع جدالهم ومدافعهم قبل ابداء الحكم

فلما قالت خولة قولها في تلك الجلسة والتمس عمرو من قطام أن تبسط التهمة نهضت ومشت خطوتين نحو الامير وثوبها المزركش يجر وراءها تيباً وبذخاً . ثم وقفت وقالت بلسان فصيح « اما ما يسألني الامير عنه فلا احتاج في اثباته الى دليل . وتفصيل الامر ان مولاي الامير يعلم اخلاصي له ورغبتي في خدمته حتى اني طالما سمعت بمجتمع العلويين في عين شمس بعثت اليه رسولا يخبره بخبر ذلك الاجتماع . ولو لم اجد من أبعثه في تلك المهمة لجئت بنفسي . ولم أذكر هذا الشاهد الصغير الا دليلاً على اخلاصي . اما خولة واطلاعا على خبر المؤامرة فأمر لا شك فيه لاني أعلم علم اليقين أن سعيداً ورفيقه هذا ( وأشارت الى عبد الله ) لما قدما الفسطاط كانا طالين بخبر تلك المؤامرة وقد سمعت ذلك منهما باذني : وها انما أتيا للاجتماع مع العلويين . وبعثت يومئذ عبدي بخبر ذلك الى مولاي الامير فلما عاد عبدي اخبرني ان جند الامير قبضوا على العلويين وان عبد الله وسعيداً في جملتهم ولم يكن يعلم ان سعيداً نجح بمساعدة خولة هذه . أما انا فاني عرفت ذلك لما عاد سعيد الى الكوفة مسرعاً لاطلاع علي بن أبي طالب على خبر المؤامرة غيرة منه عليه وقد ترك حياة الامير عمرو بن العاص في خطر القتل . وكان رفيقه في عودته بلالا خادماً خولة هذه فانه صحبه الى الكوفة . فالتقي بهما هناك عبدي ريجان واتضح له من خلال الحديث ان بلالا وخولة عالمان بسر الامر . ولما لم ينجح مسعاها في انقاذ الامام علي فقعا بأن يكون مولاي حرسه الله قد أصيب بما أصيب به ذاك . ولكن الله سبحانه وتعالى أنقذه من محالب الموت وحرسه بعين عنايته . فترى يا مولاي مما قدمته ان

خولة كانت طالمة بخبر المؤامرة كما كان يعرفها عبد الله وسعيد فلو كانت  
مخلصة لمولانا الامير ما كتمتها عنه «  
فقال عمرو « وما الذي يؤكد لنا أن سعيداً وعبد الله لما اتيا الفسطاط  
كانا عالين بالمؤامرة على قتلي »  
وكانت لبابة المعجوز صامته الى تلك الساعة فلما طرح عمرو هذا  
السؤال ابتدرته هي قائلة « لا شك انهما كانا عالين لانهما أخبرانا بها ليلة  
سفرهما الى الفسطاط »

## الفصل التاسع والتسعون

### دفاع خولة

وكانت قطام تنكلم وخولة مطرقة تفكر بماذا تجيب . أما عبد الله فانه  
لمن الساعة التي اتت بها تلك الحادثة وخاف على خولة أن تتلعم او تفحم  
لان الادلة قوية  
أما والد خولة فلم يكذب بسمع حديث قطام حتى استشاط غضباً وصاح  
في خولة بأعلى صوته « الله عليك يا خاتمة لقد فهمت الآن تلاعبك ونفاقك »  
ثم التفت الى قطام وقال « واي متى لقي عبدك عبدي مع ذلك الرجل في  
السكوة »

قالت « ليلة ١٧ رمضان »

فأطرق برهة ثم أقرب من خولة وجذبها بيدها الى وسط القاعة وقال  
لها بنغمة الاتهار « لقد انكشف لي القناع وعلمت سفر بلال كما تزعمين  
أرسلته مع حبيبيك ليساعده على انقاذ ابي تراب ( علي بن أبي طالب )  
وقلت لي انه فرّ بالجمين والظاهر انه اخذها معه ليركب هو ورفيقه عليهما »  
ثم التفت الى عمرو وقال « ان ابنتي ياسيدي تستحق القتل اقتلها او دعني  
اقتلها بين يديك »

فوقف عبد الله للحال وقد ثارت فيه الغيرة على خولة وهو يظن سكوتها

خوفاً أو ارتباً كالأنه لم ير ملاحظها من وراء النقاب فأمسك أباه يده وقال  
برزانة وسكينة بخاطب عمراً « التمس من مولاي الامير الذي أمر أن تكون  
خولة زوجة لي أن يوقف أباه عند حده فهو الآن لا يملك من أمرها  
شيئاً . أما اذا اقتربت هي ذنباً تستوجب عليه قصاصاً فالامر فيه لمولاي  
وليس لاحد سواه »

وكان عمرو قد اقتنع بثبوت الجريمة على خولة ولكنه أحب أن يسمع  
دفاعها ورأى عبد الله يتكلم بحق وعدل فقال لابي خولة « دع خولة فانت  
كما قال عبد الله لا تملك من أمرها شيئاً »

فتحى أبو خولة وهو يلهث ويدمدم ولحيته ترتعش في صدره . وتتحى  
عبد الله أيضاً وخولة لا تزال واقفة . أما قطام فقد أزاحت خمارها فبان  
الابتهاج على وجهها لتجاح مهمتها

فقال عمرو « ما بالك يا خولة لاتدافعين عن نفسك . أليس ما قالته قطام  
عنك صحيحاً ؟ هل كنت عالمة بخبر المؤامرة على قتلي »  
قالت « نعم »

قال « وهل ساعدت سعيداً على انقاذ الامام علي فارسلت معه خادمك  
وجليلك »

قالت « نعم كل ذلك صحيح »

فتعجب عمرو وسائر الحضور من صراحة اقرارها وقد كانوا يتوقعون  
انكارها أو تلغيمها أو على الاقل سكونها فلما رآها تحجب بهذه الصراحة  
قال لها « وكيف تظهرين هذه الثيرة على صاحب الكوفة (علي) مع علمك  
أن والدك لا يريد ذلك ثم لا يخطر ببالك أن تخبري والدك بخبر المؤامر على  
قتلي لكي يظلمني عليه . ألا تعلمين أن عملك هذا يعد خيانة تستوجب  
عليها القتل . وها اني لا ازال أطيل بالي عليك لاسمع دفاعك فاخبريني  
أولا كيف تكونين على غير ما يريدك والدك وأمير بلادك . ثانياً كيف  
تسعين في انقاذ علي بن أبي طالب ولا تسعين في انقاذ أمير مصر »  
وقبل أن تهم خولة بالجواب اعترضتها قطام قائلة « أرى مولاي الامير

يتعب نفسه بما لا طائل تحته . هل بعد اقرارها الصريح من باب للتجاة ؟  
ولا دواء لهذه الحائثة إلا القتل «

فقال خولة وهي تنظر الى قطام شزراً « سوف يتضح لنا من هي  
الحائثة وقد يجدر بك التأدب في حضرة الامير فانه أعلم منك بقواعد  
الاحكام «

## الفصل المائة

### صدق اللهجة

ثم وجهت خولة خطابها الى عمرو قائلة « أرجو من الامير أن يطلق  
للساني الحرية لاقول كل مايجول في خاطري «

قال « قولي ما بدا لك «

قالت « أما سبب مخالفتي والذي في رأيه وتحزبي للامام علي رحمه الله  
فهو لاني صادقة مخلصه في فكري وقولي وهو المنحرف المتقلب . وما كنت  
لاصف والذي بهذا العيب لو لم يضطربني الى ذلك «

قال عمرو « وما معنى هذا «

قالت « يعلم مولاي الامير ان والذي ربي في نعم الامام علي وأنا في  
حجره مع اعتقادنا انه ابن عم الرسول ( صلعم ) وانه على الحق في أعماله «  
فأراد والدها أن يقطع حديثها فاعترضه عمرو وألزمه السكوت فقالت  
« فلما كانت واقعة صفين كان والذي في جملة من خالفه في امر التحكيم من  
الخوارج . فهو الذي انحرف عنه . أما أنا فظللت على رأيي ولا أزال عليه  
الى اليوم «

فقال عمرو وهو معجب بجسارتها « ولكن عليك شارك الجهاد في قتل  
الخليفة عثمان فقتلوه ظلماً ونحن انما قننا نطالب بدمه «

قالت « أما مقتل الخليفة عثمان فارجو من مولاي الامير أن لا يبلجني  
الى الحوض في شأنه لاني ربما اضطرت الى ما أتجنب ذكره «

قال « وما الذي يخيفك بعد ما أبديته من الجرأة »  
 قالت « يخيفني غضب الامير لامر هو داخل فيه »  
 قال « قولي كل ما يبدو لك ولا تخافي »  
 قالت « أما مقتل الخليفة عثمان رحمه الله فلا أظن مولاي عمراً الامن  
 جملة الراضين به »  
 فبغت عمرو وقال « وكيف تقولين ذلك ياخولة ؟ »  
 قالت « ألم يكن مولاي في جملة المحاصرين لعثمان ؟ ألم تقل له قد ركبت  
 يا عثمان أموراً ركبتها معك تب يا عثمان وارجع الى الله <sup>(١)</sup> . فاسمعك هو  
 كلاماً جارحاً . ثم لما قال لك اني تائب قلت له رأيناك تتوب ثم تعود »  
 قال « وهل يؤخذ من ذلك اني كنت أريد قتله »  
 قالت « كلا ولكنه يدل على انك كنت ناقماً عليه »  
 قال « انما كنت ناقماً ليرجع عن أعماله ويبتغي على خلافته »  
 قالت « لو كان هذا هو قصدك فقط لما فرحت بقتله »  
 فذهل عمرو من سعة اطلاعها على خفايا الامور ولكنه لم يستطع  
 الا استفهامها فقال « وكيف تقولين اني فرحت وما دليلك على ذلك »  
 قالت « دليلي قريب اذا أمني الامير قتله »  
 قال « قولي »  
 قالت « ألم تكن في فلسطين يوم قتل عثمان ؟ فكنت اذا لقيت الراعي  
 حرضته على قتله ؟ ألم تحرض علياً وطليحة والزيير عليه ؟ فلما جاءك رجل  
 أخبرك بمقتل عثمان ألم تقل أنا عبد الله اذا حكمت فرحة نكاتها ؟ »  
 فلما سمع عمرو قولها استغرب جرأتها وغضب لتصريحها بامور كان يود  
 كتمانها ولكنه سبق فأمنها وكان داهية يحول معاني الكلام كيف شاء  
 فقال لها « لقد أعجبني دفاعك ياخولة ولكننا لسنا في معرض الدفاع عن  
 على أو عثمان ولا يهمننا انحرافك أو انحراف والدك وانما نحن في اطلاعك  
 على خبر المؤامرة على قتلي ثم سكوتك الى آخر ساعة ووالدك بين يدي كل

يوم فكانت اشتريت في المؤامرة « قال ذلك وهو يحسب نفسه قد غلبها  
وسد عليها أبواب الدفاع . وكان أشد الناس خوفاً عليها عبد الله وقد خيل  
له انها لم تعد تستطيع دفاعاً بعد اقرارها السابق  
أما هي فهتت بالكلام فاذا بقطام تقول « اني لاعجب من حلم الامير  
وما يرجوه من دفاعها عن ذنب اعترفت به صريحاً »  
فلم تبعاً خولة بقول قطام ولكنها أجابت عمراً قائلة « اني لأنكر  
عليك عظم هذا الذنب بالنظر الى ما كنت ترجوه من قيامي بامر الخوارج  
وموافقة والدي على تأييد أمركم والتصديق على دعواكم ودعوى معاوية  
وانكم على الحق . وقد قدمت لمولاي باني فعلت ذلك وأنا على دعوة  
الامام على فذنب من هذا القبيل لا يعد شيئاً بالنظر الى ما تستوجبه هذه  
المرأة ( وأشارت الى قطام ) التي انما جاءت بهذه الوشاية غيرة عليك وضنا  
بحياتك فاتهمني بالخيانة لاني على زعمها كنت عالمة بخبر المؤامرة ولم  
أخبرك بها - فما الذي منعها هي عن إخبارك بذلك يوم أرسلت عندها عبد  
السوء للوشاية باصحاب عين شمس . فاذا كانت هذه المرأة صادقة في  
دعواها ألم تسكن هي أولى مني باطلاعك على ذلك الامر ؟ اسألها وانظر  
في جوابها »

## الفصل الحادي والمائة

### فشل الظالمين

فانتبه عمرو كأنه في سكرة وصحا منها بغتة فرأى خولة مصيبة  
بدعواها فالتفت الى قطام لفنة استفهام فلم يسمع منها جواباً . فقال لها  
« ماتقولين يا قطام لماذا لم تخبريني بخبر تلك المؤامرة »  
فارتبكت في أمرها ولكنها أجابت وهي مبغوتة وقالت « لاني لم أكن  
عارفة بخبرها يومئذ »

فتبين عمرو التلاعب في كلامها ولكنه أراد تحقق ذلك فقال لها

« ولكنك قلت الآن انك سمعت خبر المؤامرة منهما فهل سمعته قبل ارسال عبدك الينا أو بعده »

فأخذت قطام بسؤاله فأجابت على الفور « لم أسمع الا بعد سفر عبيدي وكنت عازمة على ارسال غيره فلم أتمكن لمشاغل خصوصية اتابتي »  
فتقدم حينئذ عبد الله وهو يكاد يرقص فرحاً بمخذلان قطام وقال  
« ولكن عبدك يامليحة لم يسافر من الكوفة الا بعد سفرنا لانه انما قدم  
الفسطاط ليخبر الامير بخروجنا من الكوفة »

فأشار عمرو اليه فسكت وعاد هو الى السؤال فقال « وزد على ذلك ان هذه العجوز تقول انكما سمعتم ذلك الخبر منهما ليلة سفرهما . في  
تقولين بذلك »

فغلب الحنق على قطام فقالت « هذه عجوز حمقاء غلب عليها الخرف  
فلا يمتد بقولها »

فغضبت لبابة لعقوق قطام واهانتها اياها على هذه الصورة وهي تعتقد  
فضلها عليها فقالت لها « أنا لم أقل ذلك الا بعد قولك . . تبأ لك من  
امرأة خائنة . كيف تقولين ان الخرف غلب على وأنت انما غلب عليك  
النفاق »

فاشتد حنق قطام ولم تمدتمي ماتقول لفشلها وخجلها فقالت « اخرسي  
يا مجنونة ولا تكلمي بين يدي »

فقالت لبابة « بل انت مجنونة وأنت الخائنة واذا لم تلزمي حدك اطلعت  
الامير على كل سرائرك وفضحت أمرك »

فقالت « وماذا عسى أن تقولى وأنت خادمة لا يمتد أحد بأقوالك »  
وكانت لبابه قد تحققت وقوع قطام في شر اعمالها فارادت أن تخلص  
نفسها وتتجو بحياتها فلم تر ذريعة أهون عليها من ايقاع قطام باباحة اسرارها  
بالاقرار . ولا غرابة في ذلك فان من كان مثلها ميت الضمير سيء الخلق  
لاذمام يزرها ولا عقل يعقلها يسهل انقلابها من الشيء الى ضده فقالت

على الفور « ان اسرارك كلها تحت قدمي هذه واذا أذن مولاي الامير  
كشفت له كل شيء »

فسرت خولة وعبد الله لذلك الحصام . أما عمرو فرأى لحسن سياسته  
وتعقله ان خولة من بحرص على بقائهن وانها اذا كانت على دعوته لا يخشى  
انقلابها . وأما قطام فانها اذا أخلصت له اليوم لا يأمن أن تخونه في الغد  
فقال للعجوز « قولى ياخاله ما تعرفينه »

فأخذت لبابة تنلو حديث قطام مفصلا من أوله الى آخره والكل  
مصغون صامتون ففضحت اسرارها فتحقق عمرو ان ارسالها عبدها اليه لم  
يكن جباً به ولا نصرة لحزبه بل انتقاماً من سعيد وعبد الله . وتبين لديه  
ان هذين انما اندفعا للدفاع عن علي بوصية جدهما أبي رحاب واتضح له  
جلياً ان قطام خائنة لا يوثق بقولها ولا يعتمد عليها وأن بقاءها في قيد  
الحياة شر على العالمين . ولم يكن اعتقاده بلبابة بأحسن من اعتقاده بقطام  
لانه رأى خيانتها رأي العين فصمم على التخلص من كاتبيها

وكانت قطام في أثناء حديث لبابة واقفة وقوف الصنم وقد جدد الدم  
في عروقها واصطكت ركبناها . وكانت في أول حديث لبابة تم بتكذيبها  
وعمر و يسكنها ثم سكتت من تلقاء نفسها . فلما فرغت لبابة من حديثها  
نادى عمرو « ياغلام » فجاء فأمره أن يسوق قطام وعجوزها الى غرفة  
يسجنهما فيها

## الفصل الثاني والمائة

### العفو العام

فلما خرجت قطام ولبابة من المكان عاد السكوت الى الجلسة وكل  
في مكانه وعمرو غارق في بحار التأمل ففكر في خولة وشهامتها وصدق  
مودتها فرأى انها اذا كانت على دعوته لا يخشى ضررها بل قد تكون أكبر  
عون له اذ يندرمثلها بين النساء وغلب على اعتقاده انها بعد مقتل الامام علي

لم يبق لها سبيل لتصرفته ففضل ان تكتسب رضاء عمرو . وخصوصاً اذا عفا عنها وعن زوجها عبد الله  
وبعد السكوت هنيهة خاطبها قائلاً « والآن ما قولك يا خولة ما الذي تفعله بك »

قالت « لا أبالي يا مولاي بعد ان بسطت لك الحق ان تفعل بي ما تفعله فقد صدقتك القول بصراحة لا أظن احداً يتجرأ على مثلها . فاذا أمرت يقتلي فاني لا ازيد عدد الموتى ولا أقلل عدد الاحياء ولا فائدة من بقائي ولا ضرر من مماتي وقد قلت لك في اول حديثي انه قد قتل ودرج تحت التراب من لا أقاس بأثملة من انامله . فهل أنا افضل من أبي بكر وعمر وعثمان أم أنا خير من ابن عم الرسول ( صلعم ) فاذا شئت اقتلني وأرحني من حياة لا عدل فيها ولا حق ... ولكنني اطلب اليك اذا قتلتي ان لا تعفو عن تلك الحادثة الفادرة » قالت ذلك ودمعت عيناها  
فتأثر عمرو من صدق طبعها وثبات جأشها فقال لها « واذا عفوت عنك »

قالت « واذا عفوت فالعفو من شيم الكرام وتكون حياتي هبة من عندك »

فتقدم عبد الله للحال وجنا بين يدي عمرو وقال « ارضب الى مولاي كما وهبني حياتي ان يهبني حياة هذا الملاك الطاهر فتكون أيضاً هبة من فضله »

وكان والد خولة لا يزال واقفاً وقد سحر بما أبدته ابنته من الحمية والشهامة وخجل لانه لم يكن صادقاً في اخلاصه لعلي مثلها . فلما رأى عبد الله يلتبس العفو لابنته تقدم هو ايضاً وقبل يدي عمرو وقال « لقد كنت يا سيدي أشد نقمة منك على خولة ولكنني أراها والله خيراً مني وأراني أصغر منها فالتمس لها العفو ايضاً » قال ذلك ونادى خولة فدنّت فقال لها « قبلي يد الامير واستغفريه » ففعلت

وتصافح ابو خولة وعبد الله وعادا الى مقاعدهما وقد تذكر عبد الله

ابن عمه سعيداً وعلاقته بخولة فقال في نفسه إنها فرصة لا ينبغي ضياعها  
فخاطب عمر أقاللاً « أما وقد وهبتنا حياتنا جزاء لصدق لهجتنا فلا يسعني  
والحالة هذه الا أن أتم الصدق بكشف سر لا يزال مكتوماً »

## الفصل الثالث والمائة

### كشف السر

فلما قال ذلك علمت خولة انه سينكلم بشأن سعيد فحفظ قلبها وغلب  
الحياء عليها فانزوت في بعض جوانب الغرفة  
أما عمرو فقال لعبد الله « قل ما بدالك »  
قال « انت تدعوني الآن زوج خولة وما أنا والله الا اخوها »  
فبغت عمرو وأبو خولة وقال عمرو « كيف لا وقد كتب كتابك  
عليها »

قال « نعم انها زوجتي بالكتاب ولكنها لا تزال بكرأ وقد آختيها  
فهي اختي بعهد الله والرجل لا يتزوج أخته »  
فازداد استغراب عمرو وقال « وكيف ذلك افصح يا عبد الله »

قال « لان خولة أحببت ابن عمي سعيداً قبلي ولا بد انكم لحظتم ذلك  
من خلال حديث قطام ولكنني لم أعلم ذلك الا بعد كتابة الكتاب ونظراً  
لحبي الشديد لابن عمي وقد كلفته بوصاية جدي أبي رحاب أمسكت نفسي  
عن خولة وآختيها . واعترف لمولاي الامير اتنا تواطأنا على الخروج من  
الفسطاط الى الكوفة بحيلة وسعيد ينتظرنا هناك فأزف له خولة »

فلما سمع عمرو كلامه ازداد اعجاباً بشهامته وصدق مودته ونظر الى  
أبي خولة كأنه يستطلع رأيه في الامر فاذا هو لم يكن اقل اعجاباً بتلك  
الشهامة ولكنه لم يتالك عن ان نهض وضم عبد الله الى صدره وقبل رأسه  
وقال بورك فيك من صديق صادق فاذا صارت خولة أختاً لك فاقض لها  
ما أنت قاض ..

فقال « اذا أمر مولاي بستا الى سعيد وهو في الكوفة مع بلال الصبي  
فيقدمان الينا فيكتب الامير كتابه بأمره »

فقال عمرو « ان ذلك على الرحب والسعة » وأمر غلامه أن يمد  
عبد الله بما يريد من استقدام سعيد

فجهز عبد الله رسولا وكتب الى سعيد يستقدمه ويسلط له واقعة الحال  
وأوصى الرسول أن يجعل طريقه بدمشق لان سعيداً كان فيها فلعله لا  
يرى هناك

واستأذن ابو خولة وابنته بالانصراف الى بيته فاذن لها فخرجا وخولة  
تفكر في قظام وكانت قبل هذه الجلسة تريد الانتقام منها ولكنها لما رأت  
ما كان من فشلها انقضت حماة انتقامها . على أنها تذكرت ان بلالا اقسم  
ان يقتلها ناهيك بحقد سعيد عليها فعولت ان تستمطفه لكي ينفو عنها  
ويكتفي بما أصابها من الفشل والاهانة

وأما عبد الله فاستبقاه عمرو عنده بقية النهار وبات تلك الليلة ضيقاً في  
دار الامير وقد ارتاح باله من كل قبيل . ولكنه كان يفكر في قظام وما  
أصابها من البلاء وكيف سيقف الى السجن مهانة وقد انكشف امرها  
واقضح سرها فخفت نغمته عليها واكتفى بأن تبقى مسجونة حتى يرى  
ما يكون من امرها بعد قدوم سعيد

وفي الصباح التالي بث عمرو اليه ليتناول الطعام معه فذهب وفي أثناء  
الطعام تحدثا بمحدث قظام وعجوزها فذكر عبد الله ما يجول في خاطره  
من الشفقة عليها فقال له عمرو « والله حلم لم يسبقك اليه معن . وما ظنك  
بخولة هل تقول قولك ؟

قال « لا أظنها الا على رأيي بلا تواطؤ »

## الفصل الرابع والمائة

### الجريمة والفرار

فأحب عمرو ان يجرب ذلك فبعت الى خولة فلما جاءت سأها عن رأيها في قطام

فقال مثل قول عبد الله تقريباً

فقال لها عمرو « أني والله لا عجب من هذا التوارد وانه دليل صريح على طيب عنصر كما وقد كنت لو أردت ما قتلها قتلها لانها شريرة تستحق الشنق . قارى اذا أن أسجنها في سجن مظلم لتذوق جزاء ما جتته يداها »

ثم نادى غلامه فحضر فأمره أن ينقل قطام الى سجن مظلم وأن يأتي بالمجوز اليه

فذهب الغلام ثم نادى وعلى وجهه أمارات البتة

فقال له عمرو « ما وراءك هل قتلت ما قتلتك »

قال « كلا يامولاي »

قال « ولماذا »

قال « لاني وجدت العرفة مفتوحة وليس فيها غير جثة المرأة المجوز

قال عمرو « وقطام ؟ »

قال « لم أقب لها على أثر »

فصاح عمرو « تبأ تلك اللعينة الخائنة هيا بنا نفحص الامر بنفسنا

قال ذلك وأمرع لساعته وتبعه عبد الله وخولة حتى أتوا باب الحجرة التي

كانت قطام مسجونة فيها . فاذا بنك المجوز المسكينة صريخة لاجراك بها

فارسل عمرو الى طبيبه ليتفحص سبب وفاتها فجاء وبعد الفحص قال « انها

ماتت حنقاً بعنف بعد جهاد ودفاع لانه رأى في فيها حجراً ملفوفاً بمنديل

كان القاتل سد به فاما لثلا تستغيث فيسمعها الحفراء فيكشف أمره »

فقال عمرو « ومتى كان ذلك »

قال « أظنه وقع في منتصف الليل أو نحوه »

فحول عمرو انتباهه الى باب الحجره وتأمل خلعه فتبين له انه خلع من الخارج لانه رأى آثار معالجته بأداة من الخارج . فقال « يظهر أن قطام ليست وحدها القتالة لان يدأ عالجت الباب وفتحته فمن فعل ذلك يارى »

وكانت خولة لما رأت لبابة مائة وقطام قد نجت أسفت لما كانت تبغيه من العفو عنها وتضاعفت نقمها عليها ولو حضرت بين يديها في تلك الساعة لقتلتها بيدها

وكان عبد الله يشارك عمراً بالبحث فلما رآه يبحث عن خلع الباب اتبه لساعته وقال « لقد كشفت الغامض وعرفت القاتل انه ريجان عبد قطام فقد شاهدته في دار الأمير امس قبل المحاكمة ولم اسمع ان الأمير أمر بالقبض عليه . احتال بخلع الباب وساعد سيده على قتل العجوز انتقاماً لها أو خوفاً من لسانها »

فصاح عمرو للحال « لقد أصبت كبد الحقيقة انه ذلك العبد بعينه ثم امر بالجنة فحبات ودقت وعاد الجميع آسفين لثجاة تلك الخائنة من بين ايديهم ولكنهم عزوا انفسهم بصفاء المودة بينهم وخصوصاً خولة وعبد الله فانهما كانا يتوقعان قدوم سعيد ولا ينقص عيشهما الا فرار قطام ومقتل الامام علي . على أن عمراً عول على البحث عنها ومعاقبها

## الفصل الخامس والمائة

### غوة دمشق

أما بلال فلما بعثه عبد الله ليربص مع سعيد في الكوفة سار الى دمشق فرأى سعيداً بانتظاره هناك فحكى له ما قره القرار عليه واستهضه للمسير الى الكوفة فاستمهاه يومين ريثما يقضي بعض الحوائج . وفي أصل اليوم الثاني

حملاً أحملها وخرجا على جليهما على أن بيتنا تلك الليلة في غوطة دمشق  
ويصباحا في اليوم التالي عن طريق الكوفة

وفي خروجهما من باب المدينة لقيهما رسول عبد الله القادم لاستقدامهما  
الى الفسطاط وهو يعرف بلالا فأوقفه ودفع الكتاب الى سعيد فقرأه  
سعيد وهو لا يصدق لمعلم ما ناله من الفرح للقبض على قطام مع رضاء عمرو  
وما توسمه من شوق خولة اليه

أما بلال فتأسف للقبض على قطام في غيابه مخافة أن ينفو عن قتلها  
أو أن يقتلها أحد سواء وهو يود أن يقتلها بيده ليشفي منها غليله

فقال سعيد للرسول « كنا خارجين الآن الى الغوطة لنبيت فيها ونصبح  
الى الكوفة فأرى بعد ان حملنا احمالنا أن نظل في طريقنا الى الغوطة  
فبيت هناك ونصبح في الفد نلتمس الفسطاط » فساروا جميعاً حتى وصلوا  
بعد الفروب الى بحيرة صغيرة حولها أشجار الحور وقد علت نقتة الضفادع  
يتخللها حفيف الأشجار وصفير الصراصير وهبوب الريح وتفريد الطيور مما  
يشرح الصدور ويندر مثاله في غير تلك الغوطة

فخطوا احمالهم واشتغل بلال ورفيقه بأعداد العشاء مما حضر ولا يحلو  
الطعام هناك الا بالفاكة

وكان بلال يعرف صاحب ذلك البستان وقد نزل عنده ليلة قدومه  
من الفسطاط فترك سعيداً والرسول ومشى بين الأشجار تحت جنح الظلام  
يلتمس بيت البستاني ولم يمش برهة حتى اخطأ الطريق لتكاثف الأشجار  
وجعل يلتمس في مسيره وهو لا يزداد الا ضلالاً وبعداً حتى أصبح وبينه  
وبين رفاقه ميل وبعض الميل وهو لا يدري فوقه يتفرس من بين الأشجار  
لعله يرى نوراً او يتبين المنزل من وراء الأفق . ولبث برهة يعمل فكرته  
ويحاول ان يعرف الجهة التي ترك فيها رفاقه لكي يعود اليهم ولو بلا شيء  
وفيها هو يفكر وقد هدأ الجو وسكنت الطبيعة لا يسمع فيها غير نقتة  
الضفادع عن بعد واذا بصوت اجفاه وهو جدير جل عقبه جدير جل آخر

فلم ان القادمين ركب امسى عليهم المساء قبل الوصول الى المدينة . فكث  
 ينتظر وصولهم ليخاطبهم ويستفهم منهم عن الطريق . وكان قد اسند ظهره  
 الى شجرة فتناول بعنقه وتنصت ليتحقق الجهة التي سمع الصوت منها فسمع  
 لفظاً وكلاماً الفت انتباهه فأصاخ بسمعه فاذا بقائل يقول « دعنا نزل  
 هنا ياربجان فاذا اصبحتنا دخلنا دمشق لاني أخاف ان يستغشونا اذا دخلناها  
 في الظلام ... ألا تظننا في امان هنا ؟ »

وسمع الجواب « نعم يا مولائي »

فأشعر بدن بلال عند سماعه ذلك الصوت وقد ادرك لأول وهلة انه  
 صوت قطام وخصوصاً لما سمعها تخاطب ريجان بما يمازجه خوف . وتحقق  
 لاحال انها آتية فراراً من سجن القسطنطينية

## الفصل السادس والمائة

### النزول

وكانت قطام لما أرسلت الى سجنها قد حقدت على لبابة كما قد علمت .  
 ونظراً لما فطرت عليه من اللؤم والقساوة لم يكن أهون عليها من قتل لبابة  
 ولم تعب بما كان لها في خدمتها من التعب . وكان ريجان يومئذ واقفاً في دار  
 الامارة فلما رأى سيدته ولبابة سائرتين مخفورتين علم انهما في ضيق فراعى  
 القوم بصره حتى عرف الحجره التي حبسوها فيها . وعمل فكرته لانقاذها  
 وكانوا عند اول وصولهم القسطنطينية قد نزلوا في دار الامارة فاحتال في اخراج  
 الجمال والامتنع الى مكان خارج القسطنطينية . ولما توسط الليل غافل الناس  
 وجاء الى سجن قطام وقد نهباً للمالجه الباب . فسمع لفظاً فاذا هو خصام  
 احتمد بينها وبين خادمها . فاستعجل في فتح الباب بالعنف ودخل فلما رآته  
 قطام اشارت اليه ان يساعدها على قتل لبابة فصاحت هذه « تبالك يا ظالمة  
 يا فاجرة اني أتوب الى الله عما ركبت في سبيلك من الذنوب . وأما أنت فلا  
 نجائك الله من عواقب آثامك و... » فابتدرها ريجان حالاً ففسد فاما

وختفها وخرج بسيدته من باب كان قد عرفه واسترضى بوابه . فلما بعدا عن الفسطاط تحول بها الى مأمن كان قد أعد عند موقف الجمال . فركبا وهي تنني على شهامته . نخبرها في الجهة التي تسير فيها فاختارت دمشق لان فيها أناساً من أهلها كانوا قد هجروا الكوفة بعد واقعة النهروان وفشل الخوارج وأقاموا في دمشق

فسارا حتى اتيا الفوطة في تلك الليلة بعد وصول رسول عبد الله بوضع ساعات كما قد رأيت . وكان بلال لما تأكد انهما قطام وربحان لم يعد يعلم كيف يفرح . وقال في نفسه لقد أجاب الله سؤالى . والله انى سأذيقها الموت بيدي هذه . وجس منطقته فرأى الختجر فيها . قلبت مستظلاً بالشجرة ليرى ما يكون منهما . فاذا هما قد سارا خطوات قليلة حتى اتيا الى قناة لأحدار مائها خرب وبجانب القناة شجرة من الصفصاف يستظل بها المارة في اثناء النهار . فنحولا عن الجملين وضرب ربحان القبة كالعادة وأوقد النار ثم قال لمولاته « استريحى يا سيدتى ربنا ألانى البستاني وآتى اليك ببعض الزاد والفاكهة وأنت هنا في مأمن »

قالت « سر ولا تطل الغياب »

قال « حسناً » وانصرف

## الفصل السابع والمائة

وعلى الباغي تدور الدوائر

وكان بلال واقفاً ينظر اليه . فلما رآه توارى نظر الى قطام على بصيص النار فاذا هي قاعدة وقد كشفت عن وجهها وعنقها وشمرت عن ساعديها ثم رآها نهضت وضاغائرها مدلاة على كتفيها وظهرها وفي اطراف الضفائر دنائير معلقة اذا تصادمت في أثناء المشى سمع لها رنين . ومشت الى حافة القناة ودماجلها وخلخلها تخش خشيشاً . فخاف بلال اذا ابطأ ان تفوته الفرصة فوثب عليها وهي بهم بالجلوس على حافة القناة وأمسك بطوقها وجذبها اليه

فوقعت على قفاها فجنا على صدرها . فصاحت « ريحان » وقبل ان تم كلامها وضع بلال قبضته في فيها وقال لها « لم يبق لك في هذه الحياة الا دقائق قليلة فاعلمي قبل ان تفارقها اني بلال خادم خولة وسعيد واني منتقم للامام علي » ف اشارت بعينها انها تريد الكلام فاستل الخنجر وصوبه الى عنقها وقال لها تكلمي بهدو واذا رفعت صوتك أعمدت هذا الخنجر في عنقك »

قالت « ارحمني يا بلال واشفق على حياتي »  
قال « لا يرحمني الله ان رحمتك وانت قد ضاقت ابن ملجم وحرصته على قتل الامام علي . واردت قتل شابين من خيرة الشبان . ولكن حيلتك لم تتطل فيهما . وأخيراً جئت الفسطاط لاغراء أميرها على خولة . . كيف ارحمك يا خاتمة »

قالت « ذلك قد مضى يا بلال وأنا تائبة فاعف عن قتلي ولك كل ما أملكه »

قال « هل يتوب الهر ! ! . وأما العفو عن قتلك فوالله لو عرفت قصاصاً أعظم من القتل لقصصتك به لان القتل قليل على فاجرة خاتمة مثلك »

فهتت أن تحييه فادرك انها تماطله ريثما يعود ريحان فقال لها « اعلمي يا قطام اني قاتلك انتقاماً للامام علي » قال ذلك واعمد خنجره في عنقها واسرع فاحترز رأسها وترك الجثة ولها شخير ما زال يرن في أذنيه الى مسافة بعيدة وكان لما رأى تلك القناة قد عرف الطريق المؤدي الى مقر سعيد فانسى بين الاشجار وقد أمسك الرأس من جدائله وتركه يتدلى والدم يقطر منه

## الفصل الثامن والمائة

### الفاكة الغربية

فلما وصل بلال الى سعيد والرسول الجديد كانا قد استبطآه وانشغل  
خاطرهما عليه . فلما سمعا وقع اقدامه صاح سعيد فيه قائلاً « أين الفاكة  
يا بلال لقد ابطأت وغلب عابنا الجوع »

فلم يجبه بلال ولكنه ظل ماشياً حتى وقف امامه ورمى الجمجمة بين  
يديه وقال « هذه فاكتي »

فاجفل سعيد ونظر فاذا هو رأس قطام باقراطه وضاغثره فاستغرب  
أمره فسأله عن تفصيل الخبر

فقال « ليس هذا وقت السؤال هلموا بنا نخرج من هذه الفتوة الآن  
فاذا أمنا من عيون الحكومة أخبرتكم الخبر »

فنهضوا وهم الى تلك الساعة لم يذوقوا طعاماً وركبوا جاهلم واستحثوها  
جهد طاقتهم وهم تارة يصعدون تلاً أو ينزلون غوراً وآونة يفوصون في الماء  
وطوراً بدوسون الاشواك أو تتصادم رؤوسهم واكتافهم بنصون الاشجار  
حتى اتصف الليل فانتهوا الى سهل قليل الاغراس وقد بدوا عن دمشق  
فواصلوا السير الى الفجر فتحققوا أنهم أمنوا العيون

فجلسوا للاستراحة على مصطبة بالقرب من عين ماء جارية وسعيد في  
شوق شديد الى سماع تفصيل مقتل تلك المرأة

فقص بلال حديثه وقلبه يرقص من شدة الفرح . وانماماً لاسباب  
سروره استخرج الجمجمة من جراب كان قد خبأها فيه ووضعها على  
المصطبة بين يدي سعيد وكان شعرها قد تحيل بالدم والعينان مطبقتان  
والشفتان مفتوحان عن اسنان كاللؤلؤ ومسحة الجمال لا تزال تتجلى في عجا  
تلك المرأة مع صفاء اللون واصفراره وما تلتطخ به من الدماء

## الفصل التاسع والمائة

### الموت عبرة الاحياء

فمد سعيد يده الى جبين تلك الجمجمة ولمسه فاذا هو بارد كالثلج فقال  
 « آمنت بالله كأنه سبحانه وتعالى قد كتب لي ان لا ألس هذا الجبين الا  
 وهو ميت مع شدة رغبتني في لمسه منذ اعوام » ثم وجه خطابه الى الجمجمة  
 وقال « أنت قطام بنت شحنة وقد طليت دهائك ومكرك على مشات من  
 الرجال . أبهاتين العينين فتنت ابن ملجم كما قفتني . وبهاتين الشفتين عقدت  
 له على نفسك اذا قتل الامام كما عقدت لي . انك ستلاقيه عاجلا وستلاقيان  
 علياً في مكان لا تخفى فيه خافية . في مكان تنال فيه كل نفس جزاء ما صنعت .  
 ان خيراً وان شراً »

ثم النفث الى بلال وقال « ماذا نعمل بهذا الرأس »  
 قال « نحمه الى القسطنطين لاضمه بين قدمي خولة ذلك الملاك الطاهر  
 قال « لا أظنها تسر بهذا المرأى ولا أنا سررت به . وزد على ذلك  
 ان هذه الجمجمة لا تصل الى القسطنطين الا بعد ان تتن وتتصاعد منها  
 رائحة تفر منها النفس »

فأطرق بلال هنيئة وهو يتأسف لعدم استطاعته حمل الرأس الى خولة  
 ثم قال « فاسمح لي اذاً ان احمل علامة منه »  
 قال « وما هي تلك العلامة »

قال « اقطع منه الاذنين وفيهما الاقراط واقص هذا الشعر وفيه  
 الضفائر الذهب »

قال « لك ذلك فافعه »

فاشتغل بلال في ذلك على ان يستريحوا هناك ويتناولوا الغداء  
 وهزموا على القسطنطين

## الفصل العاشر والمائة

إذا سقط اللثيم فلا يلقى نصيراً

أما ربحان فإنه عاد من عند البستاني بعد قليل وقد أعد كل ما ترتاح إليه سيدته من الفاكهة والاطعمة وأمر البستاني أن يشوي بعض الحمام . ولما دنا من الحيمة سمع شخيراً كشخير النائم وكانت قطام اذا نامت شخرت وهو يعرف فيها ذلك . فقال في نفسه يظهر أنها لم تهلك عن النوم من شدة التعب . ودنا منها فاذا هي بجانب القناة والظلام حالك والنار التي أوقدها قد خمدت فلم ينتبه لحالها فقال في نفسه لا يرن الشمع واعد المائدة ربها تفيق فانار الشمعة ولاحت منه التفاتة الى سيدته فرآها تتحرك فأقبل اليها فاذا هي تمخج اختلاج النزاع وقد اصبحت جثة بلا رأس ورأى دمها قد عكر القناة . فبغت ولطم وجهه ووقف لحظة يفكر في من عسى ان يكون قد فعل ذلك فقال في نفسه « لا يخلو ان يكون ذلك قد حدث بإيمار عمرو ابن العاص والقاتل قد فر الآن ولا سبيل اليه . فاذا أنا صحت وجمعت الناس لا أظن الهمة إلا واقعة علي »

فتحير في أمره ثم تذكر ما ارتكبته قطام من الفظائع كأنه يحاول ان يلتمس لنفسه عذراً اذا تخلى عنها . فرأى أنها ارتكبت عظام تستحق القتل على كل واحدة منها . وتذكر ماوراءها من المال الكثير والمصاغ الهمين وانه هو وحده يعرف مخبأها في الكوفة . فطمع في اكتساب ذلك الميراث وصمم على اغتنام هذه الفرصة فهم بما عليها من الحلي فاستخرج الاساور والدمالج من يديها والمعقود من عنقها وجمع ما في جيوبها وصناديقها من غالي الثمن وخفيف الحمل . وتركها تحبب بدمها ولسان حاله يقول « ذلك هو جزاء القوم الظالمين » ودخل الشام في الصباح التالي فاشترى اثواباً تسكر فيها وقصد الكوفة فاستخرج ما خبأته قطام هناك من الاموال وابتاع لنفسه ضيعة أقام فيها الى آخر حياته

وأما البستاني فكان قد أعد الطعام وحمله وفيه الجبن والفاكهة والحبز في سل وجاء الى موضع الخيمة وهو مسرور بتلك الضيفة لانها كانت كريمة تعطي الناس بسخاء . ولكنه ما وصل الخيمة حتى رأى الحال كما ذكرنا وليس هناك الا جثة قطام وكانت قد همدت وسكن شخيرها واختلاجها . فلا تسئل عن رعبه لما رآها في تلك الحال . فقال في نفسه « لا بد ان جماعة أقوياء تجرأوا على هذا العمل وقد فعلوا ما فعلوا ونجوا بأنفسهم واذا أنا أظهرت هذه الجثة جلبت لنفسي البلاء فالى الا ان احتفر لها حفرة اخفيها فيها » فاشتغل بالحفر وهو يحاذر أن يراه احد أو يسمع خبط معوله . ثم دفن الجثة وأخفى آثار الدماء وحمل كل ما بقي من الامتعة الى بيته وساق جملا كان باقياً هناك وكم تلك الحادثة وما زالت مكتومة الى الآن

## الفصل الحادي عشر والمائة

### الوصول الى الفسطاط

أما وفد الفسطاط فلما أشرفوا على المدينة من سفح المقطم ظهر لهم جامع عمرو في وسط المدينة كالبدريين الكواكب فاستعجلوا الرسول الجديد بالذهاب الى عبد الله لينبئه برجوعهم وأوصوه ان لا يذكر له خبر قطام

أما عبد الله فكان قد خلا له الجو وصفا قلب الامير ولكنه ما زال منشغل الخاطر في أمر سعيد وكلما تذكر فرار قطام من سجنها انقبضت نفسه وكلما لقي خولة تحادثا بما مر بهما وذكر سعيداً والتمسا سرعة وصوله وعبد الله يدبر أسلوباً يخبره به عن حقيقة حاله مع خولة

وفيما هو جالس ذات صباح في غرفته بدار الامير واذا برسوله قد اقبل وعليه علام السفر فصاح به « وما وراءك »

قال « ورأى سيدي سعيد وبلال »

قال « وأين هما »

قال « تركتهما في سفح المقطم قادمين وجئت لأبشركم »  
 قال « أهلا بالقاديين » ونهض لساعته وخرج على فرس أسرج له ولم  
 يكذب يخرج من الفسطاط حتى التقى بسعيد وبلال على جبلين فترجل بلال  
 للحال وهم بيد عبد الله فقبلها

فقال عبد الله « بورك فيك يا أسمر وبورك بشهامتك » وهم سعيد ان  
 يترجل فأشار إليه عبد الله أن يتي على جمه لينزلا معاً في دار الامارة  
 فمشوا وسعيد يتسم فقال له عبد الله « ما الذي يضحكك »  
 قال « يضحكني انا ذاهبون الى دار عمرو بن العاص وقد كنا امس  
 نحاذران يسمع بنا أو يرانا »

قال « لله في خلقه شؤون » ثم قال بصوت خافت كأنه يحاذران يسمعه  
 أحد « لو أراد الله نجح مسعانا ونجا الامام علي كرم الله وجهه لما همنا  
 النزول في هذه الدار »

فقال سعيد « لانتذكري بذلك الحادث الفظيع فقد شهدته بنفسي  
 ورأيت ابن ملجم اللعين بأمر عيني يضرب الامام بذلك السيف المسموم  
 وقد كان يتناوبين انقاذه لحظة لو أراد الله لعجلها . ولكن الآجال  
 مرهونة باوقاتها »

قال « ولكن الله سيجزي الظالمين وأمانحن فقد صرنا الآن من  
 حاشية ابن العاص وهو والحق يقال من دهاة العرب وكرامهم وكبار قوادهم »

## الفصل الثاني عشر والمائة

### المداعبة

وتحادثا في أمثال ذلك حتى اقربا من الدار فقال عبد الله « لم اسمعك  
 تذكر خولة . . . هل نسينا »

فابتسم سعيد وقال « كيف أنساها وأنا انما جئت ألتمسها »  
 قال « وماذا تلمس منها »

قال « لا أدري . . . »

قال « أظنك تدري والا فاعلم ان خولة الآن قرينتي زوجتي بها عمرو  
وكتب كتابي عليها بامره »

فضحك سعيد وهو يظن ابن عمه بمازحه ...

فتظاهر عبد الله بالجد وقال « يظهر لي انك لم تصدق قولي فاقسم بالله  
وربة أبي رحاب ان خولة قد زفت الى وكتب العقد على يد الامير . واذا  
كنت لاتصدقني فاسأل كل من في هذه الدار عن ذلك »

فقبلت الشهامة على سعيد ولم يسهه الا ان قال « وما يمنع ان تكون  
زوجة لك بورك لك فيها . ألسنت أخي ورفيتي وابن عمي »

قال ذلك وهو لا يزال يشك بما سمعه لعلمه باخلاق عبد الله

ووصلا الى الدار فترجلا وسار تواء الى غرفة عبد الله وبعثا الى عمرو  
بقدمهما فأمر ان يستقبل سعيد في غرفة خاصة وبعث الى خولة ووالدها  
فلما جاءا أقبل عمرو الى تلك الغرفة وقد اجتمع فيها الجميع وبلال واقف  
خارجاً فلما دخل عمرو تقدم سعيد لتقبيل يده والسلام عليه فرحب به  
ودعاه للجلوس

فقال سعيد « اذا أذن مولاي فليأمر عبده بلالا بالدخول ليحضر هذه  
الجلسة »

فامر بدخوله فانزوي في بعض جوانب الغرفة متأدباً وفي يده جراب  
من جلد

وكان سعيد ينظر الى خولة من تحت النقاب ويفكر في ما سمعه من  
عبد الله وهو يتردد بين الشك واليقين

فلما استتب بهم الجلوس خاطب عمرو سعيداً قائلاً « أظنكم تتوقعون  
ان تروا قطام سجينه »

فقال سعيد « نعم يا مولاي »

قال « ولكننا فرت من السجن وزادت ذنبا عظماً بقتل خادمتها .

وكنا قد أردنا استيقاها مسجونة . أما الآن فاذا ظفرتنا بها فلاقصص لها  
عندنا غير القتل «

## الفصل الثالث عشر والمائة

### جائزة مائة دينار

فلم يتالك سعيد عن الابتسام وقد ندم لانه لم يصرح بالامر لما سأله  
عنه عمرو وهم بالكلام فاعترضه بلال مستأذناً . فسكت . فتقدم بلال الى  
عمرو وجنا بين يديه والجراب بيده وقال « استعطف مولاي ان يأذن لي  
بكلمة أقولها »

قال « قل »

قال « كيف ترجون القبض على قطام وأنتم لا تعرفون مقرها »

قال « نطمع الناس في البحث عنها بما لك كثير »

قال « بكم تسمح نفس الامير لمن يقبض عليها »

قال « نعطيه مئة دينار »

قال « أتشرط ان يؤتى بها حية »

قال « لا فرق جاء بها حية أو ميتة »

قال « واذا جاء بنحبر قتلها »

قال « نقبل منه ذلك بشرط ان يأتينا بما يثبت قتله اياها »

فاخذ بلال يحل الجراب وهو يقول « فليأمر مولاي الامير بمن يدفع  
لي مئة دينار » وماتم قوله حتى افرغ الجراب بين يدي الامير ففاحت  
الرائحة وظهر الشعر الملطخ بالدماء وبلال يبحث فيه باصبعه حتى وجد الاذنين  
وفيها الاقراط

فأجفل عمرو وسائر الحضور لذلك المنظر واشمازت نفوسهم من تلك

الرائحة الكريهة وصاح فيه عمرو « ويلك ما هذا »

قال « هذا هو شعر قطام ملطخاً بدمها . وهذه أذناها وأقراطها .

وإذا أخرجتموني جثكم برأسها . فاني انما تخليت عنه اجابة لامر مولاي سعيد « قال ذلك ووقف وهو يشير برأسه الى سعيد

فقال سعيد « نعم يا مولاي أنا اشهد ان بلالا قتل قطام وجده واحترز رأسها وجاءني به وهو يشوي حمه اليك فأشرت عليه ان يكتفي بهذه العلامة تخلصاً من نانة تلك الرمة »

وكان الحضور قد بهتوا وهم ينظرون الى الشعر والاذنين فأشار عمرو الى بلال ان احمل هذه الاقدار من هنا . فأعادها الى جرابه وتحنى فقال له عمرو « لك علينا مئة دينار »

فحنى رأسه شكراً وامتناناً وقال « اني أشكر مولاي الامير على نعمته ولكنني اعترف له بانني لم اقتل هذه الحاتمة طمعاً بجائزة وانما قتلتها انتقاماً للحق » وأراد أن يفصل ما أجملة فانتبه انه لا يجوز ذكر الامام علي هناك فاكثف بما قاله

ونهض عبد الله فقال « بورك فبك يا بلال فاقصص علينا الخبر اذا أمر الامير »

فقال عمرو « اقصصه »  
فقصه من اوله الى آخره

## الفصل الرابع عشر والمائة

### الطلاق والزواج

فأثنى الجميع على شهادته وخصوصاً خولة . وتذكرت ان والدها كان نائماً عليها من أجله فانتجت هذه الفرصة لا كتساب رضا عنهما فقالت « يا بلال تقدم باذن الامير وقبل يدي سيدك » وأشارت الى والدها . فتقدم بلال للجال وقبل يده فأثنى عليه فماد الى موقفه . وكان الحديث قد انقضى ولم يبق غير الانصراف

فوقف عبد الله والتفت الى عمرو وقال « أشهد أيها الامير ان امرأتي  
هذه طالق مني ثلاثاً » وأشار الى خولة  
فأثبه سعيد لما كان سمعه منه فتحقق انه كان معقوداً له عليها . فقلته  
البيته

ولحظ عمرو فيه ذلك فقال « طب نفساً يا سعيد ان خولة لا تزال بكراً  
وأما طلقها عبد الله صورة كما تزوجها صورة » والتفت الى أبي خولة وقال  
له « أني أخطب خولة منك لسعيد »

فقال أبو خولة « هي جاريتك يا مولاي فافعل بها ما تشاء »

فحجبت خولة لتلك المفاوضة بين يديها وأطرقت

وأمر عمرو فكتب الكتاب في الحال وهنأها بذلك القران وأمر بلال  
بالمال الذي وعد به وانصرف الجميع الى بيت خولة بعد ان ودعوا عمراً  
وشكروا صنيعة

وبعد أيام استأذن عبد الله سعيدياً في الذهاب الى مكة للقيام مع أهله  
وتدبير تركة جده فأذن له علي الرغم عنه . فانصرف وودع خولة ووالدها  
والامير عمراً وسار الى مكة واقترن هناك بابنة عم له وعاشوا جميعاً عيشاً  
لا يشوبه من النقص الا الافتكار بمقتل الامام علي . وزاد تنقيصهم ما سمعوه  
بعد ذلك من تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية ابن أبي سفيان .  
فخرجت الخلافة من أهل البيت وصارت الى بني أمية . وإنما فعل الحسن  
ذلك حبياً للدماء ولم يتول الخلافة الا ستة أشهر فانتقل كرسيا من  
الكوفة الى دمشق وما زال فيها الى انقضاء دولة بني أمية